









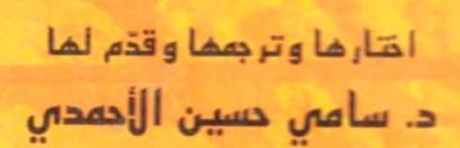

# قبوالبصل

## وقصص ألمانية أخرى





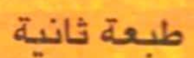




احتارها وترجمها وقدّم لها

د. سامي حسين الأحمدي



طبعة ثانية











دار المأمون

# قبوالبصل

# وقصص المانية أخرى

طبعة ثانية



دار المأمون

# قبو البصل
# وقصص ألمانية اخرى

اختارها وترجمها وقدم لها

**د. سامي حسين الأحمدي**

راجع النص العربي

فهد الأسدي

دار المأمون للترجمة والنشر

بغداد /١٩٨٧

# Zwiebelkeller und andere deutsche Erzählungen

# قبو البصل وقصص المانية أخرى

دار المأمون للترجمة والنشر
وزارة الثقافة والاعلام
الطبعة الاولى



توجه المراسلات الى :
دار المأمون للترجمة والنشر
وزارة الثقافة والاعلام
بغداد - الجمهورية العراقية
ص.ب. ٨٠١٨
تلكس : ٢١٢٩٨٤
طبع بمطابع دار الحرية للطباعة - بغداد
مترجم عن الالمانية    طبعة ثانية/شباط ١٩٨٨

# الفهرس

# المقدمة

هذه المجموعة مختارة من الادب القصصي الالماني منذ منتصف القرن التاسع عشر الىٰ ما بعد منتصف القرن العشرين حيث تأثيرات مناخ الحرب العالمية الثانية قد حفرت عميقاً علىٰ تضاريس هذا الفن وعمقت بعد المأساة والمعاناة التي عانىٰ منها الشعب الالماني بشكل خاص والبشرية بشكل عام حين داست الاقدام الهمجية والبربرية الجديدة علىٰ حدائق الحضارة الانسانية وخلفت وراءها الآلام والدمار وكأنها تصرّح بغطرسة بجملة «ايفان الرهيب» اينما يمرّ جوادي لاينبت العشب . ولكن ان نجحت تلك الهجمة أن تترك آثاراً من سخام حرائقها علىٰ خارطة العالم لسنين فهي لم تنجح في أن تمنع مروج الادب أن تزهر وهي تسقىٰ بدماء الملايين من الضحايا . وها هو الفن القصصي يطلّ علينا من خلال هذه الاعمال التي عدّها النقاد من أروع نتاجات هذا الفن من خلال مضامينها الانسانية التي تفاعلت ونمت بفعل ملح الحياة واستقت مادتها من الواقع الحياتي فأعاد الفنانون العظام تشكيله ضمن صياغات فنية مرهفة تسامت بفعل ذلك المضمون الانساني ذي الرمز الغني . ان الفن القصصي من بين الاشكال الادبية الأخرىٰ مازال موضع اهتمام معظم القراء في العالم خاصة اذا ولد عبر المخاض العسير لولادة انسانية جديدة وعبر كفاح البشرية ضد قوىٰ

القهر والاستلاب والشر ؛ ولذا فلاغرو ان حظيت قصص هذه المجموعة بنصيب وافر من اهتمام المعنيين بترجمتها الى الكثير من لغات العالم ، ومن هنا يأتي اهتمامنا بتعريف قارىء الضاد ليشارك قراء العالم المتعة واستزادة المعرفة بهذا النتاج .

ان هذه الترجمة تطمح ان تضمّ جهدها الى جهود أخرى حاولت أن تقدم الوجه الآخر المشرق للادب الالماني وتسجل شهادة للكتاب الالمان الذين كافحوا وشردوا من أجل أن يعكسوا روح الشعب الالماني الذي كان يناضل ضد النظريات العرقية الفوقية ويقف بصلابة بوجه تداعي الحضارة الالمانية تحت اقدام الهجمة الشرسة والذين نجحوا في أن يعكسوا صوراً مشرقة ومواقف مشرفة تنأى عن وحل الغواية التي سدر بها الكثير من الكتاب الذين مجدوا جرائم الهتلرية . وقد أعادت كتاباتهم الثقة بمستقبل الادب من خلال استلهامها تراث الادب الالماني الذي ظلّ حقبة طويلة موضع اهتمام في دول أوربا خاصة ، والذي أثرّ في آدابها وفنونها وترك بصماته على الكثير من الاعمال . ولاشك بأن النفس الذي كتبت به هذه الاعمال المترجمة ينسجم مع واقعنا الأدبي ونحن نستلهم من تراثنا الحضاري تلك الانفاس التي ملأت جو الانسانية عطراً فقدمت صورة العربي المتحضر التي نطمح ونناضل من أجل أن تبعث اليوم ..

وهذه الاضمامة من روائع القصص الالماني جهدت أن تعكس اتجاهات هذا الفن بمختلف المدارس والاساليب الفنية ؛ فمن الغموض الفني ، حيث الرؤى الحلمية ، أو اللاواقع المستمد من الواقع ، وفق المذهب السيكولوجي الذي تميزت به قصة كافكا «طبيب الارياف» الى

العمق الفلسفي الذي يغوص بنا عميقاً لاستكشاف عوالم غونتر غراس في «قبوه» حيث تستدر الدموع في عالم اليوم الذي يحجر هلامه عـين الانسان ويكبت فيه حتى الرغبة في أن يبكي براحة ، نبحر على مراكب الفن بين جزر الابداع . ولا عجب في أن نختار من رائعة غونترغراس هذه ـ إي قبو البصل ـ عنواناً لهذه المجموعة ومن القصة الملتزمة التي ترفع لواءها آنا سيجرز وهي تسجل كفاح المرأة ضد الفاشية ، الى قصة التحدي والنقد اللاذع الذي تحفل به كتابات برشت الواقعية .

ومن «متشرد» فاكرل بقصته الواقعية الانتقادية الى القصص ذات الغنائية التي يتبلور فيها الوجدان ..

من القصة الرومانسية ذات اللون الانساني الشفـاف الى القصة الاجتماعية ذات المضمون النقدي الحـاد والاسلوب السـاخر الـذي تعكسه كتابات توخولسكي وبيشر ..

واذا كان ماسجلته كتابات «بورشرت» وآنا سيجرز يعكس معـاناة المرأة وكفاحها خلال سني الحرب فإنّ قصص «كاشتنس» المرهفة قد حفلت بدراسة عميقة لعوالم المرأة الأخرى وهمـومها اليـومية بحسّ صادق وبدقة رائعة تـوحي بصميمية التصـاق هؤلاء الكتاب بحياة الناس .

ومن حيث الاساليب جهدت الترجمة أن تعكس صنوفاً متعددة : فمن الحكاية البسيطة التي تشفّ عن الرمز العميق في كتابات هيكمن وكرستوف ميكـل الى الاقصوصـة السهلة الممتنعـة في نماذج بـوير وكوزنبرج الى القصة ذات التكنيك الفني المعقد لدى غونترغراس وكافكا وهانريش بل .

ومن الواقعي المألوف الى اللاواقعي المستمد من الواقع يطلّ علينا الكـاتب المسرحي الكبير فـريـدريش دورنمـات في رائعتـه «الكلب» و «كريستوف ميكل» في «مخلوقاته الباكية» و«هيكمن» في جوع بطله الذي لايرحم ، ولعالم عذابات «فولفجانج بورشرت» نصيب الأسد في هذه المجموعة ذلك لان الكاتب الاقـدر على الاحتجـاج ورفض الحـروب الاستعمارية وما تتركه من سخام على نقاء الطفولة . ومع قصصه ومع الحزن الهادىء الشفيف الـذي تعكسه رائعـة «هانـيريش بل» ايهـا الجوّاب ... ومع قصة «موزع الخبز» لبيندر تبرز نماذج لادب الحرب القصصي الالماني قد تضيء لكتابنا في ظرف كهذا . وعلى ضوء ما يفهم من هذا يمكن تقويم العمل القصصي في مجال كهذا بمقدار مـا يعرضـه بموضوعية وصدق لمواقف الانسان وهو يواجه قدراً كهذا ويقف بوجه التحديات الجسام . في هذا الكتاب مختارات قال عنها النقاد انها من احسن القصص ضمن مسيرة الادب الالماني الذي ظلّ جديراً أن يحتل مكانة سامية في ذاكرة المكتبة الانسانية وحضورها المتجدد ،وظل قبلة المترجمين منه الى لغات العالم.ولذا ولأن مساحة ما ترجم منه الى العربية لايشغل سوى حيز صغير فمازال القارىء لم يصله سوى السمع فقط بقمم وابداعات واسماء منه ويتشوق ظامئا الى المزيد . ! تطمح هذه الترجمة أن تحقق بعض الرجاء في الاطـلاع على بعض نتـاجات شوامخ هذا الفن لينسجم ايقاعها مع تطلعات قرائنا وطموحاتهم الى تـرجمة أدب انسـاني واقعي صادق ، ينفـر من الوحشي والصقيـل والغامض التافه في اساليبـه ، ويمجد كفـاح الانسانيـة ضد الشر ، ويعكس تطلعـات البشرية الى عـالم يسوده الحب والخـير والكرامـة

والسلام ، ويكافح ضد دعاة الحروب من صهاينة ومستعمرين وممن يريدون العودة بالبشرية الى الوراء .. ولا يخفىٰ علىٰ القارىء اللبيب الفرق الشاسع بين الحروب الاستعمارية التي لامصلحة للشعوب فيها والحروب التحررية والحروب المشروعة في الدفاع عن الوطن.فاذا كانت هذه المجموعة في الكثير من نماذجها هي صرخة احتجاج ضد تلك فهي تعميق لوعي المواطن في الدفاع عن وطنه وامته وعن الحضارة الانسانية جمعاء ..

المترجم



## غونتر غراس (١٩٢٧)

ولد غونتر غراس عام (١٩٢٧) . من أعماله الادبية : ـ
«مزايا دجاج الريـح» و «طبل الصفيـح» (١٩٥٩) و «القط والفار» و «أعوام الكلاب» .

أثارت كتبه موجة من النقـد والاعجاب بـين القرّاء والادبـاء علىٰ السواء . من المسرحيات التي كتبها «الرعـاع يجربـون الانتفاضـة» (١٩٦٦) . وهي مسرحية سياسية نقدية .

ويعتبر غونتر غراس المجدد الثاني في تـاريخ النشر الالمـاني بعد الحرب .

الىٰ جانب اهتماماته الكثيرة فهو رسام ايضاً ويعيش اليوم في برلين الغربية . وله حضور دائم في الندوات السياسية والاجتماعية .

# قبو البصل

وفقا لواجهته وموقعه المطلّ علىٰ الشارع العام ، يبدو «قبو البصل» هذا واحداً من المطاعم الصغيرة الحديثة المتميزة عن المطاعم القديمة باسعارها العالية ..

بإمكان أيّ إمرىء يتساءل عن السر في ارتفاع الاسعار أن يجد ضالته في صفات خاصة تمتاز بها هذه المطاعم عن غيرها ،كأن يجد فيها تحفاً فنية ، أو لكونها أماكن أثرية . وكذلك للاسماء ـ التي تميزها عن غيرها ـ دلالات خاصة كأن تشير هذه مثلاً الىٰ أشهر المأكولات الايطالية التي تلعب «المعكرونة» دوراً بارزاً في شهرتها كأكلة «رافيو ليشتوبن» أو تحمل أحد الاسماء الوجودية السرية كالتابو أو اسماً من مشتقات التوابل كمطعم الفلفل الأحمر ، أو تشهر كمطعمنا هذا بإسم «قبو البصل» بوعي وبراعة فنية خُطت كلمة «قبو البصل» ، وبتنفيذ متقن رسمت بصلة واحدة علىٰ لافتة مغطاة بالميناء ، ومؤطرة بزهر مزخرف بالنقوش الالمانية القديمة . وقد علقت علىٰ واجهة المبنىٰ التي تضمّ شبّاكاً واحداً مزخرفاً بقطع خضراء اللون من زجاج القناني .

تنسدل ستارة ريفية من فروة الغنم امام الباب الحديدي البرتقالي اللون ، الذي كان في الايام المظلمة باباً لملجأ ..

لايسمح لَمن هبّ ودبّ الدخول الىٰ قبو البصل الا أيام الجمع والتي

تنفق فيها الرواتب الاسبوعية على شرب الجعة وترتاده بخاصة شريحة من المحاربين القدماء حيث تكون الاسعار متهاودة نوعاً ما ومع هذا فان الاسعار في قبو البصل تظل فاحشة على الغالب . مَن يحالفه الحظ ويسمح له بالدخول الى القبو يجد امامه ، وخلف الباب المخطط باللون البرتقالي خمس درجات خرسانية التسليح لينزل منها فيجد نفسه امام باب طوله متر وعرضه متر ، معلق عليه ملصق إعلاني (بوستر) لمعرض فني للرسام العالمي بيكاسو . ومن ثم يهبط ثانية درجات أخرى،وهذه المرة اربع،اعندها تلقى نفسك امام «شماعة» الملابس وفوقها لافتة مكتوب عليها : الدفع مؤخراً . أما العامل الشاب الذي يقف خلف شماعة الملابس فغالباً ما يكون ملتحياً ؛ ويبدو أنه طالب من اكاديمية الفنون . انه لايطالب بالنقود في البداية . صحيح ان اسعار قبو البصل فاحشة لكنه مكان راقٍ بنفس الوقت . المضيّف شخصياً يستقبل كلّ ضيف محيياً أيّاه بغمزة من حاجبه ينسّقها مع اشارة بيده،يدعوه الى الطاولة ، تكرر هذه الطقوس باحترام مع كلّ ضيف يدلف الى القبو ..
يطلق على المضيف اسم فيردناند شمو . يهوى صيد العصافير احياناً ، ويُعرف من طبقة في المجتمع عجّل ثراءها اصلاح النظام النقدي في مدينة ديزلدورف اكثر من مثيلاتها في المدن الأخرى ..

هكذا هي الحقيقة في قبو البصل . هنا في هذه الاماكن الليلية يعرف المرء كيف تحترم الحقيقة ..

وهناك حقائق أخرى عن القبو : فهو رطب أشبه بنفق طويل بارد مساحته اربعة × ثمانية عشر متراً ؛ وتوجد فيه مدفأتا حديد كبيرتان توقدان بالفحم.

وفي الواقع لم يكن تصميمه في الاساس ـ قبواً اذ رفع سقفه ، ودمج بالشقة الارضية،لذلك نرىٰ شباك قبو البصل الوحيد لايشبه شبابيك الاقبية بل أنه أشبه بشباك لشقة أرضية . انّ تمرير كذبة كهذه انقص من الاحترام الكامل لحقيقته كقبو . ولكن لو استطاع المرء أن ينظر من الشباك الىٰ الخارج ، ولو لم يكن الشباك مغطىٰ بمجموعة من القطع الزجاجية الملونة ، لوجد المرء نفسه وكأنه يتفرج علىٰ متحف بعد أن يرقىٰ سلماً الىٰ الاعلىٰ ..

اذن فبامكان المرء أن يصدق ويحترم هذه التسمية «قبو ولِمَ لايسمىٰ قبو أ ؟ »

فاتني أن أصف السلم حيث أنه لم يكن بالسلم العادي بل أنه شبيه بسلم البواخر الذي تثبت مساند من حبال علىٰ جهتيه اليمنىٰ واليسرىٰ ؛ وتحسّ بشيء من الخطورة فعلاً .. وأنت ترقاه ـ يشعرك وكأنك علىٰ ظهر سفينة تصارع الامواج . وهذا مبرر آخر لارتفاع اسعار القبو ..

والمصابيح التي تملأ بغاز الكاربيد هي ما يضيء قبو البصل ؛ وهي شبيهة بمصابيح عمال المناجم ، تنفث رائحة غاز الكاربيد وهذا ما يضيف سببا لاسباب ارتفاع الاسعار ثم ينتقل ضيف القبو بمشاعره واحاسيسه الى نفق طويل ـ نستطيع القول ـ كنفق منجم للبوتاس يقع على عمق تسعمائة وخمسين مترا تحت الارض،فهناك معاول كبيرة وعمال نصف عراة امام احجار ملحية ضخمة ، وعربات محملة بالملح ، ومكائن تزعق ساحبة العربات الى خلف حيث المر المؤدي إلى محطة «فريدريش هال الثاني» وحيث يتقدم مسؤول يتأرجح مصباح في يده ثم يهتف ،

تمنياتي لكم بالسلامة ! و يتأرجح مصباح آخر شبيه بمصـابيح الكاربيد معلقا على جدران قبو البصل حيث يرسم الملح الرطب عليها اشكالا .. هذه الاثـار المهملة والـرائحة هي الاخـرى سبب لارتفاع الاسعار ، وقد أضفت على القبو جوا واقعيا ..

هناك مقاعد الجلوس غير الوثيرة ؛ وهي عبارة عن صناديق قديمة عادية ، وأكياس البصل التي تغطي الجدران .، والطاولات الخشبية الملمعة . كل ذلك يستدرج الضيف من المنجم الى حانة ريفيـة كالتي يراها المرء احياناً في الافلام .

ذلك كان كل شيء ! والمشرب ؟ لا مشرب هناك ! لو صاح احدهم :

**«نادل!.. قائمة الطعام لطفاً» لمالبى له نداء؛ اذ لاقائمة طعام ولا نادل.**

لا أحد غيرنا وحيدين كأشجار نهر الراين ؛ لكم تنطبق علينا هذه الصفة !

كليب ، شوله واوسكار ؛ اتخذوا مكانهم تحت السلم ذي المساند الحبلية . لقد حضروا الساعة التـاسعة . دوزنـوا آلاتهم الموسيقيـة بانتظار أن يبدأ موعد عزف الموسيقى في حوالي العاشرة .. اما الآن فقد انقضت خمس عشرةدقيقة بعد التـاسعة ، ولا يمكننـا ان نفوه بـأي حديث . كذلك كان السيد شمو يراقب اية نأمة حتى لو كانت ايمـاءة اصبع .. ومن وقت لآخر كـان شمو يحمـل بندقيـة صيد صغـيرة ، ويستعرض الجالسين ، وعندما يكون قبو البصل حاشداً بالضيوف - إشغال نصف المقاعد يعني ان القبو حاشد - يضـع شمو تلفيعتـه ، وطبعا فهو المضيف . التلفيعـة هذه مصنـوعة من الحـرير الازرق ،

مطبوع عليها شارة . ولهذه الشارة دالة تستحق الكلام عنها كما ان وضع التلفيعة بهذا الشكل هو دالة ايضاً فالشارة على التلفيعة هي بصلة ذهبية اللون ؛ وحين يظهر شمو بتلفيعته فهذا يعني الاذن بافتتاح قبو البصل .

الضيوف هم خليط من رجال الاعمال والاطباء والمحامين والفنانين والممثلين المسرحيين والصحفيين ، ومن العاملين بالسينما ، ومن نجوم الرياضة المشهورين ، وكذلك من كبار موظفي الدولة . وباختصار كلّ مَن يسمون انفسهم بالمثقفين في ايامنا هذه .. هؤلاء جالسون مع زوجاتهم أو عشيقاتهم أو مع سكرتيراتهم ، أو مع نساء أخريات من الفنانات ، أو من محترفات الهوىٰ .. وهناك ايضاً ممن اتخذوا من المخنثين جلساء لهم ؛ وهم يتخذون من الصناديق الخشبية المغطاة بالجنفاص مقاعد . يتحدثون طالما لم يظهر شمو واضعاً التلفيعة ذات شارة البصل الذهبية اللون علىٰ كتفه ، أو يجلسون بهدوء وباسترخاء منشغلي البال لايستطيع المرء كسر صمتهم والتحدث اليهم رغم اصراره المتكرر ، وهو يتعمد أن يكون حديثه في صلب مشاكلهم الخاصة لكي يجرّهم الى ما قد يكون متنفساً عما تجيش به الصدور . يبدي رأيه بصراحة .. تتسلط عليه الرغبة في أن يفتح صدره بحرية تامة ليقول ما فيه ، ويفرغ رأسه مما يحتويه ، يهتف بأعلىٰ صوته : ان الحقيقة الدموية هي أن يظهر الناس عراة علىٰ حقيقتهم .

لكن هذا كان من المحال .

هنا وهناك ترىٰ مَن يعبر عن فشل حياته الزوجية بطريقته الخاصة .. يتمزق لأنه فقد الأمل ، ويعتبر فقدان الامل هذا شرخاً كبيراً

في بناء حياته . السيد الجالس هناك ، الذكي ذو الرأس الكبير والبدين الناعمتين يبدو غارقاً في خضم مشكلة مع ولده الذي لايستطيع غفران ماضي والده .. وهناك السيدتان اللتان تبدوان تحت نور الفانوس اكثر جمالاً ؛ هما ترتديان أغلىٰ انواع معاطف الفرو ومع هذا تحسان بأنهما قد اضاعتا الامل . ما الاسباب ؟ لِم ؟ إنّه امر غامض عصي علىٰ الفهم وما نزال لاندري شيئاً عن ماضي السيد ذي الرأس الكبير ولاعن مشكلة الابن مع ابيه بخصوص غفران الماضي ..

ان ايّ توسع في الحديث لايجدي نفعاً ، وهو – وعفواً من القياس – مثل النقاش البيزنطي العقيم مَن الاصل : الدجاجة أم البيضة ...

يتألم المرء ثم يتألم . يتألم المرء في قبو البصل بلا حدود الىٰ أن يطلّ شمو قليلاً بتلفيعته . وعلى العموم إنها لسعادة سيشعر بها كلّ مَن يشاهده .. بعد بضع دقائق يختفي شمو خلف الستارة المسدلة علىٰ خلفية قبو البصل حيث المغاسل وغرفة المخزن . ثم يعود ثانية وقبل أن يعُرف السبب في آهات الترقب وهتافات السرور عند ظهور شمو، هذه المرة يختفي هذا .

ما أن يختفي صاحب المطعم المحترم خلف الستارة ليجلب شيئاً من المخزن حتى تصلنا فجأة عاصفة من رعوده وثورته على العاملة هناك في المغاسل التي تصرف وقتها في التطلع الى الصحف والمجلات.

حين خرج السيد شمو ثانية استقبله الجمهور بعاصفة من الفرح : وكأنه المخلّص أو لكأنه عفريت مصباح علاء الدين السحري ..

يدخل شمو القاعة حاملاً سلة مغطاة بقماش مخطط باللونين الازرق والاصفر ، تحت الغطاء في داخل السلة توجد أطباق خشب منحوتة علىٰ

شكل سمكة أو على شكل خنزير. هذه الاطباق الخشب كانت صقيلة وجميلة الشكل. وزعها شمو على موائد الضيوف مع انحناءات أدب وعبارات مجاملة تعطي انطباعا بانهُ نشأ وترعرع في مدينتي بودابست أو فينا. ان ابتسامات شمو المتعاقبة مستنسخة ولذا يعتقد المرء معها أن بالامكان اعتبار النسخة الاصلية لمونوليزا دافنشي هي الاخرى مستنسخة. استلم الضيوف اطباق الخشب بدهشة في بادىء الامر. بعضهم أبدلها بأخرى. من يميل الى شكل الخنزير الاليف - خاصة ان كان الامر متعلقاً بسيدة - ينجذب الى طبق بشكل الخنزير والقسم الآخر الذي يريد ان يظهر ايمانه باسرار فوائد السمك العظيمة أخذ يقلب اطباق الخشب ويشمها..

والسيد المضيف ينتظر متى ينتهي الضيوف وتستقر الخشبات لكي تقدم لهم الخدمات بعد ذلك - ومع لهفة كلّ القلوب - وبحركة بهلوانية رفع غطاء السلة. يصعب على المرء للوهلة الاولى رؤية السكاكين.. وبالحركة الاولى نفسها راح شمو يوزع السكاكين على الموائد بسرعة فائقة، وهذا مما يضيف حتما سببا الى غلاء الاسعار.

عندها يكف عن المجاملات، ومن خلال سرعته لايدع مجالاً لتبادل السكاكين يهتف شمو: انتهى.. انتباه. ابدا.. بعد ذلك رفع غطاء السلة.. ادخل يده فيها، واخذ يوزع البصل على الجمهور اعطاهم البصل وكأنه يوزع الهبات.. بصل بالصورة المطبوعة نفسها على التلفيعة. بصل عادي. حين شموه وجدوه عادياً ايضاً. انه ليس زنبقاً. إلاهي.. انه بصل. من ذلك الذي تشتريه أية ربة بيت. بصل من ذلك الذي تبيعه بائعة الخضروات في الاسواق.. بصل من ذلك الذي يزرعه

فلاح الحقل .. من ذلك الذي تجنيه فلاحة الحقل . بصل مثل ما هو مصوّر أو مرسوم على الملصقات (البوسترات) الهولندية.مثل هذا البصل او ذاك هو ماوزعه السيد شمو علىٰ الضيوف حتىٰ انتهىٰ من تقديم البصل لآخر ضيف ..

ساد هدوء بعد التوزيع ؛ يمكن للمرء معه أن يسمع هسيس اشتعال النار في جهاز التدفئة ، وسماع وشوشة الفانوس المترنم .

هتف السيد شمو : «تفضلوا ايها السادة» بعد أن رمىٰ ذيل التلفيعة علىٰ كتفه اليسرىٰ كما يفعل رياضيو التزحلق علىٰ الجليد قبل الانطلاق ..وكأنه اعطىٰ الاشارة بالبدء بُدىء بتقشير البصل .قيل ان لقشور البصل سبعة ألوان . السيدات والسادة بدأوا بتقشير البصل بسكاكين المطبخ . تناولوا البصلة الاولىٰ والثالثة والشقراء ، الصفراء الذهبية ، ذات اللون الجوزي المحروق،وباختصار كل البصل باختلاف الوان قشوره يقشرونه حتىٰ تمتلىء الكؤوس . طرية بيضاء . ناضجة ، لزج ماؤها . اما الرائحة فهي رائحة بصل لاغير .بعد ذلك بدأوا بتقطيع البصل . يقوم كل امرىء بتقطيع البصل قطعاً متساوية أومختلفة علىٰ الخشبة التي لها شكل الخنزير أو لها شكل السمكة . يتم التقطيع بهذا الاتجاه أوذاك حتىٰ يتناثر ماء البصل علىٰ الوجوه أو يتطاير في الهواء .

وجب على السادة المسنين ( **العُجُز** ) أن يحذروا عند تقطيع البصل حفاظاً علىٰ اصابعهم من السكاكين الحادة . بعض هؤلاء بترت اصابعهم فعلاً حين لم يلتزموا الحذر ..

كانت السيدات اكثر نباهة وحذراً ، لا كل السيدات ، بل ربات البيوت اللواتي يجدن تقطيع البصل سواء أكان مع البطاطا أم مع الكبد

أم مع التفاح وبالشكل الدائري. أما هنا في قبو البصل فما كان هذا الشكل ولاذاك بالمطلوب؛ ذلك لان البصل لم يكن للاكل؛ ومن كان يروم الاكل فعليه أن يذهب الى مطاعم الاسماك لا أن يأتي الى قبو البصل. فهنا لاشيء سوى تقطيع البصل. ولكن ما الجدوى من بصل مقطّع؟

ألكي ينظر اليه الانسان فقط؟ كلا فضيوف شمو لايستطيعون أن يبصروا شيئاً، أو في الاقل أن بعضهم لايبصر شيئاً؛ ذلك لان سيول الدمع لايقف أمامها سدود. لا لأن القلوب مترعة بالحزن، اذ ان القول بأن على العيون أن تذرف الدمع فقط ان كانت القلوب كليمة قول غير صائب إذ اصبح بعضهم غير قادر على أن يفعل ذلك خاصة، وفي العقود الاخيرة من هذا القرن سوف يطلق على قرننا هذا لقب قرن بلا دموع رغم من انه قرن مترع بالحزن. وتماما ولهذه الأسباب يهرع الناس الذين لهم القدرة على مواجهة غلاء الاسعار الى قبو البصل يقدم لهم طبق خشب وسكينة مطبخ بثمانين فنكا، ووجبة بصل منتظمة بمبلغ اثني عشر ماركاً.

بصلة تقطع قطعا صغيرة ثم أصغر حتى يفعل ماء البصل فعلته.. ماذا يفعل؟.. فعل ليس بقدرة هذا العالم، كل ظلم هذا العالم، أن يفعله: كرات وينابيع من الدموع البشرية.. هنا ينبع نهر البكاء.. هنا مبكى النساء والرجال. هنا يبكي الناس اخيراً بصمت.. يبكون بحرقة، يبكون بلا رادع، يبكون بملء الحرية.. هنا يتصدع السد بفيضان عارم، هنا حيث تهطل الامطار وتتساقط الانداء.. عندها يخطر ببال أوسكار أن يقود جوقته ويعلن بدء المنهاج بالنفخ بالفلوت.

ما اسم هذا النهر الذي يفيض كلّ عام ، والحكومة لاتفعل شيئاً حياله ؟

بعد مشهد طبيعي ، وبكلفة اثني عشر ماركا وثمانين فنكا ، يتكلم الانسان . يعبر عن نفسه بالبكاء وهو مازال متردداً يعجب من لغته العادية هذه .. اخيراً خلا الىٰ نفسه كل مَن كان من ضيوف قبو البصل بعد طقوس البصل الممتعة، الجالسون مع مرافقيهم علىٰ الصناديق الخشبية المغطاة بالجنفاص ، سمحوا اخيراً لانفسهم أن يتفقدوهم . نظروا ببواطنهم كما يقلب الناس المعاطف .. أوسكار جلس تحت ما يسمى بالسلم الخشبي صحبة كليب وشوله صامتاً بلا دموع . يحاول أن يظل كتوماً . يرغب أن ينعزل بايحاءاته : مع تأنيب الذات والاعتراف بالخطايا واستجلاء الحقيقة .

الاعتراف مثلاً بقصة الآنسة بيوش التي خسرت السيد فولمر ؛ لذا اصبحت ذات قلب من حجر وذات عيون لاتدمع .

وشمو يجدّ في البحث دوماً عن وسيلة لرفع الاسعار ..

«تقابلنا في الترام» هتفت الانسة بيوش من خلال شهقة بكاء ، «كنت عائدة من محل بيع الكتب ـ انها تمتلك وتدير هذا المحل ـ وكانت عربة الترام حاشدة بالركاب حيث داس ڤيلي ـ اقصد السيد فولمر ـ علىٰ قدمي اليمنىٰ بقوة .. اصبحت بعدها غير قادرة علىٰ الوقوف .. ووقعنا في الحبّ من اول نظرة . لم اكن قادرة علىٰ السير بسبب قدمي . مدّ لي يده وتأبطني . رافقني ، لو اصدق القول حملني الى البيت . واظب علىٰ العناية بأصابعُ قدمي يوماً بعد يوم بكلّ حنان ورقة حتىٰ زال عنهما اللون الازرق الذي تخلف عن دوسة قدمه ، لكن وبالمقابل لم يجعلني

أفقد الحب الى أن سقط ظفر ابهام القدم اليمنى وشق الظفر الجديد الذي لم يجد حاجزاً امام نموه طريقه. وحتى اكتمل سقوط الاظفار العشرة يوما بعد يوم ظفرا بعد ظفر ونمو اظفار جديدة، فترحبه..

نحن ـ الاثنين ـ عانينا من ضمور في العلاقة،لذلك داب في عرض مقترح مفزع؛ لانه متعلق بي دائما ولاننا ـ الاثنين ـ تقاسمنا السراء والضراء. اقترح قائلاً، دعيني أدُس ابهام قدمك اليسرى حتى يصبح الظفر أحمر ثم يتحول الى إزرق غامق. وافقته على هذا داسه وفورا تمتعت بحبه وكلّ حنانه. واستمر يغدق عطاءه علي حباً وحناناً حتى سقط ظفر الابهام الايسر كورقة ذابلة وبعدها عاش حبنا خريفا اخر. عندها رغب فيلي أن يدوس الظفر، ظفر الأبهام الايمن الذي ما كاد يكتمل نموه بعد لكي يستمر على عطاء حبه وحنانه الكاملين.

لم اسمح له هذه المرة. قلت له: ان كان حبك كبيراً بهذا الحجم وصادقا حقا يجب أن يخلد مع ظفر الابهام. ما كان بامكانه فهم ما قلت فتركني.. بعد شهور تقابلنا في قاعة الكونسيرت. بعد الاستراحة جلس الى جانبي صامتا على الكرسي الذي كان شاغراً.

عندما بدأ الكورس في غناء نشيد الفرح خلال السمفونية التاسعة مددت قدمي اليمنى تحت قدمه بعد ان خلعت عنها الحذاء، فداسها دون أن أعكر جو الكونسرتو. بعد ذلك بسبعة اسابيع هجرني فيلي مرة أخرى. مرة ثانية استطعنا أن نحيا عدة اسابيع جديدة ذلك لأنني مددت اليه من جديد ابهاميّ اليسرى واليمنى دفعة واحد.. واليوم ها قد ضمرت الابهامان معا لاتقويان على النمو وكذا لم يعد للاظافر رغبة

في النمو ايضاً.

وعلاوة علىٰ ذلك فكلما زارني جلس امامي علىٰ السجادة وبدأ جسمه بالارتعاش . يتعاطف معي الىٰ أبعد الحدود . هو حزين ـ وحيد مع نفسه بلا حب وبلا دموع ـ علىٰ ضحايا حبنا الابرياء تلك الاظفار التي لاتريد أن تنمو . أهتف به احياناً : تعال ، ڤيلي ، دعنا نذهب الىٰ شمو في **قبو البصل ننفس عن احزاننا بالبكاء ولو مرة بدموع . لكنه حتى تلك** الساعة لم يلبِ مرة دعوتي .. المسكين لايدرك كم هي مسلٍّ رائع هذه الدموع ..!»

لم يمضِ طويلُ وقت بعد ذلك حتىٰ حضر السيد فولمر . انّه تاجر اجهزة الراديو .. انضم الىٰ محفلنا في القبو ، بكىٰ الاثنان كلاهما . اشتركا في البكاء الجماعي كما أخبرني كليب بالامس خلال ساعة الزيارة .. كان المفروض ومنذ عهد قريب أن نتزوج . تظل حقيقة هذا الحزن البشري واضحة ابتداء من يوم الثلاثاء وحتىٰ يوم السبت ـ اذ ان في يوم الاحد يغلق قبو البصل ـ كتظاهرة جماعية مرتبطة بمتعة البصل ويكون ضيوف يوم الاثنين اول من يحتفظ بهذه المتعة لا لأنهم الاكثر اسىً ولكن لانهم الاشد بكاءً ..

يوم الاثنين تكون الاسعار منخفضة ؛ ذلك لأن شمو قد ـ خفض الىٰ نصف السعر ـ وجبة البصل للشباب . اغلب الاحيان يرتاد القبو طلاب وطالبات الطب اضافة لطلاب وطالبات اكاديمية الفنون خاصة اولئك الذين يخططون لكي يصبحوا مدرسي رسم في المستقبل . هؤلاء ينفقون جزءاً من منحهم علىٰ البصل . ولكن من أين يأتي بهذه الفلوس ـ بقيت اساءل نفسي حتىٰ يومنا هذا ـ تلاميذ وتلميذات السنة الاخيرة من

الثانوية ؟

الشباب يبكي بشكل مختلف عن الكبار .. الشباب له همومه الخاصة . ليس بالضرورة أن تكون هذه هموم الامتحانات المدرسية ، أو هموم الامتحان الوزاري .

بالطبع يرد الى قبو البصل الكثير من قصص الآباء والابناء ومآسي الامهات والبنات .. اذا شعر الشباب بالحيف وبأن أحداً لايفهمهم تراهم يبكون عوالم مجهولة . البكاء ضرورة قائمة . وأوسكار يفرح حين يجد الشباب يذرفون الدموع . في الماضي لأجل الحب ، واليوم ليس من أجل الحب ولواعجه وعواطفه فحسب ..

جيرهارد وجدرون كانا يتخذان مجلسهما أول الامر دائماً تحت المرسم ، وفيما بعد كانا يشاركان بالبكاء جماعياً فوقه ..

هي ضخمة الجسم يداها مفتولتا العضل . وهي تدرس الكيمياء . ذقنها ملتحٍ بالشعر المجعد . شيباء الرأس . يبدو عليها مظهر الامومة والكبر كما يشاهد المرء ملصقاً للمرأة قبل نهاية الحرب . نظرتها ثاقبة نافذة الى الامام ترتسم التعاسة على وجهها بوضوح .. من فوق الحنجرة . وصعوداً نحو الفكين وعلى جانبي الوجنتين تنمو لها لحية رجل. وهي ولكثافتها لسوء الحظ، تترك أثراً في الوجه بعد كلّ حلاقة .. الجلد الناعم لايحتمل قساوة الموسى لذا امتلأ الوجه بثراً . وفي كل مرة ينمو فيها الشعر تبكي جدرون ..

بعد مجيئها بزمن يسير جاء جيرهارد الى قبو البصل . الاثنان تعرف بعضهما الى بعض ولكن ليس بالطريقة نفسها التي تعارف بها

الآنسة بيوش والسيد فولمر في الترام، لقد تعرفا الى بعضهما في القطار. جلس جيرهارد امامها وكانا عائدين بعد العطلة الصيفية . أحبها فوراً رغم وجهها الملتحي . ولم تطمح الى أنها ستحبه وتتعلق به بسبب شعر وجهها. استغربت جدرون من نعومة وجهه الطفولي وجلده الاملس. شاب أحصّ لاتنمو شعرة في وجهه مما يترك الفتيات حياله خجلات من أنفسهن . تحادث جيرهارد وجدرون حتى وصلا محطة ديزلدورف . اتفقا على الصداقة . بعد يوم السفر التقيا عدة مرات . في كل مرة استطردا بحديث عن شخصيهما وتبادلا الذكريات عدا أمر واحد لم يعرجا عليه : الوجه الاملس والوجه الملتحي . عطف جيرهارد على جدرون ولثم جلدها الاشعر . هكذا عاشا علاقة بريئة لانهما في نفس الوقت لايملكان فرصة لتجاوز ذاك القدر ذلك لأنها منشغلة بعملها الكيمياوي وهو من جهته يستعد لمزاولة مهنته بالطب.عندما أزجيت لهما النصيحة لارتياد القبو رفضا لأنهما علميًان هو كطبيب وهي ككيمياوية . اول الامر هزئا بابتسامة . واخيراً ذهبا لكي يشاهدا القبو وعالمه من باب الفضول . لم يشاهد أوسكار من قبل شباباً يبكون مثلهما . عاودا الذهاب الى القبو مرات عديدة واقتصدا ستة ماركات واربعين فنكاً مقتطعين المبلغ من مصروفهما اليومي . بكى الاثنان: الوجه الملتحي والجلد الناعم الاملس . جربا احيانا الابتعاد عن قبو البصل . لم يذهبا يوم الاثنين وبعده . ثم عاودا الذهاب يوم الاثنين التالي الى القبو . حاولا أن يعصرا باصابعهما البصل خارج القبو لكي يقتصدا مبلغ الستة ماركات والاربعين فنكا. كانا في غرفة وحاولا ان يفعلا مثلما فعلا في القبو . لكنهما لم يفلحا . يحتاج المرء في طقس كهذا

الىٰ مشاهدين ومستمعينَ . البكاء مع الجماعة يكون اسهل . يصل الانسان الىٰ حقيقة شعور الجماعة اذا كانت الدموع تذرف من جوانب المكان المختلفة يساراً ويميناً تحت المرسم وفوقه ، من هذه الكلية ومن تلك ، من طلبة اكاديمية الفنون ، ومن تلامذة الثانوية ..

أما حال جيرهارد وجدرون فقد وصل الىٰ أبعد من البكاء . لقد قاربا الشفاء واحتمال بأن الغدد الدمعية عندهما قد جفت . تعلقا ببعضهما اكثر . قبّلها من وجهها (الصافي) وتمتعت بنعومة جلده الاملس ايضاً .. وفي يوم من الايام انقطعا عن المجيء الى القبو ولم يرهما أحد فيه ذلك لانه لم يعد ضرورياً لهما .

قابلهما أوسكار يوماً بعد عدة شهور في الشارع الملكي . تعذر عليه التعرف اليهما في بادىء الامر أهذا هو جيرهارد ذو الجلد الاملس يلتحي اليوم بشعره الاشعث الاحمر أو هذه جدرون وهي التي كانت شعراء خشنة تبدو الآن وسيمة لابشعر بل بزغب علىٰ شفتها العليا يتلاءم مع وجهها. أصبح كل من الوجنتين والذقن أملس طبيعياً الاثنان ارتبطا بزواج أخيراً .

تخيل أوسكار : بماذا سيحدثون اطفالهما بعد خمسين عاماً . ستقول جدرون . كان ابوكم في يوم من الايام أملس الوجه ناعم الجلد وسيقول جيرهارد ، كانت امكم في يوم من الايام تعاني من كونها شعراء الوجه لذا فنحن الاثنين ـ كنا نذهب كل يوم اثنين الىٰ قبو البصل ..



## فولفجانج بورشرت (١٩٢١ ـ ١٩٤٧)

على الرغم من انه لم يعش طويلاً، إلاأنه احرز نجاحاً كبيراً من خلال كتابة مسرحيتـه الشهـيرة «في الخارج امام الباب» ومن خلال بعض القصص القصيرة، مثل «في يوم الثلاثاء هذا» و «ساعة المطبخ» و «الملوك السريون الثلاثة» و «ليلاً تنام الفئران... ايضاً» و «الخبز» و «اصوات من هنا وهناك» وغيرها...

حكم عليـه بالاعـدام مرتـين خلال الحكم النـازي ثم الغي الحكم واعيد قسرا الى جبهة الحرب .

عمل ممثلاً ومخرجاً مسرحياً اضافة الى اعمال اخرى ... توفي إثر مرض عضال في سويسرا .

الخبز
ساعة المطبخ
وليلا تنام الفئران ايضاً
اصوات هنا .. في الهواء .. في الليل
الملوك السريّون الثلاثة

# الخبز

عند الثانية والنصف ، هبت من نومها فجأة ، فكرت قليلاً : ما الذي أيقظني في هذا الوقت بالذات ؟

أجل ، تعثر شخص ما بكرسي في المطبخ .

أرهفت اذنيها نحو مصدر الصوت ... ثم ران الصمت ... تلمست الفراش فوجدته خالياً .. هذا هو اذن سرّ الصمت الذي يعم اختفاؤه .

نهضت .. ثم تلمست طريقها الى المطبخ وسط العتمة .. الساعة كانت الثانية والنصف ..

لاح شبح ابيض محاذياً الثلاجة . اضاءت المصباح فاذا هما وجهاً لوجه في ثياب النوم ...

على الخوان وضع طبق الخبز . لاحظت انه قد أقتطع قطعة من الخبز وما زالت السكين بجانب الطبق ؛ ومازال الفتات على غطاء الخوان ... كانت عادة تنظف المنضدة قبل ان تأوي الى فراشها كل ليلة .

سرت البرودة من أخمص قدميها الى أم رأسها فاشاحت عينيها عن طبق الخبز .

«ظننت ان امرأ ما حدث هنا» هتف ، ثم أجال بصره في زوايا المطبخ هنا ، وهناك .

«وانـا كذلك ظننت الشيء نفســه» اجـابتـه ثم تأملت وجهـه: فبـدا لهـا اكثر ايغالاً في الهرم في هيأته هذه ؛ مع انه يبدو اكثر شباباً في النهار رغم بلوغه الثالثة والستين ..
كان يتـأملهـا في اللحـظة نفسهـا ذات التأمل اذ بدت له هي الاخرى اكبر قليلا من سنها ، وعزا ذلك الى شعرها الاشعث في مثل هذه الساعة ؛ ذلك لأن شعر المرأة يلعب دوراً مهما في شكلها .. «ما كان عليك لتسيري حافية قد تصابين بالتهاب القصبات بسبب برودة الارضيـة».. اشـاحت نظرهـا فلم ترغب في رؤيته، وقد كذب عليها بعد تسعة وثلاثين عاما من زواجهما ..
«ظننت ان امراً ما حدث هنا» ثم اجال بصره في زوايا المطبخ ثانية بلا جدوى» .. «اعتقد ان امراً ما قد حصل» .
«وانا ايضا قد سمعت صوتاً .. ولكن لا يبدو ان شيئاً قد حدث» ثم رفعت طبق الخبز عن الخوان ونظفت غطاءه .
تمتم متلعثماً ثانية : «اجل . لم يحدث شيء»
تقدمت منه لمساعدته مؤكدة ان ماحدث كان في الخارج . نصحته ان يعود الى الفراش كي لا يمرض من شدة البرودة هنا ...
حدّق عبر النافذة :
- أجل كان ذلك في الخارج ، وقد توهمته هنا ..
قالت في نفسها عليّ اطفاء النور وإلا بقيت انظر الى الخوان ، وانا لا ارغب في ذلك .
«تعال يا رجل !» أطفأت المصباح واكملت :
«ماحدث كان في الخارج ، فالمرزاب يحدث صوتاً عند هبوب الريح فقد كان دائما سببا لهذا الصوت عند هبوب الريح ....»

تعثرا بسبب العتمة وهما يتلمسان طريقهما نحو غرفة النوم . غالط نفسه ، وتمتم .

«ربما كان عصف الريح هو ما احدث ذلك الصوت»

في فراشهما اكدت ثانية اشتداد الريح وارتطام المرزاب بالحائط ... بين اليقظة والنوم كان يهذي» كان المرزاب بالفعل ... كانت الريح فعلاً ، وانا الذي توهمت ان ذلك كان في المطبخ . انا مَن توهم ذلك ...»

شعرت باضطراب نبرات صوته وعدم وضوحها بسبب الكذب انه يكذب !

هتفت «الجو بارد..» ثم تثاءبت : «سأنام .. تصبح على خير !»

قال : «تصبحين على مثله . الجو بارد حقاً»

ثم هبط صمت ثقيل .

بعد دقائق سمعته يمضغ بهدوء مشوب بالحذر .. تظاهرت بالتنفس بانتظام وعمق كيلا تشعره بانها مازالت مستيقظة إلا ان انتظام وأيقاع مضغه جرّها وئيدا الى سنّة النوم ..

في اليوم التالي اضافت الى حصته قطعة رابعة من الخبز.هتفت: «تستطيع ان تتناول القطع الاربع كلها فاليوم لا اشتهي انا ان آكل سوى قطعتين ..»

راقبته ، كان يحتضن طبق الخبز حانياً عليه مقترباً من قعره . لم يرفع نظره عنه فاشفقت عليه ...

غمغم دون ان يرفع نظره اليها :

«مؤكد ، انّ قطعتين من الخبز لا تكفي ..»

«صحيح هذا بيد اني لا استطيع تناول اكثر من هذا مساءً ..

فكلْ يا رجل .. كلْ يا رجل !
بعد برهة جلست الى جانبه تحت المصباح ..
الآن اصبح الامر واضحاً لهما .

# ساعة المطبخ

قدم عليهم ومن بعد أبصروه... وجهه له سحنة شيخ طاعن في السن لكن خطواته تشي بأنه شاب في العشرين . كان ملفتاً للانتباه ..

اتخذ مكانه بينهم على المصطبة ، ثم تأملهم بوجهه الهرم . اراهم ما بيده هاتفاً :

«كانت هذه ساعتنا،ساعة المطبخ» ثم عرضها على الجميع واحدا تلو الآخر. تفحصها الجالسون في ضوء الشمس الساطع، فقال مع نفسه بصوت مسموع :

«نعم . لقد وجدتها .. الشيء الوحيد الذي تبقى

وضع على ركبتيه صحناً مدوراً ابيض ... تلك هي ساعة المطبخ . تلمس بأصبعه الارقام الزرق المرسومة على الصحن.

«انها لا تساوي شيئاً .. معذرة ! إنني اعرف هذا . انها ليست جميلة، مجرد صحن ابيض، بيد انني ارى الارقام الزرق تبدو جميلة .

عقاربها من المعدن ، وهي لن تتحرك أبدا ... أجل فأنا واثق ... إنها مهشمة من الداخل إلا انها تبدو كما تبدو دوماً ، رغم انها لا تتحرك .. خطّ باصبعه حول صحن الساعة دائرة تلفت الانتباه وهو يغمغم :

«انها البقية الباقية ..»

لم يعره احدٌ من الجالسين تحت اشعة الشمس ادنى اهتمام .. كان إحدهم ينشغل بالتحديق الى حذائه والسيدة كانت تراقب عربة الطفل .

هتف احدهم :

«من المؤكد انك اضعت كل شيء»

«اجل .. اجل» ، هتف بانشراح ، «كما قلت: لقد اضعت كل شيء عدا هذه الساعة انها ما تبقى لي .

ثم رفعها عاليا ثانية وكأن احداً لم يرها من قبل .

«لكنها عاطلة» هتفت المرأة .

«اعرف ذلك لم يكن ذلك قصدي . لكنها بالتأكيد ـ كما كانت دائما بيضاء زرقاء .» ثم عرضها عليهم كرة اخرى . كان اجمل مافي طريقة عرضه عصبيته

قال لهم : لم اقل عنها شيئاً . والآن سأوافيكم بأطرف ما فيها : لاحظوا ، لقد توقفت عِند الثانية والنصف . في هذا الوقت بالذات ، الثانية والنصف . لاحظوا ..!

قال احدهم ـ ماطاً شفتيه ـ «في مثل هذا الوقت كان بيتكم هدفاً ، هذا ماسمعته دوماً : عندما تتساقط القنابل تظل الساعات على الجدران لان القنابل تنهال على السقوف» .

نظر الى ساعته وبعد تفكير هزّ رأسه نافيا :

«كلا ـ ايها السيد العزيز ـ كلا لقد جانبك الصواب هنا . ليست ثمة علاقة بين الساعة والقنابل . ينبغي الا نعزو كل شيء للقنابل .. كلا انه لأمر جد مختلف . ذلك ما لا تعرفه انت .. المضحك ان تقف

الساعة عند الثانية والنصف ولا تقف عند الرابعة الا ربعا او عند السابعة مثلا،في الثانية والنصف كنت اعود الى البيت دوما .. اقصد في الثانية والنصف ليلا على الدوام... وهذه هي المفارقة تماماً.. حدق اليهم الا ان عيونهم كانت مزورة عنه فتساوى لديه وجودهم والعدم .

ثم تطلع الى ساعته هامساً : «.. وكنت جائعاً . اليس كذلك ؟ اتجهت الى المطبخ فوراً. وكانت الساعة الثانية والنصف تماماً وكالمعتاد. ورغم هدوئي وأنا افتح الباب تسمعني دوماً فاجدها امامي مسرعة الى المطبخ وبينما ابحث وسط العتمة عن شيء اتبلغ به ، تنير هي المصباح ... اراها واقفة ازائي مرتدية كنزتها الصوف . تلف حول عنقها فوطتها الحمراءوهي حافية القدمين كمااعتادت فمطبخنا كان مفروشاً طوال الوقت. كانت قد عمشت عيناها بفعل بهر الاضاءة ولأنها قد استيقظت تواً، ومازال الوقت ليلاً هتفت بي: «متأخر ثانية ؟!» لم تفه باكثر من هذا «متأخر ثانية» ثم سخنت لي العشاء ولزمت مجلسها جنبي تراقب كيف ازدرد طعامي كانت تغير موضع قدميها على ارضية المطبخ الباردة وكانت لا تحتذي حذاءً في الليل ابداً. جلست جنبي طوال الوقت حتى اكتفيت . وعندما استلقي على فراشي بعد انطفاء النور اسمع طقطقة الصحون كما في كل ليلة .

عند الثانية والنصف كان الشيء نفسه يتكرر دائما كل ليلة وفي كل مرة لم تكن لتزيد على «متأخر ثانية»
كنت واثقا ان ذلك سيبقى الى الابد دونما نهاية . كان ايماني بهذا امراً بدهياً . هذا كل مافي الامر ..

ران الصمت على الجالسين فوق المصطبة .
همس بصوت خافت: «والآن» .. ثم نظر اليهم وكأنه لا يحسّ بوجودهم ..

عاد الى ساعته هامساً في وجهها الابيض الازرق المدور ، وكأنه يذكرها بامه : «الآن .. الآن . عرفت ان تلك هي الفردوس .. الفردوس الحقيقي

قطعت المرأة حبل الصمت مستفسرة : «وأهلك» ؟
ابتسم بمرارة : «تقصدين والديّ ؟ نعم انهما ايضاً كل شيء .. كل شيء تصوّري .. كل شيء»
وابتسم ثانية بمرارة ، دون ان يوليها نظرة وحمل الساعة الى اعلى ، وهو يضحك مردداً :
«الوحيدة الباقية معي لاغير . واجمل مافي الأمر توقفها عند الثانية والنصف .. عند هذا الوقت بالذات ..

لم يفه بشيء بعد ذلك وبدا وجهه يهرم اكثر من ذي قبل .
كانت نظرات الرجل الجالس الى جواره تكاد تثقب الحذاء وجلّ افكاره واحاسيسه مشحونة بكلمة «الفردوس»

# وليلا تنام الفئران ايضا

تثاءبت شمس الاصيل قبل الاوان خلل الثقوب المحفورة في الاسوار الموحشة ... ومن بين حطام المداخن التي تطاولت اعناقها يوما ، ارتفعت متلألئة سحب من الغبار ..
هكذا حلمت احلام يقظتها خرائب ممتدة كالصحراء .
اغمض عينيه فاغتم كل شيء فجأة .. هجس خطوات شخص تتجه نحوه ثم تتوقف امامه ؛ فاستشعر النهاية الا انه ظل هادئاً ..
اختلس نظرة فابصر ذراعين مسترخيتين على ساقين مقوستين واستطاع ان يغامر بنظرة اخرى سريعة الى الجزء الاعلى من الوسط فابصر رجلاً هرما يحمل سكيناً وسلة وكانت اصابع يده معفرة بالتراب ..
سأله الرجل وهو يحدق اليه متفحصا من سمت الرأس الى أخمص القدم :
- «تنام هنا ، أليس كذلك ؟»
بعد ان لمح يورغن خيوط الشمس الحمراء المائلة الى الزرقة من خلال ساقي الرجل ، اجاب .
«كلا ، اني لا انام هنا بل يجب ان احرس هنا
هزّ الرجل رأسه :
«هكذا اذن ، لهذا تحمل هذه العصا الغليظة ..

«أجل» اجاب يورغن بشجاعة ، ومسك العصا بقوة .
«وما الذي تحرسه هنا ؟»
شدد قبضته على العصا هاتفاً : «لا استطيع البوح به»
«اتراك تحرس نقوداً ؟ اليس كذلك ؟» ثم وضع سلته على الارض وطفق يمسح السكين بسرواله .
أجاب يورغن بخوف :
- «كلا ! لا احرس نقوداً بل احرس شيئاً آخر»
- «قل ماذا تحرس اذن ؟»
- «ليس باستطاعتي البوح لكني حتما احرس شيئاً ما»
- « ان لم تبح لي فلن ابوح لك بما احمله في سلتي ..» ثم وضع قدمه على السلة ، واغمد سكينه .
حدق يورغن الى السلة . خمن ان مافيها ليس سوى علف للارانب
- «لقد وصلت بتفكيري الى ماتحويه سلتك» خمن يورغن واكمل «انه علف للارانب»
- «اللعنة !» قال الرجل بدهشة «نعم يالك من فتى ذكي شيطان ! كم عمرك ؟
- «تسع سنوات»
- «رائع .. تسع اذن» ثم اردف سائلاً بمزاح :
- «لابد انك تعرف كم يساوي ضرب ثلاثة في تسعة
- «حتماً» حاول يورغن ان يكسب الوقت فاكمل قائلاً «انه امر بسيط» . ثم حدق من خلال ساقي الرجل معيداً السؤال مرة اخرى «ثلاث مرات تسعة . اليس كذلك ؟
انها سبعة وعشرون» قور فمه واكمل :

هذا ما اعرفه من البداية
ـ «تماما ، صدق ظني» هتف الرجل «اذن ، لابد انك تعرف كم لدي من الأرانب .»
طارت اجابة يورغن وكأنها كانت مهيأة في فمه :
«سبعة وعشرون»
«تستطيع رؤيتها فمعظمها مازال صغيراً . أتود ذلك ؟»
رد يورغن بهلع :
ـ«لا يمكنني ذلك .. إنني غير قادر .. غير قادر على ترك حراستي»
ـ «اتحرس في الليل ايضاً» سأل الرجل
ـ «منذ السبت الماضي وانا احرس ليل نهار وسأظل كذلك»
ـ «ولكن الا تعود الى منزلك ؟. من اين تأكل اذن ؟»
أزاح يورغن صخرة كان يحتفظ تحتها بقطعة خبز وعلبة لحم
«أتدخن . اتمتلك غليوناً ؟»
أمسك يورغن العصا ، وبهدوء يشوبه الحذر ، هزّ رأسه قائلاً :
«لا احبّ الغليون»
انحنى الرجل ، رفع سلته ثم هتف :
«لو استطعت مبارحة هذا المكان لتمكنت من مشاهدة ارانبي سيما صغارها وربما اخترت واحداً منها ..
قال يورغن بأسً:
«كلا ... كلا ..»
رفع الرجل سلته متهيئاً لمبارحة المكان :
ـ «حقا .. انها لخسارة ان تبقى هنا» ثم ادار له ظهره
هتف يورغن بعجالة :

«ان لم تخني لاخبرتك بسبب وجودي .. ان وجودي هنا بسبب الفئران»

تراجعت الساقان المقوستان بضع خطوات الى الوراء

- « بسبب الفئران ..؟»

- «نعم ؛ فهي تفترس الموتى .. وهي تقتات على جثث البشر... مكانها حيث اقف ..»

- « من قال ذلك» ؟

- «... معلمنا»

- « اذن فأنت تحرس الموتى من الفئران» سأل الرجل

- «اجل ! احرس الموتى من الفئران» ثم همس قائلاً : «انا احرس اخي الصغير الذي غيبته الانقاض هنا» واشار بعصاه الى احدى الخرائب

«ذلك كان بيتنا الذي دمرته احدى القنابل فساد الصمت والظلام ارجاءه .

كان اخي في السرداب ، وظل هناك . صرخنا به محذرين الا انه كان اصغر من ان يعي . كان في الرابعة فلبث هناك ، ولابدّ انه مازال هناك ...»

رنا اليه الرجل بحزن ثم هتف فجأة :

«ألم ينبئكم معلمكم بأن الفئران تنام ليلا ؟»

قال يورغن هامساً متعباً :

- «كلا . لم ينبئنا بهذا ؟

- « اوه اي معلم هذا الذي لا يعرف أن الفئران تنام في الليل ايضاً !.. باستطاعتك ان تعود الى البيت ليلاً وتنام فالفئران تنام ليلاً

دائماً . تنام عندما يهبط الظلام»

عبث يورغن بعصاه صانعاً من التراب مقابر صغيرة ، معتقداً ان قبور الصغار لابدّ ان تكون صغيرة .

قال الرجل وساقاه المقوستان ترتعدان كما البيوت من جراء انهمار القنابل :

«اتعلم أن عليّ الذهاب الآن لاطعام ارانبي وسأعود بعد حلول الظلام لاصطحبك معي . ربما جلبت لك معي ارنباً صغيرة . اترى غير هذا ؟

عبث يورغن بعصاه مرة اخرى راسماً مقبرة صغيرة على هيئة ارانب بيض رمادية وهو يحدق الى الساقين المقوستين.

- «لا ادري ان كانت تنام في الليل فعلاً»

اتجه الرجل الى الشارع متعثراً بين الحفر وحجارة الخرائب وهو يردد :

«كان على معلمكم ان يبحث عن عمل آخر لجهله امراً كهذا .»

نهض يورغن وهو يقول :

«ان كان الامر كما قلت فلي رغبة باقتناء ارنب صغيرة ولتكن بيضاء ..»

هتف الرجل وهو يشق طريقه :

«سأحاول ولكن عليك ان تنتظرني لاصحبك الى البيت . ولأعلم والدك كيف يبني حظيرة للارانب .. اجل يجب ان تتعلموا ذلك .!»

قال يورغن هاتفاً :

«سأنتظر . أكيد سأنتظر فعليّ ان أحرس حتى يحلّ الظلام»

ثم اردف بصوتٍ عالٍ :
«اننا نمتلك الواحا وجسور خشب تكفي لبناء حظيرة للارانب»
إلا ان الرجل لم يسمع صيحة يورغن الاخيرة فقد توغل بساقيه المقوستين بعيداً باتجاه الشمس ذات الاشعة الحمراء والتي كان يورغن يبصرها خيوطاً حمراً من خلال ساقي الرجل اللتين كما لو كانتا تشكلان بتقوسهما اطاراً للوحة الغروب .
كانت السلة تتأرجح سابحة في الفضاء وفي داخلها طعام طازج للارانب الا انه كان ملوثاً برمم الخرائب .

# اصوات هنا... في الهواء... في الليل

سارت حافلة «الترام» خلال الضباب البليل وقت العصر .. كان الضباب مخيفاً والحافلة الصفراء ضائعة في خضم هوله .. كان ذلك في تشرين الثاني والشوارع خالية موحشة تحن الى البهجة ، ولا شيء هناك سوى الحافلة الصفراء تسبح فزعة في ضباب العصر .. استقل الحافلة خمسة او ستة اشخاص متوتري الاعصاب ، منفعلين . كانوا ضائعين ، وحيدين وقت العصر في تشرين الثاني إلا انهم هرباً من رطوبة الضباب اتخذوا اماكنهم تحت حرارة المصابيح الخافتة موزعين بتباعد ، في الحافلة ، وعلى انفراد .. هاربين من الضباب البليل.تكاد تكون الحافلة خالية عدا هؤلاء الخمسة الجالسين منفردين على المقاعد موزعين على زواياها . كانوا يستنشقون الهواء بعمق ...
المحصل كان سادسهم في هذه الحافلة الأخيرة الموحشة . حافلة الضباب وقت العصر .. وقف هنا بازرار بدلته النحاسية عديمة اللمعان ممسوحة المعالم ، يرسم وجوها مائلة على الزجاج المبتل .. تعثرت الحافلة الصفراء المتدحرجة في ضباب تشرين الثاني . في الداخل جلس الهاربون الخمسة في حين وقف المحصل هناك . كان هناك وجه هرم وقور واكياس من دمع عديدة تلتم في عينيه.

بدأ يردد من جديد وبصوت مسموع :

«إنها موجودة في الهواء.. في الليل . اجل في الهواء!لهذا لا يستطيع المرء ان ينام . لهذا السبب فقط .. انها الوحيدة الباقية.هذه الاصوات وحدها صدقوني !
انها الاصوات فقط»
انحنى المسن الوقور . ترجرج كيس الدمع بهدوء ثم وجّه أصبعه بوضوح الى صدر المرأة العجوز الاعجف التي كانت تجلس على المقعد المقابل،سحبت نفساً قوياً محدثة شخيراً خلل منخريها وبدأت تنفعل من الاصبع الموجهة الى صدرها ..
واستمرت تسحب أنفاساً قوية .. كانت مضطرة لفعل ذلك،لأن الربو كان قد استفحل عميقاً في القصبات . إنه ربو تشرين الثاني .. لكنها ورغم ذلك فما اثار حنقها سوى الاصبع الموجهة الى صدرها الاعجف .. الفتاتان الجالستان في الزاوية الثانية ضحكتا باستهزاء ، كما لو كانتا في عالم آخر . وكأن الحديث لم يكن عن الاصوات في الليل مع انهما العارفتان بوجود الاصوات في الليل .. هاتان بالذات كانتا تعرفان دون الاخرين ذلك، لكنهما كركرتا خجلا من موقفها ..
رسم المحصل وجوهاً مائلة على زجاج النافذة البليل ..
جلس هناك شاب شاحب وهو يغمض عينيه .. شاحب جداً . جلس هناك تحت دفء المصباح الضئيل . اغمض عينيه بقوة كما لو كان نائماً . وتعثرت الحافلة مترنحة صفراء خلال الضباب الموحش وقت العصر .
رسم المحصل وجهاً مائلاً على زجاج النافذة ثم قال للسيد المسن ذي العينين الدامعتين:«نعم ، هذا واضح .. الاصوات موجودة

هنا ... توجد اصوات لا تحصى .
خاصة في الليل طبعاً »
الفتاتان اخفيتا خجلهما . دغدغت احداهما الاخرى ، فكرت احداهما : ايّ بشكل خاص ليلاً .
سحب الرجل الذي تترجرج في عينيه اكياس من الدمع اصبعه عن صدر المرأة العجوز المزكومة ووجهها الى المحصل :
«استمع انت لما اقول ، لما اقول ! الاصوات موجودة هنا-في الهواء . في الليل .. وانتم يا سادة ..»
سحب اصبعه الموجهة الى المحصل واشار به الى الاعلى «اتعلمون ايضاً من هناك في الاعالي انها الاصوات ..؟
الاصوات .. الاصوات في كل مكان ، الاصوات تنتشر ليلاً ؛ اتعلمون كلّ هذا . اليس كذلك ؟
ارتجفت اكياس دموعه في موقي عينيه . كان الشاب الجالس عند مؤخرة الحافلة شاحباً ويغمض عينيه كما لوكان نائماً ..
«هم الموتى ، الموتى الذين لا تُحصى اعدادهم» همس الذي في عينيه اكياس الدمع . «الموتى يا سادتي ـ اعدادهم كبيرة . يتزاحمون في الهواء ليلاً . هؤلاء الموتى تتزايد اعدادهم . لم يجدوا لهم مأوى ، لأن القلوب كلها مترعة حدّ الشغاف›بقاؤهم في القلوب فقط امر اكيد ؛ ولكن الكثير من الموتى لا يعرف الى اين يتجه .... الفتاتان في الحافلة هما الوحيدتان اللتان حبستا انفاسهما . اما الشاب الشاحب فقد تنفس بعمق وبمكابدة وهو مغمض العينين وكأنه نائم ..
السيد المسن اشار بأصبعه الى مستمعيه واحداً بعد الآخر : الى

الفتاتين ، الى المحصل ، والى المرأة العجوز ، وهمس ثانية :
«ولهذا السبب لا ينام المرء ، لهذا السبب فقط .. مع وجود اعداد غفيرة من الموتى في الهواء وليس لديهم مأوى .. ينادون ليلاً باحثين عن قلب .. لذلك لا ينام المرء ؛ لأن الاموات لاتنام ليلاً .. انهم كثيرون خاصة في الليل ... ليلاً يتحدثون حين يسود الهدوء هنا حين يحل الليل تنتشر عباءة الصمت . ليلاً تعلو اصواتهم اذن-لذا يرقد المرء فزعاً .

بدأت المرأة العجوز المزكومة تشخر لدى استنشاقها الهواء .. اخذت تنفعل من همسات الرجل المسن .. لكن الفتاتين ضحكتا بسخف ؛ لانهما تعرفان اصواتاً اخرى في الليل ، اصواتا حيّة ، كأيدي الذكور التي تستقر راحاتها الدافئة على الاجساد العارية ، وتلك التي تسطو من تحت السرر ، خاصة في الليل.

ضحكتا وخجلتا من نفسيهما .. لا يعلم احد بأن الفتاتين قد سمعتا الاصوات ايضاً ، ليلاً ، في الاحلام .

رسم المحصل وجوهاً مائلة على الزجاج المبلول وهتف :
«أجل ، الموتى موجودون هنا . انهم يتحدثون خلال الهواء في الليل . اجل ! هذا واضح . هذه هي الاصوات . انها سابحات في الهواء فوق المضاجع . لذلك لا ينام المرء .. هذا واضح»
نشقت المرأة العجوز رشحها خلال منخريها وهزت رأسها مؤيدة :
«الموتى ، اجل الموتى . تلك هي اصواتهم . فوق المضاجع ، اجل فوق المضاجع دائماً .»
احست الفتاتان كأن أيدي ذكرية غريبة تستقر خلسة على جسديهما فاحمر وجهاهما .. في الحافلة في هذا العصر .. ولكن

الشاب الشاحب مازال وحيداً في زاويته يغلق عينيه كما لو كان نائماً . عندها وجه السيد المسن اصبعه نحو الزاوية المعتمة التي جلس فيها الشاب وهمس :

«نعم ، الشباب باستطاعتهم وحدهم ان يناموا ، عصراً او ليلاً في تشرين الثاني دائماً .

انهم لا يسمعون الموتى .. الشباب الذين يغطون بنومهم لا يسمعون الاصوات ..

نحن ـ المسنين ـ فقط لنا حسّ خفي . الشباب لا يملكون سمعاً للاصوات ليلاً . بأمكانهم ان يناموا ..»

كانت اصبعه موجهة من بعيد باحتقار الى الشاب الشاحب . تنفست الفتاتان بانفعال . عندها فتح الشاحب عينيه ، ونهض فجأة . ترنح متجهاً الى الرجل المسن فارتد اصبعه متراجعاً الى راحة يده خائفاً . وجمدت رجرجة اكياس الدمع لحظة .. الشاب الشاحب امسك وجه السيد المسن وهتف :

«انظر ، رجاء . لا ترمِ السيجارة . اعطنيها رجاء . احس بصداع لأني جائع . اعطنيها قد تنفع ، فحالتي سيئة» .

حالاً اخذت اكياس الدمع تترطب وترتجف بهدوء ، حزينة ، فزعة . هتف السيد المسن :

«اجل ، انت شاحب جداً . تبدو في حال سيئة ليس لديك معطف ، مع اننا الآن في تشرين الثاني .. »

«انا اعرف ذلك ، اعرفه ايضاً ..» قال الشاحب «توصيني أمي كل صباح بأن عليّ ان أرتدي المعطف ، لأنه تشرين الثاني . نعم ، انا اعي ذلك ، لكنها رحلت منذ ثلاث سنوات . انها لا تدري بأني لا

املك معطفاً . في كل صباح تردد أمي : انه تشرين الثاني . لكنها لا تعلم قصة المعطف ، لانها ماتت» .

تناول الشاب عقب السيجارة وهبط من الحافلة مترنحاً .. في الخارج كان الضباب منتشراً وقت العصر .. كان تشرين الثاني وفي هذا العصر الموحش سار شاب شاحب في يده عقب سيجارة .. جائع لا يملك معطفاً .. ماتت أمه وكان تشرين الثاني ..

في الداخل جلست الاثنتان وانفاسهما قد توقفت بصمت ووجوم . ترجرجت اكياس الدمع ، ورسم المحصل وجوهاً كبيرة مائلة على الزجاج ..

وجوهاً كبيرة مائلة ..

# الملوك السريّون الثلاثة

تخبط في طريقه خلال ضواحي المدينة المظلمة . البيوت ترتمي متهاوية تحت قبة السماء ، القمر هارب ، وبلاط الشوارع فزع من اصوات الخطوات الاخيرة ..

وجد لوحاً خشبياً سميكاً وعتيقاً ذلك حين وضع قدميه فاصطدمت بعارضة خشبية هشة . فزعقت العارضة وانكسرت . الخشب لين وذو رائحة زكية . وخلال ضواحي المدينة المظلمة تلمس طريقه عائداً حيث لم يعد هناك وجود للنجوم الخابية .

عندما فتح الباب واجهته زوجته بعينين زرقاوين من البكاء تلمعان في وجه شاحب . تتكاثف انفاسها وهي تجوس الغرفة فتضببها بلون ابيض من شدة البرد ..

ثنى ركبتيه وهو يكسّر الخشب . أنّ الخشب . ثم شم من حوله رائحة طرية زكية . تناول قطعة منه ووضعها تحت أنفه . تشمم رائحة شبيهة برائحة الكيك ...

ضحك بصوت خافت ..

لا ، قالت له عينا زوجته ، لا تضحك؟انه نائم .

وضع الرجل الخشب اللين الزكي في مدفأة معدنية صغيرة . بعد حين توهج الخشب وارسل ضوءاً دافئاً خلال الغرفة . سقط الضوء على وجه مدور صغير ، فأضاءه بومضة خاطفة . كان عمر الوجه

ساعة واحدة لكنه كان يحمل مواصفات وجه كامل : الاذنان ، الانف ، الفم ، العينان . العينان ينبغي ان تكونا اوسع ، لكن باستطاعة المرء ان يراهما مع انهما كانتا مغلقتين ..

والفم كان مفتوحاً وينفث بهدوء ... اما الانف والاذنان فقد كانت محمرّة. انه يعيش ، اعتقدت الأم .. والوجه الصغير نائم .

«هنا توجد عصيدة عدس ملفوفة بقطعة من قماش قطني» ، قال الرجل .

«نعم» اجابته زوجته «هذا جيد» ،«إلا انها باردة ..»

اخذ الرجل بعضاً من الخشب اللين الزكي .. للتو انجبت طفلاً ولابد انها ترتجف برداً الآن . فكر الرجل الا انّه لم يهتدِ لمن كان سبب هذه التعاسة ليهشم وجهه .

عندما انفتح الباب سقط نور خافت على الوجه الصغير النائم .

هتفت الزوجة بصوت خافت :

«انظر ! لكأنه نور قدسي !

«نور قدسي !» فكر الرجل الا انه لم يهتدِ لمن كان وراء تعاستهما ليهشمه .

هناك عند الباب وقف اشخاص .. «لقد ابصرنا النور من النافذة»

«نريد ان نمكث هنا عشر دقائق لاغير ..»

«ولكن هنا طفلاً معنا» هتف بهم الرجل

لم ينبسوا ببنت شفة ، بل ولجوا الغرفة .. ثم زفروا الضباب من انوفهم رفعوا اقدامهم وعرضوها للنار ..

«نحن هادئون» همسوا بهدوء ..

رفعوا اقدامهم ثانية . بعد ذلك سقط النور عليهم

كانوا ثلاثة ، بالزي الرسمي العتيق . اولهم كان يحمل علبة ورقية والثاني سلة .. اما الثالث فكان اكتع .. قال «انها متجمدة ..» ورفع المبتورة الى اعلى . ثم ادار للرجل جيب المعطف . كان الجيب يضم تبغاً وورق لفاف ..

لفّوا السجائر ، ولكن المرأة اعترضت : «كلا .. الطفل !» عندها تسلل الرجال الاربعة الى الخارج ... شكّلت سجائرهم اربع نقاط مضيئة في الظلمة . كانت قدما احدهم متورمتين وملفوفتين . سحب قطعة خشب من السلة منحوتة على شكل حمار . قال : منذ سبعة شهور وأنا انحتها من اجل الطفل ..

قالها ثم اعطى الرجل قطعة الخشب.

«ما الذي حدث لقدميك ؟» سأله الرجل

«الماء» قال نحات الحمار «من الجوع ..»

«والآخر .. اقصد الثالث ؟» سأل الرجل مرة ثانية وهو يتحسس الحمار في الظلمة ..

ارتعش الثالث في بدلته الرسمية وهو يردد : «خوفي الابدي هو ما انهك اعصابي» .

اطفأوا سجائرهم ثم دلفوا الى الغرفة ثانية بهدوء وهم يرفعون اقدامهم ويضعونها بهدوء . تطلعوا الى الوجه الصغير النائم . اخرج الرجل المرتعش من العلبة الورقية قطعتي ملبس وهتف : «هذه هدية للسيدة» .

فتحت الزوجة عينيها وعندما ابصرت الثلاثة السريين في الظلام وهم ينحنون على الطفل ، تملكها الفزع . واذا بالطفل يتشبث بقدميه في صدر امه وهو يصرخ بقوة ، مما جعل الثلاثة «يحملون» اقدامهم

ويستعجلون الخطوات الى خارج الغرفة ، راكبين ظلام الليل . غادروا وهم ينحنون للطفل .
تابعهم الرجل بنظرته «عجيب امر هؤلاء القديسين» . قال لزوجته ، ثم اغلق الباب ، «انهم طيبون» همهم بصوت غامض ، ثم نظر الى عصيدة العدس ولكنه لم يهتدِ للوجه المسؤول ليسحقه بقبضته .
صرخ الطفل بصوت عالٍ . اقتربا منه .. همست الزوجة «انظر ، انّه حي» قالتها بفخر «انظر لقد غابوا»
فتح الوجه الصغير فمه ، وصرخ
«انه يبكي ؟» سأل الرجل
«كلا . اعتقد انه يضحك» عقّبت الزوجة، «اشمّ رائحة زكية جداً كرائحة الكيك» قالها الرجل وهو يتشمم الخشب اللين .
«اليوم هو عيد الميلاد» هتفت الزوجة
«نعم.عيد الميلاد» دمدم ، ثم سقط نور ضئيل على الوجه الصغير النائم .



## فرانز كافكا (١٨٨٣ - ١٩٢٤)

ولد فرانزكافكا عام ١٨٨٣ في مدينة براغ ، وعاش عيشة الموظف البسيط ، وتوفي في كيرلنج بالقرب من فينا في عام ١٩٢٤ مصدوراً . لم ينشر في حياته سوى بعض الروايات القليلة التي لم تكن تحظى بقبول الناس يومئذٍ ، مثل «التحول» عام (١٩١٦) و«المحاكمة» عام (١٩١٦) و «في مستعمرة التعذيب» و«طبيب الارياف» عام (١٩٢٠) وبعد وفاته وفي عام ١٩٥٠ نشرت مؤلفاته الادبية التي تقع في عشرة مجلدات ، ومن بينها الروايات الشهيرة : «المحاكمة» أو «القضية» و«القصر» و«التحول» و«امريكا» فأثارت موجة من النقد والاعجاب . كتب بعض الاقاصيص الصغيرة مثل «عند تشييد سور الصين» و«الاستعدادات للزفاف في الارياف» علاوة على بعض الرسائل والمقطوعات الادبية .

حاولت كتاباته العميقة ان تحلل وتشرح النفس البشرية وسط مؤثرات البيئة ، متأثراً بالمذهب السيكولوجي .

# طبيب الارياف



كنت في وضع حرج جداً : لقد أستدعيت فجأة لعيادة عاجلة .. هناك مريض بحالة خطيرة ينتظرني في قرية على بعد عشرة اميال والثلوج المتراكمة زادت بعده عني ، وأنا املك عربة خفيفة ، عجلاتها كبيرة ، مصممة وفقاً لدروب قرانا : مقاعدها مغلفة بالفرو .. وهاهي حقيبة اجهزة الفحص جاهزة في يدي ، وانا مستعد للسفر ، واقف امام البيت ، لكن ينقصنا الحصان ... نعم الحصان ، فحصاني كان قد نفق الليلة الماضية من شدة الاعياء الذي اصابه في هذا الشتاء القارص . خادمتي طافت القرية كي تستعير لنا حصاناً ؛ لكن جهودها باءت بالفشل ، وكنت اتوقع ذلك ..

كان الثلج ينهمر بغزارة ، وبت غير قادر على الحركة ، وأنا اقف منتظراً هنا بلا جدوى . من بعيد عادت البنت وحيدة ، يهتز في يدها المصباح : طبعاً مَن يعير حصانه الآن لسفرة كهذه ؟

لقد جبت الفسحة امام البيت حتى حفظت مساحتها شبراً شبراً . وحين لم اهتدِ الى وسيلة ، غضبت وتمزقت ، ثم اصطدمت قدمي ببوابة لحظيرة خنازير قديمة مهجورة .. فتحت البوابة بضربة من قدمي والتي كان يربطها مسمار كبير واحد . انبعثت حرارة ورائحة نحو الخارج . انها رائحة خيول . كان هناك في

الداخل فانوس يتأرجح معلقاً بعمود حديد . وكان هناك رجل قد كبب جسده في آخر الاصطبل في حجرة خشبية ، كان يفتح عينه الزرقاء «ينبغي ربط الحصان بالعربة» وظل مقرفصاً أطرافه في صدره .

لم اعرف بماذا اجيبه وانحنيت فقط لكي اشاهد ما يمكنني مشاهدته في هذه الحجرة . الخادمة كانت واقفة بجانبي . هتفت «لا يعرف المرء كلّ الاشياء التي في بيته» ثم ضحكنا نحن ـ الاثنين .

«أيـهـا الاخ، ايـتهـا الاخت»، هتف عامـل الاصـطبـل. عنـده حصانان قويان . بدأ يزحفان وراءه واحدا إثر الآخر . كانت اطرافهمـا عنـد بطنيهما. وكان رأساهما مشهرين كرؤوس الجمال. كانا في وقت الراحة ، ولكنهما هبّا واقفين فجأة . رفعا اطرافهما الامامية الى الاعلى ثم تصاعد البخار من جسميهما . «ساعديه !» امرتها . اسرعت البنت الى عامل الاصطبل لتناوله عدة الخيل . عند وصولها الى جانبه ، ضمها فصدم وجهه وجهها . صرخت البنت ثم احتمت بي ، احمرت وجنتها بسبب كسر سنين من اسنانها ..

«انت ايها الحيوان !» صرخت به غاضبا واكملت «أأجلب لك السوط ؟.» تداركت نفسي بسرعة ، أنه رجل غريب ، وانا لا ادري من اين جاء ، ثم انه يقدم لي المساعدة ، رغم احجام الجميع عن مسـاعـدتي. عنـدمـا ادرك احساسي هذا المنبعث من تفكيري، قدّر تقريعي فلم يغضب ، بل ادار جسمه فقط ثم انشغل بتجهيز الخيل والعربة . «اصعد» هتف بي . وبالفعل فقد كان كل شيء جاهزاً . كانت مفاجأة غير متوقعة ، ولاحظت بدهشة انني اصعد الى العربة ، وأنا سعيد . ثم انني كنت دائماً اقود العربة . سوف

اجلس هكـذا اتـطلع يميناً وشمالاً. قلت له «من المؤكد انك لاتعرف الطريق»، قال «أنا لن اسافر معك، سأبقى مع روزا». «كلا» صرخت روزا وانــدفعت نحــو البيت تلعن حظهـا، سمعت صَلْيَلَ السلسلة الحديدية. ووصلتني تكتكات قفل الباب ثم شاهدتها وهي تدخل الممر وتـدلف الى الغـرف وهـي تطفـيء كلّ انـوارهـا لكـي لايهتـدي اليها..

قلت له «انت تسافر معي أو استغني عن هذه الرحلة، فليس ما يستـوجب ذلك. لم يخـطر ببـالي أن اقايضك البنت ثمناً للحصان.» تحرك عامل الاصطبل ثم هتف بي: «تحرك!»

ثم صفق للخيل بيديه فانقلعت العربة من مكانها كخشب تقتلعه الريـاح؛ ثم سمعت اهتـزاز باب بيتي، وهـو يفتـح على اثر الضجة التي احـدثهـا عامـل الاصطبل، وتناثر الحصى بفعل العربة فرشق البـاب بعنف. اختلطت عليَّ الاصـوات مع صريـر الريـح. وتوحدت رؤيـة الاشيـاء بشيء واحد بفعل السرعة. كلّ هذا مرّ وكأنه لحظات حتى وقفنـا على باب دار مريضي. اذن فقـد وصلت. هدأت الريـح، توقف سقـوط الثلج ايضاً. خرج والدا المريض على عجل من الدار؛ وخـرجت اخت المـريض تركض خلفهمـا، انـزلوني من العـربـة، هضلوا بكـلام كثـير لايهمني بشيء. كان هواء غرفـة المـريض غير صحي؛ انـه مشبـع بغـاز الفحم. عزمت على فتـح النـافذة ورؤية المـريض اولاً. كان نحيفـاً غير محمـوم، لم يكن جسـده بالبارد ولا بالسـاخن، عينـاه غائـرتان. وهو عارٍ تحت لحافه. رفع جسمه قليلاً وهـمس إلي: «دكتـور، دعـنـي امـت!» نظرت حولي. لم يسـمعـه احـد. كان الوالدان يقفـان واجمين حانيي الرأس ينتظران قراري.

جلبت اخت المـريض كرسيـاً لحقيبتي؛ فتحتهـا ورحت انقب بين اجـهـزتي. كان الصبي يتحسسني بيـده من تحت اللحـاف لكي يذكـرني برجـائـه. مسكت ملقطاً، وفحصته تحت ضوء المصباح ثم اعـدتـه الى مكـانـه ثانية. فكرت طويلاً ثم كفرت ولعنت وانا اقول: «اذن على حالتـك هذه، لتسـاعـدك الالهة بأن ترسل اليك الحصان السماوي الذي يختزل لك الزمن، تضيف قوته الى قوة حصان عامل الاصـطبـل»، الآن خطرت روزا في فكري، ماذا افعل، كيف يمكنني انقـاذها من عامل الاصطبل؛ وهي على مسيرة عشرة اميال من هنا، وحصـانـا عربتي عاجـزان عن ايصالي بسرعة؟ كان الحصانان قد تقـطعت سيورهما والنوافذ التي تتكىء عليها الرؤوس تنتظر صراخ العائلة وهي تراقب المريض بقلق فكرت «لأعد حالاً» وكان الحصانان قد آذنا للرحيل. لكنني صبرت.

اخت الصبي التي ارادت ان تقيني قسوة البرد،قدمت لي كأساً من شراب الروم؛ والرجـل الكبـير ربت كتفي، ان واجبـك المقـدس قد انتهى، وان حظه العـاثر قد قاده الى النهاية الفاجعة. واسيته بهزة رأس؛ لقـد أثـر فيَّ بعمق مما جعلني أعاف كأس الشراب. قعدت أم الصبي على سريره تنظر اليّ وانا اوالي فحصه وصدره تحت ذقني المبتل ...

صهل الحصان عالياً حتى كاد سقف الغرفة ينخلع . لقد أدركت من كلّ ما توصلت اليه ان الصبي سليم لكن صحته قد ساءت بفعل نزيف داخلي سببه حنان الام الذي دفعها الى أن تسقيه المزيد من القهوة . انه سليم ومن الافضل له ان يغادر سرير المرض ... انني لم ابعث مصلحاً لهذا العالم وعليّ الا اتركه كما هو . انا

موظف في القــريــة. أؤدي واجبي ضمن الحــدود، باذلاً قصــارى جهـدي. راتبي متــواضــع، وأنــا زاهد بطبعي واساعد الفقراء وعليّ ان أعنى بالفتاة روزا ايضاً. واعتقد أن الصبي على حق، فأنا اتمنى الموت ايضا.

ماذا افعل هنا تحت قسوة هذا البرد القارص؟ لقد نفق حصاني؛ ولاأحـد في القرية يعيرني حصانه. سأفتش في حظيرة الخنازير لعلي اجـد حصــانــاً، وان لم اعثـر على واحد فلسوف اشدّ على الخنازير بدلاً من الحصن. هكـذا هي الحــال.. ثم اومأت للعائلة برأسي، فلم يفقهـوا شيئــاً، واذا عرفوا لايصدقون. كتابة وصفة طبية أمر سهل لكن اقنــاع النــاس والتفــاهم معهم صعب جداً.. اذن انتهت الآن مهمتي. مرات كثيرة استدعيت لانقاذ بشر ولكن بلا جدوى.

اعتــدت انــا الطبيب حالي هذه، فالقــريــة كلهـا ترهقني بطلب المســاعدة في ساعات متأخرة من الليل. لكن الآن حلّ دور روزا كي اقـدم لها المساعدة، تلك الشابة الجميلة التي خدمتني سنين طوالاً ولم تلق مني العنــاية الكافية، ولم اكترث لوجودها مع انها تعيش في بيتي ـ هذه الصحبــة قد تنــامت، ويجب عليّ ان افكـر لهـا بحيلة شرعيــة من باب المساعدة. يجب ان ادبر خطة كي اتخلص من هذه العائلة التي هي في كلّ الاحوال لايمكنها ان تعيد لي روزا ثانية.

عنـدمــا اغلقت حقيبتي الطبيــة، واشرت لجلب معـطفي الفــرو استعداداً للرحيل، وقفت العائلة احتجاجاً، أخذ الأب يشتم ويلعن، وبيده كأس شراب الروم، الأم ربما اصيبت بصدمة المفاجأة ـ اجل ماذا يرجـو الناس؟ دموع سالت حتى وصلت الشفاه المطبقة واخت الصبي تتخـطى الغـرفة، وبيدها منديل مبتل بالدم، وانا إزاء حالة

كهذه علي ان اذعن للواقع ، وأعترف بان الصبي مريض .. تقدمت نحوه فابتسم لي ، كما لو قدمت له النجيع الشافي ـ آخ ! الخيل تصهل . ضجيج يوقظ القرية كلها ، مما يسهل عليّ عملية الفحص . الآن قد توصلت : اجل ، الصبي مريض ففي صفحته اليمنى في منطقة الردف تنفغر فتحة دامية واسعة ، سعة راحة اليد وردية اللون في جوانبها ، غامقة في عمقها . فاتح لونها حول فتحتها العليا ، ناعمة دماملها، يتجمع فيها الدم على نحو غير متساو.

تبدو فتحتها في وضح النهار ومن بعيد ـ كباب منجمٍ جبلي . ومن قريب تبـدو اكثـر تعقيـداً لمن يستـطيع النظر اليها دون ان يصفر باندهاش ؟

ديدان وردية غليظة وطويلة تسلقت يدي وهي تنفث دما . تدور حول نفسهـا ويتشـابـك بعضهـا ببعض، متشبثـة بعمق الجـرح. ولهـا رؤوس بيض،وعـدة اطراف. ايـهـا الصبي المسكـين! ليس عندي طبك . لقد اكتشفت جرحك الفاغر ، بهذه الوردة على جانبك ستكون نهايتك ...

العائلة منبسطة إذ تراني منهمكاً بعملي . الأخت تخبر الأم ، والأم تخبر الأب ، والاب ينقل الاخبار لضيوفه الذين يقفون على رؤوس اصابعهم وينتظرون . وضوء القمر يتسلل من خلال فرجة الباب المفتوحة . «سوف تنقذني ؟» همس الصبي منتحباً ، متشائماً ، يائساً من حياته بسبب جرحه ... هكذا هم الناس في قريتي ، يطلبون من الطبيب المستحيل دائماً ... المعتقدات القديمة قد نسيها الناس ، ولم يبق امام القس سوى ان يلازم البيت،لا عمل له سوى ان ينكث ملابسه الرثة ؛ اما الطبيب فعلى عاتقه مسؤولية

كل شيء . فباصابعه الناعمة يجري الجراحة ...

مطلوب مني مواجهة واقع كهذا . انا لم اتطوع لمساعدتهم ؛ ومع ذلك استهانوا بالواجب المقدس، دعهم يفعلوا بي ما يشاءون .
ماذا اريد افضل من هذا كله ، اقدم طبيب في القرية ، وقد اختطفت خادمتي !
اراهم يأتون اليَّ ، العوائل وكبار القرية ينزعون عني ملابسي ، رهط من التلاميذ مع معلمهم يقفون في المقدمة وينشدون مقطعاً من الكتاب بلحن بسيط :

«انزعوا عنه ملابسه ، بعدها سيشفى ،»
«واذا لم يشفَ ، اقتلوه إذن !»
«أنّه فقط طبيب ، انه طبيب فقط .»

بعد ذلك خلعوا عني ملابسي ، وأنا أنظر ، أصابعهم في لحاهم ، ورؤوسهم حانية الى الاسفل هادئة ... مسكوني ثم راحوا يفكرون ، وأنا أنتظر . ولكن لا أحد ينقذني . انهم يحملونني الآن من الرأس والقدم الى الفراش ، الى الجدار ، ويضعونني جنب الجرح . وبعد ذلك يغادرون الى خارج الغرفة وسيغلق عليّ الباب ؛ ثم تصمت الاغنية؛ غيوم تغطي القمر ، أغطية دافئة تغطي جسدي في الفراش ... ظلال كثيرة متأرجحة ، ورؤوس الخيل تطلّ من ثقوب النافذة . «أتعرف» اسمع صوتك في أذني «انعدمت ثقتي بك . إنك واحد من هؤلاء الذين لا يستطيعون الوقوف ، وبدلاً من أن تخفف عني ، جئت تضيّق عليّ فراش موتي ، ومن الافضل ان أقلع لك عينيك .»

«صحيح» قلت له «هذه اهانة، وأنا طبيب، فما الذي بيدي فعله؟ صدقني، انّ هذا الامر ليس سهلاً عليّ».. بهذا القدر من الاعتذار كنت اعتقد انني قد محوت اثمي. آه. انني هكذا دائماً ينبغي ان ابحث عن المبررات.

«جئت الى هذا العالم، وأنا أحمل معي جرحاً جميلاً، وهذا هو قدري» اجبته «صديقي الشاب. غلطتك هي أنك محدود الافق. وأنا الذي عملت مع المرض في كل مكان. بعيداً أو قريباً راجعت مرضى، اقول لك، جرحك ليس عسيراً شفاؤه. وشفاؤه ان يبتر طرفك ولن تشعر بشيء. الكثيرون يقدمون اطرافهم للبتر. وستخلد الى الصمت عند حصول ذلك».

«أحقاً.. ان الامر هكذا، أم انك توهمني بسبب سخونتي العالية؟»

«حقاً. انه هكذا. أعتمد على كلمة شرف من طبيب رسمي!» بعد ذلك وثق بكلامي وصمت.

الان حان الوقت للتفكير بخلاصي من هذا المأزق. مازال الحصانان يراوحان في مكانهما. الملابس، الفرو والحقيبة الطبية. كل شيء اصبح جاهزاً لم أدع مجالاً للتأخير بسبب ارتداء المعطف.

استعدت الحصانين كما في بدء الرحلة الى هنا.. قفزت من ذاك الفراش الى فراشي...

رميت عدتي في العربة . المعطف سقط بعيداً ، وعلق المعطف بطرف العربة . الى هذا الحدّ والأمر جيد . انحنيت على احد الحصانين كان مفكك السيور . كان رباطه مع صنوه غير وثيق .

احكمت ربطهما بالعربة . هتفت «انتبه» ، لكن الكلمة لم تؤد مفعولها ، سرنا ببطءالعجائز وسط صحراء الثلج ، اصوات تتعالى خلفنا ، انها كلمات الاغنية وقد تضمنت اخطاء ، انها اغنية للاطفال ، «افرحوا ايها المرضى ، لقد جاءكم طبيبكم مضطجعاً في الفراش !»

لن اصل الى البيت بوضعي هذا ابداً . لقد ضاعت مني عيادتي المزدهرة . خليفتي سوف يسرقني ، ولكن بلا فائدة : لأنه لن يستطيع ان يسدّ فراغي في بيتي عامل الاصطبل الغاضب الحاقد ، وروزا هي الآن ضحيته . وانا لا احتمل تصوّرها عارية في احضانه . في هذه العصور المجدبة المغطاة بالصقيع. ها انذا أجوب الارض بعربة دنيوية وخيول سماوية. انا الرجل المسن. معطفي الفرو معلق آخر العربة ، لا استطيع ان اصل اليه ، ولا احد من المرضى يعينني على جلبه لكم،انا مخدوع ! مخدوع في هؤلاء المرضى ! اذا لبى المرء مرة نداء الخفارة الليلي بلا روية ، فسينتظره خطأ لا صلاح له !



## فريدريش دورنمات (١٩٢١)

ولد في عام ١٩٢١ في سويسرا . وقد برهن على عبقريته في وضع المسرحيات التي نشرها بعنوان «زواج السيد ميسيسيبي» و «الملاك هبط في بابل» و «زيارة السيدة العجوز» و«الفيزيائيون» و «النيزك» (١٩٦٦) . واشتهر ايضا بتمثيلياته المسماة «العراقيل» او «العطل» وكتب قصصا عديدة.

# الكلب

خلال الايام الاولى لوصولي المدينة ، ابصرت جمعا غفيرا من الناس في الساحة الصغيرة امام دار البلدية يحتشد حول رجل رث الثياب يتلو الانجيل بصوت عال ؛ بينما كان هناك الكلب الذي يحتفظ به دوما الى جانبه يقعي تحت قدميه .. لقد لاحظت الكلب متأخراً . دهشت كيف اني لم الاحظ ولم انتبه لوجود هذا الحيوان المرعب .. وبدا ذلك بسبب اللون الاسود الغامق الذي يغطي صدره وبطنه . اما القسم العلوي منه فكان مغطى بشعر مبتل . لقد كانت عيناه ذاتا لون أصفر كالكبريت . وحين يُفغر فمه الواسع يتملكني الخوف ايضا لمرأى انيابه الصفر ايضا .. كان جسمه مخيفاً ايضاً لاشبيه له بين الحيوانات . لم اكن استطيع احتمال نظراته طويلا فابعدت عيني نحو الرجل المتدين . كان قصيرا بدينا ملابسه رثة ممزقة الا ان جلده بان نظيفا من خلال ثيابه الخلقة وكانت ثيابه رغم رثاثتها نظيفة ايضا . الانجيل الذي يحمله كان يبدو ثمينا من خلال غلافه المرصع بالذهب والماس . كانت نبرة الرجل وهو يتلو هادئة على وتيرة واحدة . كلماته تترك بوضوحها تأثيرا ساحرا ؛ لذلك كانت تلاوته بسيطة مؤثرة . لقد جلب انتباهي حججه التي لاتحتاج الى امثلة وبراهين .. كانت عظته هادئة واقعية لانها تنهل تفسيرها من كلمات الانجيل في معظم ماذكره . واذا ماورد فيها بعض الكلمات

المبهمة غير المقنعة فان الامر يعود الى جو الرعب الذي تتركه هيأة وتحفز الكلب الذي يقعي عند قدمي الرجل بلا حركة وهو يرقب الناس بعينين صفراوين .. تلك الرابطة بين الرجل وكلبه هي التي اوقعتني في اسرهما واغرائهما ، ودعتني اتابع واراقب حركات الرجل وسكناته بكل فضول ..

كان الرجل المتدين يعظ كل يوم في ساحة من ساحات المدينة او في زقاق من ازقتها . كان من العسير علي ان اهتدي اليه بسهولة رغم من ان عمله كان يستمر حتى ساعة متأخرة من الليل . ذلك لان دروب المدينة كانت تتوهني على الرغم انها بنيت بطراز بسيط ومنظم . كما انه كان قد اعتاد ان يغير مجلسه بين حين واخر ولايعود لمكان وعظ فيه يوما . لم يضع لحركة عمله نظاما ثابتاً ، احياناً يعظ طوال اليوم دون انقطاع ، وفي ساحة واحدة ؛ واحياناً يغير اماكنه بعد كلّ نصف ساعة . دائماً برفقة كلبه الذي كان يسير معه خطوة اثر خطوة في شوارع وازقة المدينة ، اسود وكبير مفزع .. يضطجع على الارض بجسمه الثقيل عندما كان الرجل يعظ ؛ وقد اجتمع حوله نفر قليل .. في اغلب الاحيان كان يكرز وحيداً ؛ لذا سهل عليَّ مراقبته ، ولم تكن لتربكه مراقبتي له ولا يغادر مكانه بل يواصل حديثه .. غالبا ماتفحصه حين يقف في زقاق ضيق منتصباً يتحدث بصوت عال بينما بإمكانه ان يدخر جهده هذا لشارع اعرض ، ولجمهور أوسع .

لم استطع ان اهتدي لاسلوب معين ثابت للعثور عليه بل اصبح ذلك متروكا للصدفة . وحاولت كثيرا ان اهتدي لمسكنه وحدي غير معوّل على دلالة الاخرين بان اتابعه طوال النهار خطوة خطوة . كان

عليّ ان اكرر محاولتي أياماً عديدة ذلك لانه يغيب عادة عن عيني في ساعات الليل المتأخرة بسبب اجهادي الشديد وبسبب خشيتي من اكتشافه خطواتي لو دنوت قريباً منه.

اخيراً وفي ساعة متأخرة من الليل لمحته يدلف الى احد البيوت في واحد من الاحياء التي يقطنها الناس الموسرون.. جعلني اكتشاف هذا الامر مندهشا ، ومنذ تلك اللحظة غيرت سلوكي معه ، وتخليت عن ملاحقتي له . ودنوت يوما منه كثيرا لكي يلاحظني ملياً ويتأكد من حسن نيتي ويثق ببراءة سلوكي من قصد مضايقته ، وظل الكلب ـ فقط ـ يهرّ كلما اقتربت من الرجل . مضت عدة اسابيع على هذا المنوال ، وفي احد ايام الصيف الآفلة وحين انهى الرجل عظته من انجيل يوحنا اقترب مني ورجاني ان ارافقه الى البيت .

اجل طالما كنا نسمع وقع خطواتنا واحدة اثر اخرى في الازقة ..

وعند دخولنا البيت كان الظلام يخيم عليه ، ولدى دخولنا الغرفة الكبيرة التي قادني اليها كان فانوس يضيء المكان .. كانت الغرفة منخفضة عن الشارع لذا اضطررنا الى نزول سلم صغير . لم استطع مشاهدة جدرانها ؛ لانها كانت مغطاة برفوف مكدسة بالكتب . تحت نور الفانوس وضعت منضدة كبيرة بسيطة من خشب الصنوبر ؛ تقف بجانبها فتاة تقرأ كتاباً وترتدي ثوباً ازرق غامقاً . لم تستدر نحونا حين ولجنا الغرفة .. وتحت احدى النافذتين في القبو المغطاة بقماش توجد فرشة ووسادة ، وفي الجهة المقابلة جنب الجدار يوجد سرير . وهناك كرسيان جنب المنضدة .. والى جانب الباب تنتصب مدفأة .

حين خطونا بضع خطوات باتجاه الفتاة ؛ أدارت جسمها

باتجاهنا فبان وجهها . مدّت يدّها لي ، واشارت الى احد الكرسيين . وفي اللحظة التي هممت بالجلوس لاحظت الرجل وقد تمدد على الفرشة بينما اقعىٰ الكلب ممدداً عند قدميه ايضاً ..

«هذا هو أبي» هتفت الفتاة ،«انه ينام فقط ولايسمعنا حين نتحدث .. اما الكلب الاسود الكبير فليس له إسم . داهمنا يوماً ذات مساء ، حين كان أبي يعظ الناس في احدى الساحات . لم نكن نفتح الباب بالمفتاح دائما لذا تمكن وبحركة بسيطة ان يرفع المزلاج عنه ويقفز الى الداخل» .

وقفت في حضرة الفتاة كالاخرس ثم سألتها بصوت هادىء «ماذا كان ابوك اذن في الماضي ؟ كان ابي رجلا ثريا يمتلك مصانع عديدة» اجابت الفتاة وهي ترخي جفنيها الى اسفل ثم اكملت «هجر أُمي واخوتي من أجل ان يقول للناس الحقيقة».

«أتعتقدين اذن ان مايعلنه أبوك الان هو الحقيقة » سألتها . «أجل. هذه هي الحقيقة» هتفت الفتاة«لقد كنت واثقة دائما من إنها هي الحقيقة . لهذا سلكت الدرب نفسه معه . ورضيت سكنىٰ هذا القبو ؛ لكنني لم اكن لاعرف ان هذا الكلب سيظهر لكل من يقول للناس الحقيقة» .

صمتت الفتاة، وحدقت الي وكأنها تطلب مني امراً لايمكن ان تعلنه بصوت مسموع .

«ابعديه من هنا،اعني الكلب» اجبتها . ولكن الفتاة هزت رأسها وهي تهمس بصوت خافت : «ليس له اسم اناديه به ؛ وهكذا لن يستجيب فيذهب ..

حين ادركت الفتاة انني لم اتخذ قراراً ، جلست على احد

الكرسيين ، واتخذت مجلسي على الاخر ..

" أيتملكك الخوف امام هذا الحيوان"؟ سألتها

«كنت ومازلت خائفة منه» اجابت الفتاة «وحين حضرت أمي صحبة المحامي واخوتي قبل عام لاصطحابنا معهم انا وأبي ، خافت هي الاخرى من الكلب الذي لااسم له اذ ربض أمام أبي واتخذ موقع الدفاع عنه وهرّ نابحاً باصوات الوعيد . عندما استلقي على فراشي اخاف منه ايضا خاصة من قبل . اما الان فقد اصبح الامر **مختلفا؛ وإذ حضرت الينا اليوم صار بوسعي ان استهين بهذا الحيوان. لقد انتظرتك وكنت واثقة بأنك ستأتي يوماً. فعلاً لم اكن لاعرف كيف ستظهر انت؛ لكني كنت واثقة بأنك ستجيء** مع ابي يوما ما في امسية ما : ذلك عندما يلوح ضوء الفانوس ويسود الهدوء في الشارع لكي نبارك عرسنا في هذه الغرفة القابعة تحت الارض ولنهنأ به في فراشي بين الكتب المنضّدة . سوف نضطجع جنبا الى جنب ، رجلاً وامرأة . وهناك على تلك الفرشة يتمدد ابي وسط الظلمة كالطفل ، وسندع الكلب الاسود الكبير حارسنا الامين».كيف باستطاعتي ان امحو من ذاكرتي ساعة حبنا ! من خلال النافذة في الزاوية اليمنى الحادة ترسم الاشعة خطوطاً فوق عرينا وتطوف في كل ارجاء الغرفة . اضطجعنا جسداً على جسد ، متعانقين ، غارقين في حبنا . لقد ضاع ضجيج الشارع في غمار تنهداتنا . لقد امتزجت اصوات السكارئ المترنحين تارة بخطوات الساقطات المتسارعة ، وتارة اخرى كانت اصوات الجنود الايقاعية الطويلة تتقاطع مع نقرات حوافر الخيول الممتزجة بصرير **عجلات العربات.. نحن نضطجع معاً** في ذلك السرداب تحت

الارض ، نلتحف دفء الظلمة . لايخفينا ستار ، حتى عن تلك الزاوية التي يتمدد فيها الرجل على فراشه بلاصوت وبلا حركة كالموتى. تحدق الينا عينا الكلب الصفراوان، وفم مفغور مرعب يراقب حبنا . على هذه الحال جاء الخريف ذو اللونين الاصفر والاحمر ثم اعقبه في السنة نفسها الشتاء وكان هذه المرة معتدلا يختلف عن شتاء العام الماضي .

لم استطع ان اغري الفتاة بالخروج من هذه الغرفة ومرافقتي الى اصدقائي حيث يمكننا معهم ارتياد المسارح او بالذهاب معاً الى الغابات المحيطة بالمدينة لنتنزه هناك على رباها وتلالها . كانت تبقى دائما هنا لصيقة بمنضدة خشب الصنوبر حتى يعود ابوها صحبة الكلب الكبير . عندها نندس معا في الفراش مع ظهور الخطوط الصفر المتسللة عبر النافذة ، والساقطة على جسدينا . حدث ذلك ايام الربيع ومثلما كان يحدث ايام كان ينهمر الثلج فيغطي المدينة ويصل ارتفاعه الى علو متر في بعض المناطق ، ثم تتخلف منه الوحول والمياه الاسنة . حضرت الفتاة يوماً الى غرفتي . وكانت اشعة الشمس تتسلل من خلال النافذة الى زاوية الغرفة . كان الوقت الاصيل ؛ وكنت قد ألقمت المدفأة قطعاً من الفحم .. كانت شاحبة ترتجف مقرورة ؛ لانها جاءت دون معطف ، وكما كانت عليه في المرات السابقة لم تكن ترتدي سوى ثوبها الازرق الغامق ، عدا حذاءٍ احمر مبطن بالفرو لم اشاهده من قبل في قدميها .

«عليك ان تقتل الكلب !» هتفت بي الفتاة وهي على عتبة باب الغرفة ، منبهرة الانفاس ، وبحالة عصبية ، وبعينين مفتوحتين ، وكانت تبدو كما لو كانت شبحا ..

اتجهت نحو الخزانة ، وبحثت عن المسدس ..
«لقد كنت اتوقع منك طلباً كهذا قلت لها واردفت : لذا اشتريت هذا المسدس . متى تريدين ان انفذ قتلي له» .
«الآن حالاً» اجابت الفتاة بصوت خافت .
«الأب ايضاً خائف من هذا الحيوان . وهو دائماً كان يخاف منه. أنا واثقة»

عثرت على المسدس ثم ارتديت معطفي على عجل ..
«انــهــمــا في السرداب» هتــفــت الفــتــاة وهــي تحــدق الي «أبــي ظل مستلقيــاً على فراشــه طوال النهــار، لايبـدي حراكاً من شدة الهلع. لم يستــطيــع حتى ان يصــلي ولو مرة واحــدة؛ اذ ان الكلب رابض امــام الباب»
مشينا والنهر ، ثم عبرنا الجسر الحجري .. فوقنا كانت السماء هاربة ؛ كأنها تحت تهديد بحرائق مدمرة .. أجل ستغيب الشمس ..
كانت المدينة تعج حيوية ونشاطاً اكثر من المعتاد .. كانت مزدحمة بالناس والعربات المسرعة وكأنها هاربة من طوفان بحر من دم . ومن هنا وهناك عند هذا المساء تنعكس ارهاصات النور المنبعثة من النوافد على جدران الدور .. شققنا طريقنا بين ذلك الجمع الغفير من الناس ، وارتال العربات . مشينا لاهثين بين تلك الاعداد من السيارات وحشود الخلق خائفين من الخطر المحيق بنا من الحافلات والشاحنات التي تداهمنا مسرعة كغول جبار مخيف الجبهــة ذي عينــين ثابتتــين بريقهمــا الوهــاج مستقيم الخطوط. مررنا برجال شرطة منزعجين يلوحون بأيديهم بغضب ، وعلى رؤوسهم خوذ

من حديد . هرعت فوراً أتقدم مسرعاً الى أمام مخلفاً الفتاة لتلحق بي .. ثم ركضت مسرعاً في الزقاق متلاحق الانفاس ، ومعطفي مفكك الازرار ، تواجهني شمس الاصيل محتضرة بلونها البنفسجي ، آه . لقد وصلت متأخراً ..

قفزت من النافذة الى القبو ، ومسدسي بيدي. حين رفست بابه رفسة واحدة شاهدت ظل الحيوان الوحشي الكبير يقفز عبر النافذة من خلال زجاجها المهشم وعلى الارض كانت جثة بضة ممزقة غارقة في بركة الدم .. لقد كانت ذاك الرجل الذي افترسه الكلب وحيث يستحيل الان التعرف عليه .

أسندت ظهري الى الجدار ، وانا ارتجف وحولي مجاميع من الكتب . توقفت السيارات في الخارج وهي تطلق مزاميرها .. دخل احدهم وهو يحمل النقالة وابصرت طبيباً يقف امام الجثة ، ورأيت عدداً من الشرطة يحملون السلاح بوجوه شاحبة فزعة . تجمهر الناس من كل حدب وصوب وانا اصيح واصرخ باحثاً عن الفتاة .. اسرعت الى المدينة فتشت في شوارعها وازقتها ، ثم عبرت الجسر الحجري . توجهت الى غرفتي فلم اجدها .

بحثت عنها ، وانا يئس دون راحة، دون طعام ..

أخطرت الشرطة طالبا البحث عنها . هتفت «هناك مَنْ هو في خطر بسبب ذلك الحيوان الوحشي» .

وانتشر جنود الحامية يفتشون في الغابات ممشطين مساحاتها ورباها .. زوارق الانقاذ شقت مياه النهر الصفراء .. وكثير من الرجال جابوا الاماكن باحثين وفي أيديهم العصي كما لو كانوا يتنزهون في ايام الربيع الدافئة .. جموع غفيرة تنتشر هنا وهناك ..

اضطر البعض ان يلج المقالع رافعاً الراية البيضاء منادياً بنداءات عالية . واضطر البعض الاخر ان يندس في المجاري وشعابها او يبحث تحت في دهاليز الكتدرائيات والكنائس . الا ان كل تلك الجهود ضاعت سدىً.. **لم يعثروا على اثر للفتاة، و لم يعثروا** للكلب على اثر .

بعد ايام ثلاثة عُدت في ساعة متأخرة من الليل الى غرفتي منهكاً يائساً كحالي السابقة .. وانا مستلق على فراشي بكامل ثيابي ، سمعت خطوات في الشارع وتحت مسكني . هرعت الى النافذة ففتحتها وتطلعت الى الشارع ونصف جسمي يبرز من النافذة ..

**كان الشارع يبدو شريطاً أسود مبتلاً.. كان الوقت بعد منتصف** الليل . وكان نور الفوانيس يرتسم على الارض المبتلة مكوناً بقعاً ذهبية لامعة ..

وهناك بمحاذاة الاشجار كانت الفتاة تخطو بثوبها الازرق الغامق محتذية حذاءها الاحمر . وكان شعرها المنسدل على وجنتيها يبدو ازرق من خلال نور خافت ينعكس عليه .

بجانبها يسير ظل كبير ، هادىء ، وديع كالحمل ، بعينين مقورتين صفراوين ولامعتين ..

انه الكلب



## آنا زيجرز (١٩٠٠)

ولدت آنا زيجرز في مدينة ماينس . كتبت قصتها الاولى «ثورة صيادي اسماك سانت باربارا» (١٩٢٨) وفي عام ١٩٤٢ كتبت القصة المثيرة «الصليب السابع». اما المسرحية الاذاعية «محاكمة جان دارك في روان» (١٩٣١) فقد فاقت جميع المسرحيات التي وضعت عن جان دارك من ناحية محافظتها على دقة الوقائع . كتبت قصصاً عديدة منها «المأوى» .

حازت على جوائز ادبية عديدة . وتعتبر من كبار القصاصين الاجتماعيين .

# المأوى

صباح يوم من ايام ايلول عام ١٩٤٠ ، حينما كانت راية الالمان محتلي البلدان بصليبها المعقوف ترفرف على ساحة الكونكورد . **والطوابير امام المحال التجارية تمتد امتداد الشوارع نفسها، طرق** سمع لويزه مونير وهي زوجة لخرّاط وأم لثلاثة اولاد ان بالامكان الظفر ببضع بيضات من احد المحلات في حي ارواند سمونت ١٤ .

سارعت الى هناك بانفاس متلاحقة . حشرت نفسها ساعة في الطابور ثم ظفرت بخمس بيضات ، بيضة واحدة لكل فرد في **الاسرة. في ذات الوقت خطرت ببالها صديقة لها تسكن الشارع** نفسه اسمها انيتا فيلارد وهي عاملة في فندق .

قابلت فيلارد الا ان هذه كانت في حالة عصبية غريبة لاعهد لها بها من قبل من امرأة هادئة منظمة . تحدثت فيلارد-بينما كانت تنظف النوافذ والمغاسل ومونير تساعدها ـ بان الجستابو اعتقلوا احد نزلاء الفندق الذي ادعى انه فرنسي من منطقة الالزاس الا انه وبعد التأكد من هويته اتضح أنه الماني هارب من احد المعتقلات قبل بضع سنين . قالت فيلارد وهي تمسح الزجاج أنهم قادوا النزيل هذا الى المعتقل ، ومن هناك سيرحل الى المانيا والاحتمال الاكبر انه سيصفّ الى الجدار هناك ويعدم . الا ان هناك حالة واحدة جعلتها تتعاطف ليس مع نزيل الفندق : لان الرجل يبقى

الرجل ، والحرب تبقى الحرب ، وانما مع ابنه ؛ فالألماني له ولد وهو صبي في الثانية عشرة يتقاسم ووالده الغرفة . ان يتعلم هنا في المدرسة ويتكلم الفرنسية مثلنا . لقد قتلت امه . ووضعه غامض كما هو حال العلاقات بين الغرباء . عاد الصبي من المدرسة فقابل خبر اعتقال ابيه بالصمت وبلا دموع . وقد وصل الى قرار . وحين طلب منه الجستابو حزم حاجاته بانتظار ان يرحل الى اقاربه في المانيا صرخ فجأة قائلاً : الافضل له ان يرمي بنفسه تحت عجلة سيارة من ان يعود الى تلك العائلة . اجابه ضابط الجستابو بوقاحة: لايغير من الامر شيئاً فليس المشكل في ان ترحل او لاترحل بل ان تعود الى هذه العائلة او ترسل الى معهد اصلاح التربية (غسل الدماغ) . كان الصبي يثق بهذه المرأة، انيتا، كثيرا لذا التمس ليلا مساعدتها فقادته من الغبش الى مقهى صغير يملكه صديقها . هناك يختبىء الصبي وينتظر الان . وقد اعتقدت ان من السهولة ايجاد مأوى للصبي لكنها حتى الان لم تظفر بسوى كلمة لا. الخوف يجثم بجناحيه على كل مكان . حتى ان صاحبة الفندق هلعت من الالمان واستاءت كثيرا من هروب الصبي .

السيدة مونير اصغت للقصة كلها وهي صامتة ، وعندما فرغت صديقتها من سردها هتفت : «اود ان ارى هذا الصبي ولو مرة واحدة» .

بعد ان رسمت فيلارد لها الطريق الى المقهى وسجلت لها الاسم والعنوان اكملت «الا يتملكك الخوف ولو قليلاً لو ارسلت معك بعض الملابس للصبي ؟» قابلت صاحب المقهى صباحاً وبيدها ورقة السيدة فيلارد فقادها الى غرفة البليارد الموصدة . هناك يقبع

الصبي متطلعاً الى الفناء . كان الصبي كبيرا كأكبر اولادها . يرتدي ملابس شبيهة بملابسه . عيناه كانتا رماديتين ولم تكن ملامح وجهه تدلل على انه ابن لاجنبي . اوضحت له السيدة مونير انها جلبت له معها بعض الملابس . لم يشكرها . وفجأة نظر الى وجهها نظرة حادة . حتى هذه اللحظة كانت السيدة مونير أماً كباقي الامهات : تقف في الطابور ، من لاشيء تدبر شيئاً ، تعمل من القليل الكثير ، تصنع حاجة منزلية ضمن عملها البيتي . كل هذا امر طبيعي منطقي، الآن إزاء تلك النظرة الموجعة من الصبي تزايد فهمها للمعقول وتزايد عزمها في ذات الوقت. ثم قالت:

«كن الساعة السابعة مساء اليوم في صالة مقهى بيارد» .

عادت مسرعة الى المنزل لتعد مما اشترته وبعد طبخ طويل ، طعاماً مقبولاً على المائدة . وكان زوجها قد عاد قبلها بقليل . كان سنة كاملة على خط ماجينو . قبل ثلاثة اسابيع سرح من الخدمة . وقبل اسبوع اعيد فتح المصنع الذي كان يعمل فيه . عليه ان يعمل نصف ساعات العمل الان . وكان يمضي ساعات النهار المتبقية في الحانة وبعد ذلك يعود الى المنزل غاضباً على نفسه ؛ لانه صرف بضعة الفلوس التي حصل عليها من العمل في الحانة . السيدة زوجته حاولت ان تسيطر على رباطة جأشها . بدأت تخفق البيض وهي تواسي زوجها لتبعده عن غضبه بسرد حديث ، وحين تمكنت من الوصول في حديثها الى نقطة هرب الصبي الاجنبي من الفندق وبحثه عمن يأويه من الالمان قاطعها زوجها بلهجة حادة :

«صديقتك انيتا تصرفت تصرفاً احمق حين اقدمت على ان تحمي مثل هذا المجنون» لو كنت مكانها لحجزته . على الالماني ان يفهم

كيف يتعامل مع مواطنيه الالمان ، انه لم يفكر بحماية طفله .. الضابط كان على حق حين رأى أن يرحل الصبي الى وطنه . انّ هتلر احتل العالم وهذه حقيقة .. اذن فالطنطنات الجوفاء لاتجدي ..»

كانت الزوجة ذكية جداً حيث تمكنت من تغيير دفة الحديث بسرعة . في فكرها استعادت بوضوح ولاول مرة ماقدمه هذا الرجل الذي اشترك في الاضرابات والمظاهرات كافة . وفي ١٤ تموز تحمل العبء كله ، عندما حاول وبمفرده ان يقتحم الباستيل مرة ثانية .

إلا أنه صار يشبه ذلك العملاق كريستو فورس في الاسطورة ـ مثله مثل الكثيرين . ينحاز الى القوي الذي يسيطر على الساحة اليوم ويعلن انه اقوى من سيده المهزوم . وهكذا ستقوده نهايته الى ان يبتلعه الشيطان .

لم يكن هناك لا في طبيعة المرأة ولا في حياتها الحبلى بالمشاغل مكـان للحـزن. فالرجـل بعلها وهي زوجته ثم ان هناك الصبي الالماني الذي يقبع وينتظر . ذهبت مسرعة مساءً الى المقهى وقالت للصبي : «لايمكنني اصطحابك معي الا في الغد» حدجها الصبي ثانية بحدة ثم قال : «لاضروزة للذهاب معك ان كنت خائفة» .

اجابته السيدة بجفاء : كل ما في الامر عليك ان تنتظر ليلة واحدة فقط ، لقد رجوت السيدة ان تستبقيك ليلة واحدة لانها من اقاربي .

وما كان هذا الرجاء بالامر الصعب خاصة ان باريس تعجّ باللاجئين ، في اليوم التالي شرحت لزوجها قائلة : «لقد قابلت ابنة عمي اليس ، وزوجها في مستشفى المعتقل في بيتفرز ، وهي تروم زيارته ببضعة ايام . لقد رجتني ان ارعى ولدها طيلة فترة غيابها».

اجاب الزوج الذي لايحتمل ان يشاركه غريب في بيته قائلاً : «أوافق على الا تكون الاقامة طويلة» احضرت للصبي فرشة وسألته وهما في الطريق ، «لماذا لاترغب بالعودة ؟» اجابها الصبي «بامكانك ان تتركيني هنا ان كنت خائفة ، لااريد العودة الى اقاربي مطلقا . امي وابي اعتقلهما هتلر كانا يطبعان ويوزعان المناشير ضد نظامه . أمي رحلت .. انظري لقد فقدت احد اسناني الامامية . لقد كسروه لي في المدرسة لانني لم اردد معهم نشيدهم . كان اقاربي من النازيين ايضا، كانوا يضطهدونني دائما ، وكانوا يشتمون امي وابي دوماً .

رجتــه السيـدة مونير ان يتكلم عن كل شيء من هذا خاصة امام زوجها والاطفال والجيران .

ما كان بامكان الاطفال قبول الصبي الغريب لا في محاسنه ولا في مساوئه . انتبذ ناحية لايشارك في الضحك واللهو . لم يحتمل الزوج الصبي الغريب فور وصوله . قال ان نظرات الصبي لاتروق له . لقد شتم زوجته التي اصرّت على ان تشرك الصبي في طعامها الذي يحصلون عليه بالتقنين وكذلك شتم بنت العم ايضاً التي ارتضت ان تسعى لان تثقل كاهلهم بولدها . قال :«لنعترف اننا خسرنا الحرب دفعة واحدة ، وان الالمان احتلوا البلاد ، ان لديهم انضباطاً وهم يفهمون النظام». وعندما اصطدم الصبي مرة بأبريق الحليب قفز الزوج فزعاً ولطمه . وحين حاولت السيدة ان تسترضي الصبي هتف هذا «مع كل هذا ، فهنا افضل بكثير من هناك» .

«انا اتمنى» قال الزوج ، «ان اجد ولو مرة واحدة قطعة جبن حقيقية على مائدة الطعام» .

في المساء عاد الى المنزل حانقا «تصوري ماذا شاهدت : شاحنة

المانية كبيرة مليئة بالجبن انهم يشترون مايرغبون . على هواهم يطبعـون المـلايـين وينفقـونهـا بعد اسبوعين أو ثلاثة اسابيع. قصدت السيدة مونير صديقتها انيتا.كانت هذه غير سعيدة بهذه الزيارة . وهذا يعني لها ان عليها الاتظهر في هذا الحي من المدينة ثانية لان الجستـابـو هددّوا وشتمـوا وتـوعـدوا: انهم كشفـوا تمـامـاً في اي مقهى كان الصبي ينتظر ، وعلموا كذلك بزيارة سيدة له هناك . وان الاثنين قد غادرا المنطقة في اوقات مختلفة . في طريق عودتها الى المنزل فكرت مونير بالخطر الذي جلبته على نفسها وعلى عائلتها ، لكنها مهما قلقت من الحماقات التي ارتكبتها دون ان تتبصر نتيجة لشعورها الجارف الا ان طريق العودة الى المنزل اكدّ لها صحة قرارهـا:بـالطوابـير امـام المحـلات المفتـوحـة، بالطوابـير امام المحلات المغلقـة، بابـواق السيـارات الالمـانيـة التي تجوب الشـوارع كافـة، بالصلبان المعقوفة التي تعلو البوابات ، ولذا فبعد ان دخلت المطبخ تحسست شعر الصبي الغريب مرحبة به ثانية .

اتهمها الزوج بانها تكاد تجن هوىً بالصبي وقد صبّ جام غضبه على الصبي الغريب فضربه في الوقت الذي لم يفعلها مع اي من اطفاله من قبل،ذلك لان كل الامال فجأة - تجهمت سماؤها في نفسه وتاهت الافكار في بحار اليأس ، وهي تنجر نحو مستقبل مجهول . كان الصبي حذراً صامتاً ، ولم يعط اي مبررٍ للعقاب الا ان الزوج ادعى ان نظرات الصبي لاتروق له . كان الزوج في الاونة الاخيرة قد بدأ يضيق بنفسه،وصار يقتل معظم اوقاته في الحانه ، حيث كانت تسهم الى حد ما في امتصاص ضجره.

فجأة سلب الالمان من حداد يعمل في اخر الزقاق ورشته التي

يعتاش منها ..

ذلك الزقاق الذي كان حتى ذاك الوقت هادئاً ونظيفاً من الصليب المعقوف بدأ يعج فجأة بعمال المان يعملون بالورشة وتختنق بالسيارات الالمانية المعدّة للتصليح و بالجنود الالمان وقد زحموا الحانة المجاورة . اخذت الصلبان المعقوفة تطوف في سماء الزقاق وسكن قسم منها على صدور الجنود النازيين الذين احتلوا الحانة . السيد مونير استفزه هذا المنظر . كان من العسير عليه احتمال وجودهم المقيت . لاحظت زوجته صمته الطويل على مائدة الطعام . سألته مرة عندما وجدته طوال ساعة منكفئاً على المائدة بلا حراك او كلمة ، ورأسه مسند الى ذراعيه وعيناه مفتوحتان ، بماذا يفكر ياترى ؟

«في لاشيء ، وكل شيء ، خاصة في اولئك الذين يراهنون على شجاعتهم .. تصوري لقد فكرت في ذلك الالماني الذي حدثتك عنه صديقتك انيتا . لا ادري ان كنت مازلت تذكرين الالماني الذي قاوم هتلر ، والذي اعتقله الالمان . بودي لو اعرف ماحل به ، ماحلّ به وبولده» .

اجابت السيدة مونير « قابلت السيدة فيلارد قبل فترة وجيزة لقد اعتقلوه في معتقل سانتي . خلال هذه الفترة اعتقد انه قد انتهى . اما الصبي فقد اختفى . ان باريس واسعة جدا وهناك احتمال انه قد وجد له مأوى».

لم يعد هناك احد الان يرغب بان يشرب كأسه بين الجنود النازيين لذا فغالباً ما اضطروا لان يفتحوا قناني الشرب ويشربوا في مطبخ مونير . كان هذا غير مألوف في السابق وكان مقيتاً . اغلبهم

كانــوا من العمــال زمــلاء مونــير في ذات المصنــع. كانــوا يتحــدثــون بحرية . لقد تخلى مدير المصنع عن مكتبه المؤثث المرتب للمفتش الالماني . المفتش هذا اخذ يتصرف به وفق هواه والالمان دققوا في كل شيء عند التســلــم مع انهم كانوا هائجين ، لم يبذل احد جهدا في اخفاء المعلومات السرية عن المفتش .. اذن لمَ كدحنا .

القطع المعدنية المصنعة صودرت وارسلت الى الشرق لكي يخنقوا بها الشعوب الاخرى . هذه اذن نهاية النشيد : نصف يوم عمل ، عمل يوم بنصف اجر . المصادرة بالقوة ..

اوصدت مونير النوافذ . المتحدثون خفضوا اصواتهم . أطبق الصبي الغريب جفنيه وكأنه يحاذر من ان نظراته الحادة قد تفضح مكنون قلبه . صار شاحباً ونحيلاً الى حد اعتقد معه السيد مونير انه يعاني من مرض معدٍ وتملكه الخوف من انه سيعدي اولاده ..

السيدة مونير كتبت لنفسها رسالة على لسان بنت عمها ترجوها فيها ان تحتفظ بالصبي مدة اطول عندها وذلك بسبب خطورة مرض زوجهــا ولانهــا مضــطرة الى ان تنتقــل وتسكن قريبــاً منــه لرعايته .

«انهــا تريــح نفسهــا، وتــرمي علينــا عبء ابنهــا» غمغم السيد مونيــر، بادرت السيدة مونير الى مدح الصبي ، انه مؤدب وخدوم يبكر منذ الرابعة فجر كل يوم الى السوق . لقد استطاع ـ مثلاً ـ ان يحصل لنا على قطعة من لحم البقر دون بطاقة .

في ذات المبنى الذي تسكنــه عائلة مونــير تسكن فتــاتــان شــقــيقتــان. كانتا سيئتي السمعة . والان ذهبتا بالشوط بعيداً اذ صارتا ترتادان الحانة وترتميان في احضان الجنود الالمان . راقب البوليس الفرنسي

سلوكهما فاقتادهما عنوة الى المركز حيث تعالى صراخهما وعويلهما .
ولكن مع ذلك قيد اسماهما في قيد الساقطات . وخضعتا للفحص والمراقبة . سرَّ الزقاق بهذه النتيجة لكن الاختين ـ وللاسف ـ صار سلوكهما اسوأ حيث ان الجنود الالمان راحوا يترددون الى المبنى داخلين خارجين بكل حرية . لقد اجهزوا على الهدوء فيه . وصار الضحك والعربدة يصلان الى مطبخ عائلة مونير ، التي منذ فترة طويلة فقدت الحق في ان تحرك اوتار حناجرها لا شفاهها فحسب، ولم يعد احد يرى لها سنأ واحدة قط . كف السيد مونير عن مدح الالمان بالتزامهم و بضبطهم و بدقتهم و بالنظام ، ذلك لما شاهده في المصنع وفي الزقاق من لصوصية واستهتار . لقد تحطمت حياته وسلبت منه الفرحة صغيرة كانت أو كبيرة ومهما ممتلكاته، شرفه راحته اعصابه ،لقد كتموا عليه انفاسه .

ذات يوم وجد السيد مونير نفسه مع زوجه وحيدين . وبعد صمت طويل انفجر صوت من اعماقه هاتفا :« لديكم القوة والجبروت فما الذي تريدونه بعد ! ماأقوى هذا الشيطان ! آه لو وجد على الارض واحد اقوى منه ! اما نحن فضعفاء بلاحول . ما ان نفتح افواهنا حتى يجهزوا علينا . لكني اتذكر ذلك الالماني الذي حدثتك عنه صديقتك انيتا . ربما نسيته انت لكني لم انسه . لقد ضحى بحياته، له ولولده كل احترامي وتقديري ، بنت عمك تريد منا ان ننتشلها من الوحل الذي تردت فيه . وولدها هذا لايحرك مشاعري واهتمامي . اما ذلك الصبي ابن الالماني فلكم تمنيت لو اخذته فضممته لابنائي ، فهو مَن يحرك مشاعري واهتمامي ، سأحترمه وارعاه اكثر من اولادي وسأطعمه . مثل هذا الصبي يستحق المأوى عن جدارة

وليذهب قطاع الطرق هؤلاء الى الجحيم . لن ادع احداً يحس بما جرؤت على فعله ومن اي الرجال انا ومَن خبأت عندي ، آه لو كنت قد عثرت عليه لحميته وآويته بقلب وذراعين مفتوحتين».

استدارت المرأة جانبا وهتفت : «انك قد آويته» .

سمعت هذه القصة تروى من تلك السيدة انيتا في الفندق الذي حللت به في اراوند سمونت ٢٦ والتي كانت تعمل فيه حين صار عملها في فندقها السابق يدعو الى الريبة.



## هانريش بل (١٩١٧)

ولد هانريش بل عام ١٩١٧ في كولونيا . كتب قصصاً تنطوي على الواقعية والتفكير العميق والايمان القوي . ومن جملة ماكتب : «ايها الجواب ، لو وصلت اسبانيا» و«أين كنت يا آدم ؟» و«لم يقل اية كلمة» و«دار بلا حارس» و«خبز السنين الماضية» و«في وادي الحوافر ذات الصوت المرتفع» و«بليارد الساعة التاسعة والنصف» و«أداء مهرج» وكتب ايضاً قصصاً نقدية ممتازة مثل «صمت الدكتور ماركوس الواجم» .

تأثر بل بكل من «بورشرت» و«همنغواي» تأثراً ملحوظاً . وقد نال بل جائزة نوبل للاداب عام ١٩٧٢ .

# ايها الجوّاب،
# لو وصلت اسبانيا..!

عندما توقفت العربة ، سمع صوت محركها بـرهة ..

في الخارج فتحت بوابة كبيرة عنوة ، سمع لها صرير . تسلل نور من خلال النافذة المهشمة داخل العربة . كان المصباح الكهربائي في سقف العربة مهشماً ايضاً ، لم يبق منه سوى القاعدة وبعض من اسلاك لماعة وبقايا من زجاج . بعد ذلك كفّ المحرك عن الدوران . في الخارج هتف صوت .

«الموتى الى هناك ، امعكم موتى ؟»

«اللعنة» اجاب السائق .

**«اطفئـوا المـصـابـيـح كالمـعتـاد. هل اهملتم تعليمـات الـتـعتيـم؟»**

**«هنـا لم يعـد التعتيم ينفـع ابـداً،فـالمـدينـة كلهـا صارت شعلة نار».**

«كان سؤالي ان كان معكم موتى ؟ صاح صوت غريب» .

«لا ادري» .

«قلت الموتى الى هناك ، الم تسمع ؟ اما الاخرون فالى فوق ، الى صالة المرسم . الا تفهم ؟»

«بلى ... بلى» .

اذن فأنا لست من عداد الموتى .. انا من ضمن الاخرين . صعدوا بي السلم .. حملوني عبر ممر ضيق طويل مضاء ، طليت جدرانه بطلاء اخضر .«علّاقات»الملابس المعقوفة كانت مثبتة على

الجدران . وهنا على الابواب تثبت لوحات معدنية مغطاة بمادة الميناتشير . السادس أ ، السادس ب وبينهما علقت لوحة فنية رقيقة لماعة مزججة ، ومؤطرة باطار أسود . انها لوحة «الميديا» لفورباخ وحدقت الى الاعلى ، فاقترب مني بابان : الصف الخامس أ والصف الخامس ب . وما بين البابين علقت صورة فوتوغرافية ضاربة الى الحمرة متلألئة، مؤطرة باطار بني اللون تمثل رجلاً جالساً على كرسي ينزع من قدمه مسماراً. العمود الكبير الذي كان هنا في الوسط وامام مدخل السلم مازال موجوداً ايضاً.

وخلف العمود كان مقطع الجبس موجوداً . وهو للوحة طولها ثلاثة امثال عرضها ، نحتت بشكل جدارية للمعبد اليوناني لاتختلف عن الاصل وباللون العاجي البراق .. والمعبد هو اثر قديم . كان عليّ ان ارى كلّ شيء ، وانا امرّ محمولاً : هاهو هويلبت اليوناني وقد علقت صورته الملونة على جدار السلم . كان واقفاً منتفشاً كالديك . وعلى جدار السلم المطلى باللون الاصفر علقت ايضاً صور حسب السياق التاريخي ابتداءً من الامير الاكبر وانتهاءً بهتلر .

وهناك في الممر الصُغير الضيق مرّت المحفة التي احمل عليها وعلى بعد خطوات من مكان جميل وواسع بشكل خاص كانت هناك صورة ملونة للملك فرتز ببدلته الرسمية الزرقاء ، وبعينيه البراقتين . وعلى صدره ،النجمة الكبيرة البراقة ..

حُملت ثانية بوضع مائل ومررت امام وجوه كرموز للتفوق العنصري. هنا القبطان الشمالي يحدق كالنسر وبعقلية توحي بالبلادة . وهنا صورة اخرى لأمرأة من الجانب الغربي المطلّ على نهر الموزل ، انها نحيفة طويلة ، ولاخر من الجانب الشرقي ، غبي

ذي انف كرأس البصل . وصورة ثالثة مستلة من الافلام الوطنية الاعلامية لرجال الجبال بملابسهم التقليدية وقد تجسدت فيهم معاني الرجولة والشجاعة ..

ثم مررت بممر اخر وانا محمول على المحفة ثانية وعلى بعد خطوات منه وقبل ان يصعدوا بي السلم الآخر ، شاهدت امامي تمثال النصر بفارسه المقلد بالوسام الذهبي وعلى رأسه اكاليل الغار .

مرّت المحفة سريعاً امام هذه المشاهد اذ لم يكن وزني ثقيلاً ، وكان النقلة يجرون بها بسرعة .

كنت غير واثق بأن هذه البناية مدرستي خاصة كنت محموماً وكلّ اعضاء جسمي تؤلمني بما فيها الرأس والاطراف . كان قلبي يخفق بجنون . هل كان بالامكان ان يبصر جيداً رجل محموم ؟

وعندما مررت امام رموز التفوق العنصري ابصرت مجموعة جديدة : ثلاثة تماثيل نصفية لسيزار وشيشرون ومارك اوريل وهم يقفون بأدب واحداً جنب الاخر . لقد نحتت بشكل جيد ، وهي عاجية اللون تبدو اصلية واثرية وشخوصها يقفون بشموخ .. وينتصب تمثال هرمز المجنح رسول الالهة في الجهة الثانية من السلم عند نهاية الممر الطويل الذي كان مطلياً بطلاء وردي .. كانت جدارية «الاب الاعظم» للالهة ذي الوجه المخيف تنتصب على الجدار المقابل للمر المؤدي الى صالة المرسم .

الجدارية كانت بعيدة عن مرآي .. يمينا ابصرت سماءً مضيئة من خلال النصف العلوي للنافذة .. السماء كانت حمراء وسوداء ملبدة بسحب داكنة مع ادخنة سوداء متصاعدة ..

اضـطررت الى ان انـظر يسـاراً فأبصرت ثانيـة لوحـات معـدنيـة على الابـواب:الاول أ، الاول ب، وبـين البـابـين،حيث تتصـاعـد الرطوبـة، ابصرت شارب نيتشه وانفه كجزء من صورة مؤطرة باطار ذهبي بينما غطت الجزء الثاني من الصورة لوحة مكتوب عليها : «العمليات الصغرى» ماالذي اشاهد الان .. انعمت نظري متأملاً . ماذا اشاهد الان .. اخيراً عرفتهـا : صورة لمستعمرة توغو ، كبيرة وملونة منبسطة كالخارطة وبطباعة رائعة ..

في صدر الصورة وامام بيوت المستعمرة الصفيح وامام الافارقة يقف الجنود المدججون بالسلاح بلا مبرر . وامام كلّ ماذكر توجد حزم كبيرة من عذوق الموز مرتبة ترتيباً وكأنه موز حقيقي .. حزمة على اليسار ، واخرى على اليمين وعلى الحزمة الوسط في الجهة اليمنى كتب شعار أبصرته وتذكرت اني ذلك الذي كتب هذا الشعار على الموز .. فُتحت بوابة صالة الرسم على مصراعيها ووجدتني احوم تحت ثدي الاب الاعظم للالهة . ثم اغمضت عيني . لم تعد بي رغبة في أن انـظر شيئـاً كانت صالة المـرسم مشبعـة برائحـة اليود والاقذار وكذلك بروائح «الشاش» والقطن والتبغ . الصراخ والعويل يملان الصالة .. وضعوني على الارض ، ثم هتفت بواحد من النقلة :

«ضع سيجارة في فمي .. في الجيب الايسر من القمصلة» شعرت بيـد تعبث بجيبي ثم اشتعل عود الثقاب ودسّت السيجارة المشتعلة بين شفتي . سحبت نفساً من الدخان،«شكراً» قلت له . كلّ ماشاهدته وفكرت فيه ليس دليلاً .. اخر المطاف هو صالة الرسم وهي توجد في كلّ مدرسة اعدادية .. الممرات المعلقة على جدرانها العلاّقات المعقوفة .. الجدران المطلية بالصبغ الاخضر وبالصبغ الاصفر ..

المحطة الاخيرة .. كل ذلك ليس دليلاً على انني في مدرستي .. تُعلق لوحة الميديا بين السادس أ والسادس ب . وشارب نيتشه بين الاول أو الاول ب. ومؤكد لابدّ ان هناك قانوناً ينص على وجوب وجوده هنا . هكذا عليه نظام الاعداديات الانسانية في بروسيا : «الميديا ، بين صفي السادس أ والسادس ب وهناك قالعو المسامير من الاقدام . سيزار ، مارك اوريل ، وشيشرون في الممر . ونيتشه فوق حيث القاعة التي تدرس فيها مادة الفلسفة .. كذلك جدارية معبد البارثيون ، ولوحة مستعمرة توغو الملونة .. الهة المعبد .

ولوحة الهراقلة قالعي المسامير من الاقدام . إنهم جزء من الثقافات الانسانية التي اثبتت وجودها عبر الاجيال وفرضت احترامها على مسرح الدراسة .

المؤكد أنا لست واحداً من هؤلاء حتى بكوني ذلك الذي حالفه الحظ يوماً وكتب على الموز : تعيش توغو . ناهيكم عن الالغاز التي يتداولونها في المدارس،فهي متشابهة . وعلاوة على ذلك فهناك احتمال أنني محموم ، و أنني احلم .

آلام واوجاع لم اعد اشعر بها الان بالقدر الذي كنت عليه في العربة ، اذ كانت هناك اشدّ وابرح .. كنت اصرخ في كلّ مرة كانت العربة تسقط فيها في احد المطبات او الحفر الصغيرة،أما في الحفر الكبيرة فان سيرها يكون افضل ، لانها كانت تنزل الحفرة ثم تخرج منها كسفينة تدخل بطن الامواج ثم تعلو ظهرها . الان بدأ يسري مفعول الحقنة التي زرقوها في الظلمة في مكان ما من ذراعي . لقد شعرت كيف كانت الأبرة تنغرس في جلدي وكيف سرت الحرارة في ساقي ..

لايمكن ان يكون الامر حقيقة : ان السيارة قطعت ثلاثين كيلومتراً تقريباً ورغم هذا فانك لم تحس بطول المسافة . ولم ينبئك احساسك ولم يخبرك احد ايضاً سوى العيون فقط بأنك في مدرستك. في مدرستك نفسها التي تركتها قبل ثلاثة أشهر. ثماني سنوات لم تكن بالزمن اليسير، أينبغي لك التعرف الى كل الاشياء بعينيك فقط ؟

من تحت اجفاني المسدلة رأيت كلّ شيء مرة اخرى كفيلم مرّت احداثه امامي : الممر الاسفل ، الطلاء الاخضر ، صعود السلم ، الطلاء الاصفر ، تمثال النصر ، الممر الثاني ، صعود السلم الثاني ، سيزار ، شيشرون ، مارك اوريل ، هرمز المجنح رسول الالهة ، شارب نيتشه ، توغو ، جدارية كبير الالهة ذي الوجه المخيف .. بصقت سيجارتي وصرخت ، الصراخ كان مفيداً لي دائماً .. يجب على المرء ان يصرخ عالياً ، فالصراخ عذب .. صرخت كالمجنون ..

حين انحنى شخص على وجهي ، اغمضت عيني . شعرت بزفير رجل غريب ، حار ومقيت ، يشمّ منه رائحة التبغ وبخر البصل .. صوت يسأل بهدوء :

«ما الامر ، ماذا ..؟»

«أريد أن أشرب شيئاً» هتفت به واردفت «واريد سيجارة من الجيب» .

فتش أحدهم في جيبي . أشعل عود الثقاب ، ووضع السيجارة بين شفتي .

«اين نحن ..؟» سألته

«في بيندورف ..»

«شكراً» قلت له وسحبت نفساً من الدخان .
إننــي حقــاً في بينــدورف، في مدينتي اذن، وعـلى الرغم من ان حرارتي عاليـة جداً إلاأنــه ثبت تمــامــاً أنني في مدرستي،في اعـدادــيـة الدراسات الانسانية المخصصة لتعليم اللغات القديمة .. كانت هذه مدرسة حقاً .. لِمَ يصرخ احدهم في الاسفل «الاخرون في صالة الرسم ؟ !» آه ، انا كنت من الاخرين . انا عشت ، والذين عاشوا كانوا من الاخرين . اذن كانت صالة الرسم هنا . ولما كنت اسمع جيداً ، لِمَ اذن لا ابصر جيداً. وهناك دليل اخر، لقد تعرفت الى سيزار وشيشرون ومارك اوريل, وهؤلاء لاوجود لهم الا في اعدادية الانسانيات. انا اعتقد أن مخلوقاً كهذه لاترى في مدارس اخرى في الممرات وعلى الجدران.
اخيراً جلب لي ماء . تصاعد منه بخر البصل والتبغ ثانية . ودون رغبتي فتحت عيني . كان عجوزاً ، متعباً ، ملتحياً ، مرتدياً بدلة رجال الاطفاء . وصوت هرم يقول بهدوء : «اشرب ، رفيقي !»
شربت. كان ماءً. المـاء لذيـذ. تذوقت بشفاهي طعم الطاس المعدني. وكـانت امـراً لافتاً للانظار كمية الماء التي عببتها، لذا فان رجل الاطفاء سحب من فمي الطاس المعـدني ومشى. صرخت. استـدار لكنه هزَّ كتفه المتعبة ومشى..
الشخص الذي يرقد جنبي همس بصوت خافت : «لاينفع الصراخ ، ليس لديهم الكثير من الماء ؛ فالمدينة تحترق امامك وانت تراها ايضاً» .
شاهدنها من خلال النافذة المعتمة .. نار وهاجة ، تدفعها الرياح فتحدث زفيراً من خلف الستارة السوداء .. حمرة تتصاعد وراء

خمار أسود كاشتعال اللهب في المدفأة عندما تغذى بفحم جديد . ابصرتها : اجل ! لقد احترقت المدينة .

«ما اسم هذه المدينة ؟» سألت الذي يرقد جنبي .

«بيندورف» قال

«شكراً»

نظرت الى الأمام ، الى النوافذ والى السقف حيناً . كان السقف نظيفاً ابيض ، لماعاً ، مؤطراً بزخارف كلاسيكية من الجبس .. لكن كلّ سقوف المدارس مؤطرة بزخارف كلاسيكية وكذا صالات الرسم في الاقل في المدارس الانسانية . لقد أصبح هذا اكيداً وواضحاً ..

الان عليّ ان اقتنع بأنني في صالة مرسم احدى المدارس الانسانية وبيندورف فيها ثلاث مدارس للانسانيات: اعدادية فريدريك الكبير ، واعدادية البرتوس .. وربما لاحاجة لذكر اسم الاخيرة - فالثالثة كالمعتاد يجب ان يكون اسمها اعدادية أدولف هتلر ..

في اعدادية فريدريك الكبير لم تكن توجد صورة للملك فرتز ، ملونة بشكل خاص ، رائعة بشكل خاص ، كبيرة بشكل خاص ، وموقعها على جدار السلم . لقد كنت في هذه الاعدادية ثماني سنوات ، ولكن لماذا لايكون من المحتمل ان تكون نسخ من هذه الصورة موزعة على بقية المدارس ، ومعلقة في الاماكن نفسها ، واضحة ، مرئية ، تشاهد من النظرة الاولى عند صعود السلم ؟

في الخارج سمعت هدير المدافع ، حتى ذاك الوقت كان الهدوء يخيم إلا انه وفي بعض الاحيان كانت النافذة تهتز . وفي الظلام يسمع سقوط سقف «لسقيفة» في مكان ما .. المدفعية كانت تطلق

بانتظام وهدوء .. فكرت : يالها من مدفعية جيدة ! انا اعرف ان تفكيراً كهذا ظالم، لكني فكرت فيه. ياالهي، كيف تكون المدفعية هادئة مريحة ! ظلام وخشونة ..

وكأرغن كان يعزف برقة ، لأنّه متقن الصنع ؛ ارى في هذه المدفعية الاتقان نفسه ، خاصة عندما تطلق القذائف ، وكما حببوا للاطفال رسمها فوضعوا صوراً ملونة لها في كتبهم .

ثم فكرت في تمثال النصر، ترى هل بقيت فيه مساحة كافية وفجأة تبادر الى ذهني خاطر: لو كنت حقاً في مدرستي للاسماء التي سوف تنقش عليه . هل ثمة مكان مع هذه الاوسمة الكبيرة وهل ثمة مكان لاغصان الغار ؟

القديمة فسيصبح اسمي منقوشاً هنا على الحجر ايضاً . وفي سجل المدرسة التذكاري سيكتب امام اسمي «توجه من قاعة الدرس الى ساحة القتال ، وسقط من أجل ..»

لكني لا ادري من اجل ماذا.. ولا ادري اذا كنت في مدرستي القديمة الان .. الان اريد ان اعرف .. اعرف كلّ شيء ، وبأيّ ثمن. ليس في تمثال النصر مايشير الى اية دلالة معينة أو ما يثير الانتباه . كان شيئاً تقليدياً كما لو كان موديلاً للملابس الجاهزة ، حقاً وقد استلموه من اي مركز رئيس للتوزيع ..

تطلعت الى صالة المرسم. نزعوا اللوحات من على الجدران.. لم يبق سوى عدد من المصاطب مركون بعضها فوق بعض الى زاوية. النوافذ ضيقة عالية ، نافذة جنب الاخرى ، لكنها يتسلل منها مزيد من نور الشمس. أهي فعلاً مواصفات صالة للرسم، لم ينبئني

قلبي بشيء . وحبذا لو يفه لي بشيء ، اذا كنت حقاً في ذاك المكان الذي قضيت فيه ثماني سنوات ، حيث حاولت رسم زهرية وتمرنت فيه على رسم الخطوط الملتوية الرقيقة المنقوشة على الزهرية الرومانية الرائعة التي كان مدرس الرسم يضعها امامنا على مسند .. الخطوط بانواعها : الخط الدائري والقديم والروماني والايطالي .

لقد سئمت تلك الحصص كلها دون غيرها في المدرسة .. كنت ضحية الضجر لساعات طوال . لم انجح في رسم أية زهرية أو خط من الخطوط . لكن اين ولت لعناتي وشتائمي ، اين ولت كراهيتي هذه الوجوه المقيتة التي ضجرت منها حتى وهي على الجدران؟

لم يتحرك في اعماقي شيء ، واذا أهزّ رأسي بصمت .. كنت امحو دائماً واكشط بفعل المحاة . أبري القلم وأمحو .. ولا شيء .. لا أعرف تماماً اين كانت اصابتي. اكتشفت فقط اني لا استطيع تحريك ذراعيّ وساقي اليمنى ايضاً .. الساق اليسرى فقط تتحرك قليلاً. فكرت في انهم ربطوا ذراعيّ على بطني رباً محكماً بحيث لا يمكنني تحريكهما .

بصقت السيجارة في الممر بين اكياس القش وحاولت أن أحرك ذراعيّ لكنهما اوجعتاني كثيراً حتى تعالى صراخي . وظللت اصرخ . وكان اعذب ما في الصراخ ان توالي الصراخ ! امتلأ صدري حقداً ؛ لاني لا اقوى على تحريك ذراعيّ .

ثم وقف الطبيب امامي ؛ نزع نظارته ، وبحلق في وجهي . لم يفه بشيء ، وقف خلفه رجل الاطفاء الذي جلب لي الماء . همس شيئاً في اذن الطبيب ، فوضع الطبيب نظارته على انفه . وبوضوح شاهدت

عينيه الرماديتين الكبيرتين خلف عدسات النظارة، وحدقتي عينيه تهتز كرقاص الساعة. حدّق الي طويلاً، طويلاً جداً حتى فقدت القدرة على تحمل نظراته فأبعدت عيني عنه، ثم قال بهدوء «مهلاً، سيأتي دورك قريباً..»

رفعوا محفة الرجل الذي يرقد الى جانبي وحملوه خلف السبورة، ولاحق نظري المحفة. فككوا اجزاء السبورة، ولفوها بشكل حلزوني. ثم سدوا الفراغ بينها وبين الحائط بشرشف، وخلفها اشتعل نور وهاج... ران على الفراغ خلف السبورة صمت وسكون حتى سحب الشرشف جانباً وحمل الذي كان راقداً بجانبي على المحفة... كانت وجوه النقلة مرهقة غير مكترثة حين ساروا به نحو الباب الخارجي..

اغمضت عينيّ وفكرت ثانية: عليك ان تعرف الحقيقة عن مكان اصابتك واذا كنت في مدرستك القديمة.

كلّ الاشياء اصبحت لاتهمني، وكأنني أمرّ محمولاً عبر متحف مومياءات المدينة، خلال عالم اصبح غريباً عني، رغم ان عيني قد تعرفت اليه.. عينيّ فقط، لايمكن ان يكون حقيقة اني قد جلست هنا قبل ثلاثة اشهر لأرسم زهرية، ولأرسم خطوطاً، وانني كنت انزل أوقات الفرص، وبيدي طعامي، ماراً بشارب نيتشه، وبهرمز وتوغو، سيزار شيشرون، مارك اوريل، ثم ماراً بهدوء حتى الممر الارضي، حيث توجد الميديا ثم الى مكان عامل الصيانة في حانوت المدرسة لاحتسي الحليب. وكانت مخاطرة ان تدخن سيجارة في الحانوت رغم المنع المثبت خطياً.

ربما حملوا مَن كان يرقد قربي الى الطابق الارضي حيث المكان المخصص

للمـوتى. ربمـا جمعوا الموتى في الطابق الارضي في غرفة رصاصية اللون، تنبعث منها رائحة الحليب وتختنق بالغبار، ورائحة تبغ السيد بيركلر...

واخيراً عاد رجال المحفة . رفعوها وحملوني خلف السبورة ، مشوا بي مشياً حلزونياً امام الباب . وخلال سير المحفة شاهدت وتأكدت .. فوق الباب علق صليب حين كانت المدرسة يطلق عليها : مدرسة توماس ... ذلك الحين نزعوا الصليب عن الجدار ، ولكن بقي اثره واضحاً على الجدار . بقي ظل الصليب عميقاً واضحاً ، بحيث يرى بوضوح اكثر من قبل .. الذي نزعوه كان صغيراً ومغبراً ونظيفاً وجميلاً،كان الصليب المرسوم على الحائط المطلي . ورغم ان الحائط طليّ بالصبغ بدافع الكراهية لكن الاثر بقي واضحاً ، وبقي الصليب هنا ، بنيّ اللون واضحاً للنظر . ولكون لون الحائط كان وردياً غضبوا وشتموا دون جدوى، اذ بقي الصليب هنا بني اللون، واضحاً على الحائط الوردي. اني واثق ان المبالغ المرصودة لصبغ الجدار وازالة الاثر نفـدت ولم يبق بيدهم وسيلة اخرى.. الصليب كان هنا، واذا يتطلع المرء جيـداً، فبـامكانه ان يبصر بوضوح الجهة اليمنى منه والذي علقت عليه لسنين طوال الاغصان الخضر؛ ذلك لان عامل الصيانة السيد بيركلر حرص على تجديدها سنوياً حين كان مسموحاً ذاك الوقت ان تعلق الصلبان في المدارس..

كل هذه الصور مر شريطها امامي دفعة واحدة عندما مرّت المحفة امام الباب الى ماوراء السبورة حيث يتوهج النور ..

وضعت على خشبة العمليات ثم رأيت نفسي في زجاج المصباح الكهربائي بوضوح .. لكني كنت صغيراً ، منكمشاً ، ضئيلاً ، وابيض كلفافة شاش ملونة نحيفة .. كجنين رقيق غير مكتمل .

ذلك الذي كان مرتسماً فوق زجاج المصباح الكهربائي هو انا.ولّى الطبيب لي ظهره ، ووقف بجانب منضدة ينبش حيث ادوات واجهزة الجراحة . وقف رجل الاطفاء بصدره العريض مرهقاً امام السبورة وابتسم لي ابتسامة مرهقة حزينة ، ووجهه الملتحي الوسخ كان كوجه محتضر .. من فوق كتفيه ، وعلى ظهر السبورة رأيت شيئاً أول مرة منذ حللت في بيت الموتى هذا .

نفذ في قلبي احاسيسه . في جهة ما في مكان خفي من قلبي .. كان فزعي عميقاً ومرعباً . بدأ قلبي يخفق بقوة : هنا كانت كتابتي على السبورة ، فوق في السطر العلوي . انا اعرف خط يدي . إنه قبيح وهو واضح وضوح مَن يرى نفسه في المرآة،ليس بالامكان ان يشكك في تطابق هذا مع خط يدي .

كل الاشياء الاخرى لم تكن دليلاً واضحاً ، لا .. ولا شارب نيتشه ، لا الخارطة المسطحة وما عليها ، ولا موز توغو ايضاً ، ولا حتى اثر الصليب فوق الباب . كلّ هذا له شبيه في كلّ المدارس .. لكنني اعتقد بأنهم لايستطيعون ان يكتبوا خط يدي على كلّ سبورات المدارس الاخرى .

مازال باقياً هنا في هذا العالم المريب ، والذي كان الواجب المدرسي المفروض علينا انذاك كتابته ، مازال باقياً القول المأثور : ايّها الجواب لو وصلت اسبانيا ..

كتب هناك سبع مرات وبخط يدي وبالحروف القديمة ...

بالحروف المطبعية المائلة .. وبالحروف الرومانية ، وبالايطالية وبالحروف المقوسة سبع مرات وبوضوح وبلا هوادة .

ايّها الجواب لو وصلت اسبانيا ..

**لبى رجـل الاطفاء نداء الطبيب فأبعد عن السبورة صدره العريض..**

**تمكنت من رؤية الخط كاملاً، الذي كان مشوهاً بعض الشيء، ذلك لانني استعملت حروفاً ضخمة كثيرة الرتوش..**

ارتجفت عندما احسست بوخزة في فخذي الايسر . اردت ان اتثبت فكان الامر مستحيلاً . سبرت جسمي من فوق الى تحت وحالاً اكتشفت : لقد فكوا اللفافة عني . إنني بلا ذراعين وبلا ساق يمنى ايضاً .. سقطت فجأة الى الخلف ، لانني لم استطع اسناد نفسي .

صرخت . الطبيب ورجل الاطفاء تطلعا اليّ بفزع . لكن الطبيب هزّ كتفيه وضغط على مكبس الحقنة حيث شقت طريقها الى الداخل بهدوء . وببطء حاولت ان احدق في السبورة ثانية لكن رجل الاطفاء وقف قريباً مني وغطىالسبورة ثانية . لكن رجل الاطفاء وقف قريباً مني وغطى السبورة كلّها ، مسكني من كتفي بقوة ، وانا اشم نتانة لحيته الوسخة وعفونة بدلته . حدقت بوجهه المرهق الحزين فقط . وحالاً اكتشفت مَن هو :

انه بيركلر .

«حليب» قلت له بهدوء ..



## كارل هاينرش فاكرل (١٨٩٧ ـ ١٩٧٣)

ولد كارل هاينرش فاكرل النمساوي في عام ١٨٩٧ . وكتب قصصه متأثراً بالكاتب النرويجي كنوت هامسون . فقد كتب في عام ١٩٣٠ قصتي «خبز» و«دم ثقيل». ومنذ عام ١٩٣١ صار كارل من كبار القصاصين الشعبيين وقد كتب قصصاً اخرى مثل «الامهات» (١٩٣٥) و«يوميات فاكرانبر» (١٩٣٦) و«الفقر السعيد» (١٩٤٧) و«المتشرد» .

قال مرة : «انني اكتب للناس ، ويكفيني ان استطعت ان اعزي واحداً منهم فقط . فاذا حققت ذلك ، اعتبرت نفسي سعيداً» .

# المتشرد

مع الغبش تنطلق ماريا خلال الحقول والمزارع حتى تصل حدائق الضياع الموحشة .. انه الخريف .. والارض تزفر ابخرة الضباب البيض .. تلك الارض الخالية المصرّحة بالبؤس والفقر تحت ارهاصات الغبش الساقطة عليها .. في حدائق الضياع فقط تجد ماريا انواعاً مختلفة من الخضار والاعشاب والبطاطا متروكة على الاديم .. هذا هو خبز المتشرد ذاك الوقت . من الجبال تهب نسائم مبكرة ، تحمل معها رائحة الندى والدخان .. دخان من نيران شذاذ الآفاق .. في النهار تزدحم الطرقات بهم ، وعند الليل يختفون مثلما تختفي حيوانات الحقل وكالارانب والطيور .. انهم يهجعون خلف الاسيجة او بين الخضار والاعشاب ، حيثما الدفء والمكان الجاف . لكن الان عند الفجر يتسللون من مخازن الغلال او يعبرون الحقول الى الشوارع. بعضهم الآخر يقف منتصباً فوق البسيطة يحرك جسمه ثم ينفض عن شعر رأسه التراب .. ثم يسير ، غير آسف على شباب ولّى او احترق .

ترى النساء معهم في تجوالهم ، يضطجعن معهم تحت هياكل الجسور المقوسة .. تراهم يخطون القوافي على ابواب مخازن الغلال.. بعضهم كان معمراً او مريضاً او مصاباً بعاهة قبيحة .. لكنهم يسحبون خطاهم .. يجوعون ويرتعشون برداً ..

التسكع والتشرد يسريان بدمائهم ..

تصل ماريا النهر .. هناك حيث تريد غسل البصل . امامها تبدأ الشمس تشرق .. تبدو كعين مشعة كبيرة من وراء الاشجار على الطريق .. لقد تحررت من الضباب الابيض . ومن ثم ينبعث شعاعها الدافىء على المزارع والحقول .. جزء من نورها الحريري يشع على مياه النهر .. انه ينعكس كالمرآة .. وهاهي ماريا تتمرى به .. لقد جثت على حجر الشاطىء ، وراقبت نفسها طويلاً .. آخ .. ! لم تكن ماريا جميلة لكن الماء كان رحيماً .. انه يعكس فقط صفرة وجهها ، وشعرها الفاحم وعينيها الحزينتين في لمعان السماء ..

تفجر نداء في الشارع .. صيحة ممدودة .. الكل يعرف هذه الصيحة ، كلّ الذين يعيشون في العراء . حتى الطيور تردّ على هذا النداء .. نهضت ماريا ومشت على طول الشاطىء حتى وصلت الجسر ..

هناك كان توماس يجلس قرب النار .. توماس اعمى لذلك فهو لايعرف ان السماء قد اصبحت صافية والشمس تحلق عالياً فيها .. كان الليل بارداً رطباً وكذلك كان برد الصبح قارصاً . توماس يدفىء يديه على وهج الجمرات وهو يغني :

الخريف جميل وحزين ، اجل !

النسيم حزين .. الا انه يداعب العشب اليابس .

العالم كبير ، اجل !

تجولت بعيداً ،

عندما كنت صغيراً ،

عندما كنت في حياتي صغيراً ..

تصل ماريا ، يحس وقع اقدامها العارية على الارض . هتفت : «اجل» اني احمل بطاطا معي . لم احصل على افضل منها ياتوماس .. الحقول جدباء ، والفلاحون وضعوا كلاباً تحرس مخازن الغلال .. «كلاب ؟» سأل توماس بارتياب «انني لم أسمع اي صوت لكلب» ماريا عاشت سنين عديدة مع الاعمى .. منذ ان وقع فريسة للمرض في مطعم عند الجبل حيث مكثت قربه .. ثم جالا معاً خلال القرى والاسواق،ماريا تعد الطعام على نار ثم تفتش لها عن مكان لتهجع في الليل ..

وفي الاماسي تذهب حيث يتجمع الناس ، وبيدها صحن من الصفيح وحيث يقف توماس في ابواب المراقص .. آه ، انها امرأة طيبة جداً لرجل اعمى . ولم تستطع في حياتها ان تألف اي انسان اخر غيره ..

وتوماس يحبها ايضا حسب طريقته .. تنام ماريا جنبه ليلاً على القش . يحس حرارتها ، ودقات قلبها .. انها كل شيء في دنياه : هي الام والحبيبة . انه يبصر بعينيها . ويدها الهزيلة تقوده بامانة كيد ملاك ـ وسط الظلمة .

«ماهذا ؟» يردد الاطفال في الطريق «هل حصلت ، ياتوماس ، على زوجة لك ؟» يقولون ذلك وهم يضحكون «انها فتاة جميلة شيطانية» ! ويضحك توماس مردداً «أجل ، أجل . هذا يكفي . اتركوها بسلام انصحكم !» لايعرف توماس ان ماريا ليست على نصيب من الجمال ، يغطي وجهها وشم أحمر قانٍ . لم يكن الربّ رحيماً بها ايضاً ، لكن الرب منحها روحاً نبيلاً لطيفاً . لها قلب قديس ولكن لِمَ

رسم على وجنتيها شارة البؤس ؟ دون حب شبت ماريا ولذا فهي عطشى للحب .. وتوماس عطش للنور . وماريا مناسبة له . وجدها جميلة، امرأة ليل، لها وجنتان ملتهبتان، وحضن دافىء. انه لايدري كيف يحصل على الخبز الذي يأكله . لديه خبز دائماً ومستقر دائم في القش . امين وجاف . ماريا تقوده عبر طرق جيدة وتحتمل آلامه ونزواته ، وتخفي عنه اسرارها .

«ماهذا ، اكنت في مخزن الدريس ؟» صرخ توماس فجأة ..

«كلا . لم أكن هناك ، كلّ ياتوماس الان ؟»

«أتقولين» كلاب ؟ تعالي هنا ، لِمَ تكذبين ثانية : لقد كنت في مخزن الدّريس ؟ ثم مَن اكون انا ؟ قولي مَن ؟»

صمتت ماريا . لا . مَن لديه الرغبة في ان يتبادل معها الحب على العشب اليابس ! الرجال يرمون لها باحتقار اصغر الصدقات على المناضد . النساء يبعدن اطفالهن عن الطريق التي تسير فيها عند مرورها بهن .. كل هذا لايدريه توماس .. في كل مرة تعود ماريا يفاجئها بريبته وشكه وغضبه الدائم . الا انها تصمت وتحتمل .. الامر على مايرام حين يكون توماس حرداً ذلك لان الخوف والغيرة عليها تصرخان داخل الرجل .

ثم يذهبان معاً. انهما لايملكان بيتاً يعنيان به، ولا بابا ينتظران طرقاً عليه .. يحتضنهما الشارع ثانية . شارع بلا بداية وبلا نهاية . بلا سقف ولا باب .. انه بيت رحب يسع المتشردين . انه مزرعة للقلقين يحرثونها باقدامهم الهابطة من الجبال والشعاب والغابات ، من مكان ما من هذا العالم الواسع الذي لاحدود له ..

المدهش في ماريا انها تذهب متجولة عند مطلع الفجر .. غبش

حليبي يداعب الغبار المتصاعد . قطرات الطلّ تنهل من اغصان الشجر ونسيم الفجر يعب في صدرك فوق الحزام .. في تلك الساعة ثمة كلب يقود قطيعاً من الاغنام في الاماكن المشجرة .. وهناك . هناك بعيداً عند الحافة الغربية من الارض تنبح الكلاب في الصباح قريباً من مخازن الغلال المظلمة . الا يشكل هذا حدثاً نادراً . ثروة كبيرة عرضها عشرون خطوة تمتد بلا حدود من الصباح حتى المساء .. مسموح لك التجوال هنا منذ عهد الشباب وحتى يشيب شعرك ، وينحني ظهرك .. تبقى دوماً في الشوارع نفسها ولن تهجرها ابداً .

«الى اين تذهب، ابعيداً؟» هتف توماس متسائلاً «كلا.. ليس بعيداً» تجيب ماريا وهي تبصر الابراج من وراء الغابات. «انها قرية كبيرة، ياتوماس، قد يصل بعد ساعة».

في الحقول امام القرى توجد سوق لبيع الماشية . حيوانات صغيرة وعجول تجلب من مناطق مختلفة وكذلك من مناطق فلاحي الجبال البعيدة . يسرى في دمائها الحنين الى الصيف .. حيوانات الجبال والغابات التي اعتادت حياة الحرية تدفع نفسها نحو الاعمدة الخشبية يتشابك بعضها مع بعض ثم تجأر عيونها الكبيرة الواسعة يملؤها الخوف والقلق المثير .. احياناً تشتبك بقرونها ثم تخور قواها فجأة فتنكس رؤوسها الى تحت .. ثم تبدأ تحفر الارض بحوافرها .. الرعاة يصرخون ويلعنون ويشتمون خلال مرورهم بالقرى . يحشرون انفسهم بلا تحفظ بين الاجساد المتصارعة ، وينهالون على هذه الجموع بالضرب واللكمات بكل قسوة ووحشية .

كان الرعاة سكارى لذا فهم لايحفلون أنى تقع ضرباتهم ‏ على

الرؤوس او العظام او البطون .. الحيوانات تطبق اعينها بمكابدة وتدير رؤوسها جانباً ، مستكينة مسالمة لايسمع لها صوت .. بعد هنيهة تنهض من جديد .

وتهبّ العطور .. انه النسيم هبّ من الجبال او لعله عطر السهوب الذي يتسامى من ارواحها ساعة الغبش .. اجل ، الرعاة ، العبيد التجار ، الفلاحون ، كل اناس القرية كانوا سكارى ..

الناس يقفون في مجموعات صغيرة في الشارع ، متشابكي الاكف اوَ يبصق بعضهم على اقدام بعضهم الآخر حسب متطلبات سوق البيع والشراء..

- انت ثمل ، يردد احد المساومين ، وانا ثمل ايضاً ولكنك تعرف انه ليس باستطاعتي اخذ هذا التيس لبقرتي !

راح الفـلاح يقـسم باغلظ الايمـان ثم يشتم. لكن الكحـول كان قد شلّ تفـكـيره. ولم يبـق عليـه سوى ان يتـسـلم النـقـود.. نقـود الخطيئة .. وكانت تلك ثمن ثور بعمر سنة واحدة . بعدها سيحيا يوماً رائعاً ، حافلاً بالرقص . يبتاع ملابس للنساء وقليلاً من التبغ لغليونه ومعاول او عربة . وغداً يعود ماشياً محني الظهر .. يعلم الله كم هذا صعب .. نعم فالحياة لاتسير بالسهولة التي تظن .. لايتمتع بالحياة سوى الشباب المغرور الذي يملأ ساحة القرية بالصخب حيـث الفـتـيـات يتـزيـنّ بغـرز وردة الزنبق في (الكـورسيـه) وعـلى اردافهن مكان واسع ليد ثقيلة .. من سيكون وماذا يتبقى من الشباب بعد الستين ؟ انه مسحوق تحت وطأة الكدح في الغابات .. متصبب العرق ، لذا اصبحت رائحته نتنه . هو والحظ العاثر صديقان ، لكنه حين يصل الى القرية يصبح سيداً يحتقر كل من

يراه من الفلاحين والتجار على السواء . الحطاب هو واحد من الغواة ، وهو لايساوم على ثمن ربطة عنقه وهو لايبالي بمقايضته اخر قطع من الفضة ان اراد حجز رقصة له .

تجتمع ازواج الراقصين امام الاكواخ وقد صفت طاولات للشرب امام الحانة حيث اخذوا يرقصون بينها .

كان توماس هناك ايضا يقعد على عربة بجانب البوابة ويلعب . لقد عبّ كثيراً من شراب الحطابين ثم قرفص هنا تاركاً قدميه تهتزان على انغام الاوتار العميقة . واذا انتهت الرقصة بدأ يغني بوجه مشرق،ياله من يوم جميل له !

اخذت ماريا تجمع النقود من فوق الطاولات .. لكن الصبيان كانوا يلهون فراحوا يهيلون القطع الفضية على رأس توماس الاعمى .. ابصرته ماريا ثملاً والقطع النقدية الثقيلة تنهمر على وجهه فلا يقوى على ردها عن وجهه .. انسلت بحذر وبيدها الصحن مخترقة جمهرة الناس محاولة ان ترقى الى العربة لكن الوجوه المخيفة ردتها الى الخلف .

حلّ المساء ، فعج المكان بالضجيج والمهاترات كريح عاصف او كفيضان جارف . الحطابون عافوا متعة الرقص وراحوا يتشاجرون فيما بينهم ، ومَع مَن يلتقون به . راحت النساء يقاومن بالصراخ قبضاتهم الوقحة .

جمعت ماريا النقود وعقدت منديلاً بالياً عليها اذهبي وحدك ، توماس لايريد الذهاب ، كلا ، اتركوه ، فهو ثمل انه متشرد . مسكين . ارموا له النقود في الوحل ان شئتم اذ سيظل قاعداً على العربة يغني .. اسمعوا ، مايغني ! انه يشهق بكاء من شدة تعتعته

والدموع تسح وهي تنسكب لتصبّ في فمه المفتوح .
«كبير هذا العالم ، اجل
وفتاة ذات شعر فاحم ،
تشردت خلفها طويلاً ، فأنا لااطيق البقاء» .
راقبته ماريا بعينين ملؤهما الخوف ـ كيف ستكون النهاية ؟
صحا الحطابون من سكرهم . اخذوا يرددون كلمات الاغنية زاعقين بأفواههم الكريهة . «توماس» ، يصرخون به «هالو» ! رحلت بعيداً ، صحيح لانك كنت دوماً ثملاً ! لكن بصحبتك امرأة فاتنة . توماس . انه شيطان رائع بهيأة امرأة .. لِمَ لاترقص معها ؟ اجل اسمعونا موسيقى ، توماس يجب ان يرقص ...
ومن ثم يجرونه من العربة . لاتقوى ماريا على منعهم . توماس يتشبت بعنقها ، انه تئق للرقص .. روح ثمل .. سعيد بالشرف الذي منحوه اياه .. الاولاد يشكلون حلقة حول الاثنين «قبلا بعضكما !» هتف الاولاد «اجل ، ارها ياتوماس ايَّ الرجال انت !» ثم راحوا يسكبون الخمرة على رأسه ، حتى اصابه في النهاية الاعياء .
لم تستطع ماريا حمل الرجل الثقيل ، فوقع على الارض تحت العربة بلا حراك . لقد كان ذاك مزاحاً ، لايقل سماجة من اي مزاح سيء اخر . لا احد يهتم بهذا الاعمى . دعوه يضطجع هناك . هذه هي نهايته . ليس له وطن ، لقد حضر دون دعوة وليس له من هوية ، ولا احد يشكره حين يرحل ثانية .. انه طير طليق ذلك المتشرد ..
توماس ملقى على التراب كالموتى .. تجره ماريا ببطء من تحت العربة .. ثم تنظف بمنديلها وجهه . «ماذا يؤلمك ؟» هتفت ماريا والخوف يملأ صدرها «هل ساءت حالك ؟»

جثت امام الرجل الذي يجود بانفاسه . قد يموت وعندها ستصبح حياتها بلا معنى . ستضيع . آخ ، فقلبها عالق به حباً وحناناً لأيام ولليالٍ طوال ! غالباً ماكان يتقدمها مسرعاً ، وما كانت قادرة على اللحاق به ، ذلك لانه كان شبعاً بينما لم تعرف هي طعم الشبع يوماً ..

في الاماسي كانت تجوب البيوت من اجله ، وتقدم نفسها ثمناً .. في هذه اللحظة راحت تفكر بكل مامضى ، مرة بحثت عنه طوال النهار بقلب قلق عندما ادار عنها وجهه غاضباً ، وتاه في ارض المستنقعات . ليس لدى ماريا سوى هذا الشيطان المسكين الاعمى البائس ، الوحيد الذي يصبر على حبها ، لانه لم يطلع على وجهها القبيح ..

مرّ طبيب من هناك . ركضت ماريا خلفه «ايها السيد» هتفت واخذت يده لتقبلها ، لم يكن قلب الطبيب حجراً . شعر بالضجر قليلاً الا انه اخيراً رافقها . فحص المريض . ليس الامر خطيراً . بعد ساعات سيعود توماس معافى ويفيق من غيبوبته .. «اجل اجل» ، خاطبه الطبيب «لقد تسمم جسمك ياولدي بقدر كبير من الكحول» .

مكث الطبيب مع الاثنين برهة ثم خاطب ماريا ، حسنا ، قال لها ، دعيه ينم بهدوء . افهمت ؟ أأنت زوجه ؟

اجل ، توماس اعمى . عقبت ماريا،اذن فهو اعمى . هذا ما اثار اهتمام الطبيب . في بيته الكثير من الالات والعدسات الطبية وهو طبيب حديث عهد بمهنته . لقد جاءته الفرصة لممارسة مهنته وقتل

الفراغ . ويمكنه ايضا ان يفحصه بدقة وتأنٍ حتى ينجح في تشخيصه المرض .. لم يسهب في شرحه . يجب على توماس النهوض ومرافقتي . ارجوك ، هتف الطبيب بهدوءٍ ، تعالا معي لن يحدث لكما سوء ..

كلا لم يصبهما سوء .. بعد ذلك رقد الاثنان على ارضية القش خلف المطعم كما اعتادا دائماً .. الا ان توماس اكتشف شيئاً جديداً محيراً .. شيئاً جديراً بالملاحظة . عماه جاء نتيجة لعدم معالجة مرضه ، والا كان قد شفي منه في حينه . كان الامر سهلاً لو عولج المرض منذ البداية، اوضح الطبيب ذلك قائلاً: «يارجل، انه فعلاً امر مؤسف. باستطاعتي ان اشفيك؟ ولكن ليس هنا في هذا المكان، وليس وحدي بلا شك. عليك ان تذهب الى المدينة وبعد ان تعالج هنالك في المستشفى تحصل على نظارة، بعدها تستطيع ان تشاهد كلّ شيء. ليأخذني الشيطان ان كنت ادعي فعل ذلك بنفسي نعم. استلقى توماس على القش، واخذ يعيد النظر بالاشياء.. تحسس بيده عينيه الميتتين.. أ سأبصر الاشياء؟ العالم بالنسبة الى توماس يتكلم بلغة خاصة. الصيف والخريف.. روائح الخمور.. اريج الحدائق.. طعم التراب يحسه بفمه واشياء اخرى يحسّها بيديه. عالم كله ثقة وجمال. «الشجرة» او «العشب» يفكر فيهما كما لو كانا قطعة لحم بقر والواح خشب رطبة. هذا كل ما كان يكفيه، انه لايعلم شيئاً عن بعد السماء، ولا عن الغابات والجبال. وتوماس يحاول ان يتكيف للوضع الجديد روحياً. سينشرح صدره لرؤية العالم.. ماهذا؟ اهذا هو النور، وتلك هي الالوان؟ سيصبح كغيره من الناس، كأي انسان حر سعيد. ثم اخذ يفكر في ماريا

وهي تستلقي بجانبه نائمة.. ادار جسمه نحوها، وتلمس وجهها انه مبتل من كثرة الدموع.

«ماهذا ، اتبكين» سألها .

«انا لا ابكي ، توماس ، كلا فانا لا ابكي !»

شوارع مظلمة ، جو خانق ، تلك هي المدينة .

وماريا تسير وحافة النهر مساء ، حيث يلتمع نور ضئيل في الماء .. ثم تتسع رقعة النور حتى يبدو النهر كالبحر .. البنت تفتش عن مكان لها تحت الاشجار ، عن دكة تضطجع عليها ..

منذ اسبوع جاءت ماريا المدينة .. عندما وصلتها كانت الاشجار تستعد لتنفض ما عليها من ورق .. انه الخريف وليس هناك من يمنع سقوط الاوراق . يوماً بعد اخر .. لاتستطيع حماية ماريا من عصف الريح ولا تستر لها عورة امام نظر العابرين .

اجل ، فمنذ اسبوع وتوماس يرقد في المستشفى وليس امام ماريا سوى ان تتسكع وحيدة في شوارع المدينة .. آخ . هنا تتسكع ماريا وتكافح بقلق ضد قدرها المنكود . تنادى من اعماق روحها : رباه .. راحت تقترب من توماس الان . يوماً بعد يوم وهي تقترب من الخطوة الاخيرة ، من النهاية . خطر ببالها ان تتوه في الطرق ، او تتمارض لكي تكسب الوقت انتظاراً للنتيجة . الا ان توماس سوف يقلق حتماً او يشك ـ ماذا حدث لماريا ؟ سوف يبدأ السؤال عني يستفسر مِن ايّ شخص يقابله . وحين يدرك اني كنت متمارضة . سيهجرني ويذهب وحيداً يفتش عن طريقه . ماريا مفتونة بالاعمى ، وليس لها قلب ابطال الملاحم ولا قلب الزهاد ، وليس الزهد هدفَ حبّ كهذا ..

توماس يتوق لان يرى ، نعم وسوف يرى كيف هي زوجته .

قبيحة معدمة . وسيحس بانه قد خدع . وعندها سيتحطم كل شيء.. الحب وحده قد يكون اثمن من نور العيون؟ انت تفهمين الحب .. انه لايفنى . انه يجري في دم المرأة التي تحب .

صباح كل يوم تتردد ماريا الى المستشفى في احدى ضواحي المدينة .. ولكن لايسمح لها بزيارة المريض ، فعليه ان يبقى في الظلمة وينتظر حتى تشفى عيناه . لا احد يعلم ما ستكون عليه النتيجة ..

وتنتظر ماريا طويلاً في الممر تشم روائح غير محتملة . انه اخطر مكان في المستشفى كلها . اطباء بصدريات بيض يمرون خلال الممر ، ينظرون اليها ثم يسألون عنها ويختفون في نهايته . بهدوء تخرج ممرضات من ابواب مطلية بطلاء أبيض يحملن بأيديهن اجهزة ومفاتيح . وجوههن غريبة ، بيض ، ناعمة باردة . ابدت ماريا قليلاً من القلق ، فهتفت المرضة قائلة .

ـ اجل ، اجل ، ليس الان ياأمرأة ، ربما غداً .. بقي يوم واحد لكن النتيجة ستكون جيدة .

تنهدت ماريا وهي تنصرف :ـ ليت لا غد هناك ، ياالهي ، ربما بعد ايام عديدة اخرى وربما بعد يوم واحد .. يسقط الثلج فتمتلئ روحها اكتئاباً،ينضح القلب دماً .. حتى السماء غاضبة !

تعود ماريا الى المدينة ، ولكن الى اين تولي وجهها الان ؟ الشوارع زاخرة بالناس الذين يهرعون اتقاء الزمهرير .. الكلّ يبدو ممتعضاً منزعجاً تتبعت ماريا خطوات سيدة ترتدي معطف فرو فدخلت خلفها محلاً تجارياً كبيراً . اصطدمت برجل احد الزبائن . لو كانت منتبهة ولم تسقط على طاولة الاجهزة ، لاستطاعت ان تمكث

هنا طويلاً لتحمي نفسها من لفح البرد في الخارج . لكنها ضبطت من احد مراقبي المحل . تقدم منها ثم قال ـ تفضلي ! قالها بهدوء ثم دفعها خارجاً ـ عليك ان تغربي من هنا . أفهمت ؟ ماكان عسيراً على ماريا ان تعرف جيداً انّه بعد وجبات الغداء في كثير من المطاعم تتوفر فضلات من الطعام .. كلا الامر يكون اسهل خلال النهار ـ بامكانها ان تنتظر ساعات في مطاعم المحطة او في غرف انتظار عيادات اطباء الاسنان . ولكنه الليل الان . وفي الليل تتخلى كل هذه الاماكن عن ماريا .. الظلام يسود المدينة بسرعة . تحاول ماريا ان تفتش لها عن مكان هادىء في ازقة المدينة المتطرفة . هناك حيث تسكن الريح ويشيع قليل من الدفء ..

وقفت طويلاً امام واجهة محل للحلاقة . اجل انه منظر مناسب . هناك دمى مطاط مبتسمة ومرايا .. «تلك الدمى الجميلة ببراءة وجهها المطاطي تأسى لي بطريقتها الخاصة . اعتقد ان الامر ليس على درجة من السوء ، ولم افقد كلّ الامال ..»

ربطت ماريا منديلاً تحت عنقها ، واظهرت خصلة من شعرها الفاحم على وجنتيها .. خصلة سوداء متحدية ..

عندها قابلها رجل لمس كتفها ثم وقف يتطلع الى ظهرها . كان الرجل عاملاً ، طويلاً ، قوياً ، يعتمر قبعة ويرتدي معطفاً ويحتذي حذاءً لامعاً . فزعت ماريا حين لبث واقفاً هناك . ثم ابتسم ضاحكاً من خصلة الشعر . حولت نفسها عنه بسرعة . اخفت شعرها تحت المنديل ثم عبرت الشارع الى الجهة الاخرى المظلمة .

تبعها الرجل . ماكان باستطاعتها الخلاص منه . وقف وكلمها قائلاً : اسمحي لي ، ارجوك يانسة ، انت تمشين وحدك هنا ؟

لم تجب ماريا .. هناك عند نهاية الشارع مصباح يضيء .. كيف حدث هذا ، فكرت ماريا بقلق ، اذ نادراً ما يحالفها الحظ . وقفت بالقرب من نافذة ، وتحت الضوء الاحمر ابصرها هذا الرجل الغريب الذي يسير الان الى جانبها ويتكلم معها وكأنه على معرفة سابقة بها .. ربما لايتحمل الشارع المظلم الذنب كله ، حتى يرفع الرجل فجأة الكلفة بيننا ويكلمني وكأننا اصحاب ، واضعاً يده تحت ذراعي . انه يدعوني الى طعام وشراب في مكان دافىء . المكان ليس بعيداً ، قال لي ، بضع خطوات في الشارع التالي احتملته ماريا ، عندما لثم خدها اثناء سيرهما . انها خبيرة بهذا ، بتلك الانفاس في الظلمة .. اجل ، اجل ، فكرت بحذر وهي ممتنة .

– انتظري . تعالي معي !

تحت نور المصباح لبثت ماريا واقفة ، ترتجف ، ضعيفة امام الأمل . انحنى الرجل ، وحدق طويلا الى وجهها ثم ابتسم . غمغم : اذن .. وبعد ذلك لمست كيف تغيرت اساريره .. تغير قليل ولكن وقعه كان اعنف من لكمة حديدية تلقاها قلبها ..

«اجل – اذن هكذا ؟» قال الرجل الغريب ثم اعتدل .. سار **الاثنان معاً بضع خطوات ثم ابتعد عنها تدريجياً** واختفى في شارع فرعي .. تلك الليلة فقدت ماريا اعصابها ، وفقدت راحتها هائمة في الازقة مرة اخرى،اقتربت من نور المصباح . اراحت جبينها على عمود الحديد البارد وبكت قليلاً .

في الصباح فتشت عن الطريق الى المستشفى في تلك المدينة الكبيرة الا انها لم تهتدِ اليها . تطلعت الى واجهة المحال التجارية فقط . كلها كانت لامعة وغير موحشة . ياله من يوم جميل ومشمس

وصاف ! انه يوم من ايام الشتاء المبكرة .. عادت ماريا الى المدينة ثانية .. كانت منهكة جداً .. مكثت واقفة على منتصف الجسر وتحتها النهر يجري .

فجأة هرع الناس الى الجسر ضاجين منادين . نظروا عبر سياج الجسر الى الماء .

ـ لاتتعبوا انفسكم ! لقد انتهى كل شيء ..

في اليوم نفسه فتح العالم لتوماس الاعمى ابوابه اذ سمح له بمغادرة سريره في غرفة المستشفى . ببصيص من نور راح يتجول خلال الممرات وحدائق المستشفى . بعد فترة سلموه ملابسه ووضعوه في مكان الناقهين . لكن اين هي ماريا ؟ ماريا ؟ آخ تلك المرأة ؟ كانت تجيء كل اليوم لكنها غابت اليوم . كلا أنها لم تجيء منذ اول البارحة .

لم يستطع توماس ان يصدق بما يهرفون . ذرع كل شوارع وازقة المدينة حزيناً باحثاً عن ماريا . امرأة حبه . انها اجمل النساء ! اجل ، كيف تبدو الان ؟ هذا ماكان يجهله بينما عاد الان يعرف كل الاشياء . العالم المظلم قد ولى بعيداً عن حياته . لكنه يجهل كيف تبدو ماريا الان .. كانت تحركه فقط في ذلك البعد الاسود المظلم بنعومة وطيبة .

ـ اجل ، ايها السيد ، يداها كانتا ناعمتين .. كانتا دافئتين .. لكن حين سمع الناس ذلك منه ضحكوا . ساعده احدهم على الوقوف قائلاً :

ـ اذهب الى مخفر الشرطة ، كلا ، هذا مزاح ولكن حاول ولا ضير في ذلك ، ايها الصديق . توجه الى الشرطة !

كان مفتش الشرطة يداعب توماس ايضا قائلاً : اذن ، فهي امرأة طويلة شابة ؟ وربما شقراء ؟ كيف كانت تبدو ؟»

بدأ توماس يسرد قصته : كان اعمى . اليس كذلك ؟ ثم عولج بالمستشفى والان صار يبصر الاشياء بنظارته هذه ، لكن ماريا قد اختفت .

«اسمها ماريا ، ايها المحقق ، كانت تواظب على المجيء كل يوم ، الا انها ومنذ الاحد الماضي لم تظهر» ..

انتبه المفتش ، تمهل ، قال له «متى حضرت الى المستشفى في المـرة الاخـيرة؟ لاأعـرف تمـامـاً.. حسـن.. اذن تعـال معـي على اية حال» تبعه توماس الى قاعة كبيرة مضاءة تصف فيها مناضد طويلة . عليها هنا يستلقون . المكفنون بالكفن الابيض ، الجثث ..

تقدم المحقق من احدى الجثث . رفع الغطاء عن وجهها ..

«امسك نفسك ، وتجلد» ، هتف به ، «أهذه هي السيدة» ؟ تقدم توماس من الجثة ثم انحنى . شاهد وجهاً قبيحاً متقلصاً مشوهاً . تظهر عليه تشنجات الموت . تحسس بيده شعر المرأة الغريبة ثم جبينها .

ـ آه ، من هنا سأتعرف اليها . من حرارة وجنتها القوراء التي تعرفها راحة يدي .

«كلا» هتف توماس بعد وهلة وهو يبتسم بشحوب «اهذه ماريا» كلا . لقد كانت شابة ايها المفتش .. كانت امرأة فاتنة .. اجل . ثم بعد.ذلك انطلق المتشرد يبحث دائماً عن ماريا ، التي لايعرفها . الا من ملمسها في الظلمة احياناً .

ترك المدينة .. احتضنته الطرق ثانية .. الريح تعصف بشجر

الحور والثلوج يحدث تكسرها صوتاً تحت قدميه ..

كل هذه الاشياء تعرف اليها ثانية .. وسار يتسكع من جديد ذلك لان التسكع يجري في دمه ..



## برتولت برشت (١٨٩٨ - ١٩٥٦)

ولد برتولت برشت في عام ١٨٩٨ في اوكسبورك وتوفي في عام ١٩٥٦ في برلين الغربية ، كان برشت بليغاً وبارعاً في ادخال الاغاني او الاناشيد الجميلة في مسرحياته . تراه من طرف خفي يظهر ما يرمي اليه من التعبير عن الالم أو الشوق او الحلم او الموت او الجوع او الحنين الى الوطن . ومن اشهر اعماله : «نشوء مدينة ماهاكوني وسقوطها» (١٩٢٩) و «القديسة يوحنا من شلاخت ـ هوفه» (١٩٣٢) و «الام الشجاعة» (١٩٤١) و «حياة غاليليه» (١٩٤٣) و «الانسان الطيب» (١٩٤٢) و «وجوه سيمونه مارشارد» (١٩٤٣) . وبيّن برشت في جميع ما كتبه بانه من مشاهير شعراء وكتّاب المسرحيات الالمان في العصر الاخير . بريشت كاتب دراماتيكي وقاص وجداني . فقد كتب قصائد وقصصاً ومسرحيات ملتزمة ذات خيال واسع يدلل على عبقرية . وصار لأسلوبه مدرسة في المسرح العالمي .

# سلوك جدتي

كانت جدتي في الثانية والسبعين حين توفي جدي .. كان لديه مطبعة صغيرة للطباعة الحجرية يعمل فيها مع ثلاثة مساعدين حتى مات في هذه البلدة الصغيرة ..

كانت جدتي تؤدي واجباتها المنزلية دون مساعدة من خادمة.لقد عنيت بالمحافظة على البيت القديم المهزوز وطبخت الطعام للمساعدين وكذلك للاطفال .. كانت قصيرة القامة نحيفة لها عينان كعيني سحلية . إلا أنها تتكلم باسلوب بطيء هادىء . لقد استطاعت أن تربي اولادها الخمسة بين سبعة اولاد ولدتهم ، بموارد زهيدة . لذا صارت اضأل عما كانت عليه .

من الأولاد الخمسة بنتان هاجرتا الى أمريكا . ورحل اثنان منهم الى اماكن اخرى للاستقرار فيها. من بقي من الأولاد في ذات البلدة هو الولد الاصغر الذي كان يعاني من اعتلال في صحته. صار طبّاعا للكتب وكوّن عائلة كبيرة ينوء بتحمل عبئها..

لقد بقيت وحيدة بعد وفاة جدي ..

الاولاد تبادلوا الرسائل بينهم . ناقشوا الوحدة التي تحياها ، وما يمكن أن يحيق بها نتيجة ذلك . أحدهم عرض عليها أن تسكن معه . طبّاع الكتب عرض عليها أن يسكن معها هو وعائلته . العجوز رفضت الاقتراحين ، وطلبت من اولادها،كلٌ حسب امكاناته،مبلغاً

من المال كمعونة لها .. هرمت المطبعة منذ فترة ، ولم تدرِ شيئاً عند بيعها ، بل انها كانت مثقلة بديون باهظة .

كتب لها الأولاد : انك لن تستطيعي العيش وحيدة . وحين لم تستجب لندائهم وعللت ذلك بأنها على ما يرام ، رضخوا للأمر الواقع وبدأوا يرسلون لها مبلغاً من المال كلّ شهر . وبالتالي اطمأنوا لقرب أخيهم طبّاع الكتب منها في البلدة ..

أخذ طبّاع الكتب على عاتقه مسؤولية اخبار اخوته عن حال الأم أولاً بأول: رسائله الى والدي ، وحديثه في احدى الزيارات ، وما عرفناه بعد وفاة جدتي عن السنتين التي عاشتهما بعد وفاة جدي . كل ذلك كوّن لي صورة عن احداث السنتين الاخيرتين من عمرها .

وعلى ما يبدو فأن طبّاع الكتب قد خاب ظنّه من البداية عندما منعته جدتي من السكن معها في البيت الكبير ذي الغرف الشاغرة ، وانحبس في ثلاث غرف مع اطفاله الأربعة . إلا أن علاقة العجوز معه ومع الاطفال ظلت جيدة ، فقد ظلت تواظب على دعوة الاطفال اليها عصر كل يوم احد لشرب القهوة. هذا كلّ ما كانت تفعله .. وكانت تزور ولدها ايضاً مرة او مرتين في بحر كلّ ثلاثة أشهر .. كانت تساعد زوجة ابنها بطبخ الحبوب ..

وكثيراً ما كانت الزوجة الشابة تلمح أن البيت ضيق على طبّاع الكتب وعائلته ، وما كان باستطاعته ان يكتب ويشرح حاله ويطلب ذلك في رسائله .

سأله والدي خطياً عما تفعله العجوز الآن ، اجابه باقتضاب : انها ترتاد دور السينما .

على المرء ان يفهم أن هذا الأمر كان غير مستساغ عند الأولاد .

وفي كل الاحوال لم تكن السينما قبل ثلاثين عاماً كما هي عليه اليوم . كانت تدمن عرض البؤس ، وهموم البائسين . وكانت دور السينما وتهويتها سيئة ، ويتم العرض دائماً في محلات قديمة .. والاعلانات الصارخة المعلقة فوق المداخل تروج المذابح والمآسي والآلام . وحقيقة فمن كان يرتادها هم المراهقون او المعتوهون او العشاق ومن بين هؤلاء سيشكل وجود المرأة العجوز نشازاً حتماً.

وكانت هناك ناحية اخرى توجب أن تولى العناية والدراسة في ارتيادها السينما .. صحيح ان ثمن التذكرة رخيص لكن المورد الذي تحصل عليه سيصرف حتماً على شراء الحلوى . ان هذا يعني تبذيراً مرفوضاً للنقود والمبذرون أخوان الشياطين .

وما كانت جدتي تحرص على ديمومة العلاقة لا مع ولدها الذي يساكنها البلدة نفسها فحسب بل انها أهملت حتى دعوات وزيارات معارفها . لم تعد تحفل بها بل قاطعت تماماً حفلات شرب القهوة الجماعية التقليدية في الحي . وواظبت بانتظام على زيارة ورشة ترقيع احذية يملكها اسكافي في زقاق فقير ذي سمعة سيئة ، تتسكع فيه فئات غير محترمة ، خاصة أوقات العصر ، من قبيل ندل عاطلين عن العمل ، وصبيان يعملون في ورش يدوية ..

الاسكافي كان متوسط العمر . جال حول العالم ، ثم رجع خالي الوفاض كان يدعى «الثمل» . وعلى أية حال ، فهو لا يناسب جدتي .

لقد لمّح طبّاع الكتب في أحدى رسائله الى أنه لفت نظرها الى أنه شمّ رائحة فيما تسلكه لكنها لم تكترث به . لقد وبخته ببرود . كان ذلك كلّ جوابها وكفى ..

لم يكن من السهل الحديث مع جدتي في أمور لا ترغب هي بالحديث عنها . بعد نصف عام من وفاة جدي ، كتب طبّاع الكتب الى أبي بأن جدتي أخذت تتناول طعامها مرتين في الأسبوع في المطعم . ما هذه البدعة !

تلك الجدة التي طبخت طوال عمرها لدزينة من البشر . وكانت تحيا دوماً على فضلة الطعام ، تأكل الآن في مطعم ! ما هذا الانقلاب في حياتها ؟

بعد ذلك بقليل قام أبي بسفرة عمل الى مدينة قريبة من بلدتها فزار جدتي.. وصلها وهي متهيئة لمبارحة المنزل. نزعت القبعة عن رأسها ، وقدمت له كأساً من النبيذ الأحمر ، وقطعة من الخبز المقدد . كان يسيطر عليها ثقل الاتزان ، ولم تكن بالمرحبة ولا بالصامتة .. استفسرت عن الجميع ولكن بشكل عابر .. وكانت تؤكد أن تعرف خاصة اذا كان مايزال يقدم الكرز للاطفال. هذه هي كما كانت عليه دائماً. البيت كان نظيفاً فعلاً لدرجة يعجز عنها الوصف. وصحتها كانت تبدو جيدة.

الشيء الوحيد الذي لفت انتباه أبي هو رفضها مرافقته الى المقبرة حيث يرقد زوجها . «يمكنك الذهاب وحدك» قالت عرضاً «انه الثالث يساراً ضمن الرهط الحادي عشر ، أما أنا فعلي أن اذهب الى مكان ما».طبّاع الكتب أوضح ذلك فيما بعد قائلاً ، ربما كانت ذاهبة الى الاسكافي ، وقد أحزن أبي ذلك كثيراً ..

«أنا أعيش في هذا الجحر مع عائلتي واشقى خمس ساعات في اليوم مقابل أجر زهيد ، وسيجهز علي مرض الربو بينما الدار في الشارع الرئيس فارغة ..

استأجر أبي غرفة في الفندق منتظراً من والدته أن تدعوه للأقامة معها في الأقل خلال ايام الزيارة القليلة . لكنها لم تطلب منه ذلك متعمدة عدم سؤاله عن مكان اقامته ، في حين انها عندما كان البيت مزدحماً كانت تلح عليه بأن يقيم معها ، ويدخر أجرة الفندق !

لقد صرمت كلّ صلة لها بعائلتها ، وانتهجت طريقاً جديدة حتى نهاية عمرها المرتحل . أبي الذي كان يمتلك قسطاً كبيراً من الدعابة والمزاح ، وجدها «حيوية جداً» ، وقال لعمي أن يدع العجوز تفعل ما تشاء . لكن ما الذي أرادت أن تفعله ؟

الأمر الثاني الذي شُهرَ عنها هو أنها اعتادت ان تحجز عربة ، وتقوم بسفرة الى احدى القرى المجاورة ، كلّ يوم خميس ، مع أنه يوم عمل .. كانت العربة كبيرة بعجلات عالية تجرها الخيول ، وكانت مقاعدها تكفي العائلة كلها .. في مرات نادرة كان جدي يستأجر هذه العربة عندما كنا نحن الاحفاد نجتمع عندهم . وكانت جدتي تلازم الدار ، وتعلن عدم رغبتها بالمجيء معنا بان تحرك يدها حركة خاصة واحدة .

بعد ظاهرة اكتراء العربة قامت بسفرة الى كولون وهي مدينة واسعة جداً ، يستغرق السفر اليها ساعتين بالقطار . هناك يقام سباق للخيل ، والى سباق الخيل هذا ذهبت جدتي .

ثارت ثائرة طبّاع الكتب لهذا وأنذر . أراد أن يعرضها على طبيب إلا أن والدي عندما قرأ الرسالة اعلن رفضه ومعارضته هذه الفكرة .. لم تسافر جدتي وحدها الى كولون ، بل اصطحبت بنتاً شابة معها .. بنتاً بلهاء ذات عاهة كما وصفها طبّاع الكتب في

رسالته .. كانت البنت تعمل طباخة في المطعم الذي كانت جدتي ترتاده مرتين في الاسبوع .. ذات العاهة هذه لعبت دوراً مهماً من الآن وصاعداً في حياة جدتي .

لقد ظهر على جدتي كونها ولعة بشكل جنوني بهذه البنت . اصطحبتها الى السينما والى الاسكافي ايضاً الذي قدم نفسه لها بإعتباره من الديمقراطيين الثوريين .. وانتشرت الاشاعات بأن السيدتين لعبتا الورق وشربتا النبيذ في مطبخ الاسكافي ..

«اشترت الجدة لذات العاهة قبعة مطرزة «بوردة ..» كتب طبّاع الكتب ذلك وقد هدّه اليأس في حين أن زوجتي لا تمتلك حتى ثوباً بلدياً ..»

اصبحت رسائل عمي متوترة (هستيرية) ومضمونها الرئيس كان «السلوك المشين لجدتنا العزيزة»،لا شيء آخر يذكر فيها . أما عن الاخبار الأخرى فقد كنت أعرفها من والدي ..

صاحب المطعم غمز والدي بعينيه مطمئناً اياه : «السيدة تمتع نفسها الآن ، كما يشاع»

وفي واقع الحال فان جدتي عاشت عيشة مترفة في السنتين الاخيرتين . ولو لم تعتد الأكل في المطعم لأقتصر طعامها كالسابق على البيض والخبز المقدد والقهوة ولظلت تشرب النبيذ الأحمر الرخيص الذي كانت ترتشف منه كأساً عند كل وجبة وما عادت تعنى بغرف البيت كلها وخاصة بغرفة نومها والمطبخ الذي كانت تلازمه دائماً . وكانت قد وقفت نفسها على الاطفال دون اعتبار لشيء إلا أنه أخيراً لم يعد هناك احد يعرف كيف ولمن تنفق نقودها .

لكن ظهر اخيراً أنها كانت تمنحها للاسكافي ، اذ انتقل الى مدينة

كبيرة بعد وفاتها ، وافتتح له محلاً كبيراً للاحذية .

ووفق عرض دقيق لحياتها يظهر أنها عاشت حياتين،واحدة بعد الأخرى . حياتها الأولى كفتاة ، وكسيدة ، وكأم . اما في الحياة الأم فهي السيدة ، شخصية مستقلة ، متحررة من أية مسؤولية ، متواضعة قنوعة ، مع أنها مكتفية مادياً ..

الحياة الأولى استمرت أكثر من ستة عقود ، أما الحياة الثانية فلم تدم أكثر من سنتين ..

اخبرنا أبي من خلال تجاربه بأنها خلال النصف الأخير من السنة الاخيرة سمحت لنفسها أن تتصرف بحرية ، يتعذر معها على الانسان الطبيعي أن يرتضيها لنفسه .. مثلاً كانت تستيقظ في الثالثة عند غبش كل يوم صيفاً وتتجول في شوارع المدينة الخالية متنزهة . لم يفعلها أحد غيرها .. وحتى القس الذي اعتاد زيارتها ليخفف عنها وحدتها أغرته بالذهاب معها الى السينما .

في كل الاحوال ظلت وحيدة ، ويبدو أن للاسكافي رفاقاً كثيرين مرحين ، عابثين ، مهرجين . كانت تحتفظ دائماً بقنينة من نبيذها الأحمر ، ومنها كانت ترتشف كأسها المعتادة ، اثناء احاديث الآخرين حول استبداد المدينة المطلق .. النبيذ الاحمر كان حصتها وحدها في حين كانت توفر للآخرين انواعاً أخرى من المشروبات القوية .

ماتت الجدة ميتة مفاجئة عصر يوم من أيام الخريف ، لكن ذلك لم يكن في فراشها ، بل على كرسي خشبي جوار النافذة .. وكانت قد دعت ذات العاهة مساء ذات اليوم الى السينما، لذا كانت البنت الى جانبها عند وفاتها .. كانت الجدة في الرابعة والسبعين عندما توقف

قلبها .. رأيت صورة لها ، وهي على فراش الموت . وهي صورة خاصة بالابناء والاحفاد .. يرى المرء أمامه وجهاً ضئيلاً ، زاهداً ، مليئاً بالتجاعيد .. وشفاهاً رفيعة لكن بفم عريض .. كانت قصيرة نحيفة لكنها لم تكن تافهة .. ذاقت مرارة العبودية سنين طوالاً وحلاوة الحرية سنتين فقط ..

لقد استنفدت خبز الحياة حتى الفتات الاخير .



## كورت توخولسكي (١٨٩٠ ـ ١٩٣٥)

ولد توخولسكي عام ١٨٩٠ ببرلين ، وتوفي عام ١٩٣٥ في مدينة هنديس غوتبرك السويدية . إشتهر بكتاباته السياسية النقدية والاجتماعية . كتب قصصاً عديدة منها :
«من اين تأتي الثقوب في الجبن» « والانفلونزا ليست مرضاً بل حالة» .

# من اين تأتي الثقوب في الجبن؟

عندما يُدعى ضيوف الى حفل عشاء فعلى الصغار أن يتناولوا عشاءهم ويأووا الى الفراش مبكرين . لا ضرورة لأن يسمع الصغار أحاديث الكبار كلّها ووجودهم بين الكبار أمر غير لائق . ثم ان عدم وجودهم يضفي على الجو الهدوء .. حقا ان ذلك ظاهرة صحية ومشروعة .

هناك على المائدة شرائح جبن على قطع الخبز . «ماما» مزرت الطعام بقطعة من هذا وقطعة من ذاك . لم يكن «بابا» موجودا معنا قالت سونيا : «ماما» ، قادرة على أن تدخن .

- «قطعا ! لا تستطيع التدخين !

زمجرت ماما صائحة «ينبغي لكم ألا تتكلموا اثناء تناول الطعام» الطعام»

- «ماما ، انظري الثقوب في الجبن !»

ارتفع صوت البنتين في آن واحد ! «توبي غبي ! يوجد في الجبن ثقوب دائما !

بنبـرة رقيقة هتف الصبي! حسن.. ولكن لماذا؟ ماما اقصد من اين تاتي ثقوب الجبن؟

«عليك أن لا تتكلم اثناء الأكل !»

«لكني أريد أن أعرف من أين تاتي الثقوب في الجبن ؟

سادت فترة هدوء ، فكرت الأم خلالها قبل أن تجيب : توجد ذائما ثقوب في الجبن» الصغيرتان على حق .. الثقوب موجودة في الجبن دائما ..

«ماما ! ولكن لماذا لا توجد ثقوب في هذا النوع من الجبن وتوجد في ذاك النوع»

«الآن عليك أن تصمت وتأكل . لقد أوصيتك مائة مرة بأن عليك أن تصمت اثناء الأكل . هيا ، كلْ !»

«هه ! ولكني أريد أن أعرف من أين تأتي الثقوب الجـ .. آخ ! ...

«لا تدفع الصحن !»

ارتفع صراخ وحينها دخل الأب .

- «ما الذي يحدث هنا ؟ مساء الخير !»

- «إنه الصبي عاد الى سوء الأدب»

«لم اسيء الأدب قطعا ، أردت فقط أن أعرف من أين تأتي ثقوب الجبن ؟ شفْ في هذا النوع توجد ثقوب ولا توجد في ذاك . صاح الاب: «طيب! لاحاجة بك الى الصراخ بسبب وجود الثقوب أو عدمها ستشرح لك ماما الأمر وتحلّ المشكل في الأمر .

احتجت الأم هامسة «يوه!» وضع الحلاوة في فم الولد» الآن أعطاه الحق: المائدة للاكل لا للحديث..

هتف الاب: «ولكن حين يسأل الطفل ينبغي للمرء أن يقنعه بالاجابة المعقولة هذا ما اعتقده ..»

انبته الأم : هكذا دائماً أمام الاطفال !» حين يكون في السؤال منطق وفائدة ، وفي الجواب فائدة اكبر لا أتوانى عن الاجابة

والشرح ، أما الآن فكلْ» .

«بابا ! من أين تأتي الثقوب في الجبن . هذا ما أريد أن أعرف»

هتف الأب:هكذا اذن ، الثقوب في الجبن ! ذلك من آثار تصنيع الجبن . فالجبن يصنع من الحليب والزبدة . بعد ذلك يتخمر ثم يصبح رطباً . في سويسرا يصنعون الجبن بطريقة أفضل . عندما تكبر سوف أسمح لك بالسفر معنا الى هناك. هناك جبال شواهق مكللة بالثلوج دائماً .. ياله من جمال ! .. ماذا ؟

«نعم يابتي ! ولكن من أين تأتي الثقوب في الجبن ؟»

«أوه لقد شرحت لك قبل قليل . عندما يصنعه المرء في المعمل ..»

«أجل.. لكن من أين أتته الثقوب...؟»

«أوه . ياولد ! ستجعل في قلبي ثقوبا كثقوب جبنك . اذهب الى فراشك ! هيا فالوقت متأخر»

«كلا ! بابا ليس الآن . ليس قبل أن تشرح لي من أين تأتي ثقوب الجبن» ..

صفعة على الرأس .. علا صراخ ثم رنّ الجرس .

دلف العم ادولف : «مساء الخير ! مساء الخير مارغوت !»

ـ «مساء الخير ..»

ـ «كيف الحال ؟ ماذا يفعل الاطفال ؟ توني لماذا تصرخ بهذا الشكل ؟»

ـ «أريد أن اعرف ..»

ـ «اسكت .. ولا تتكلم .. !»

ـ «انه يريد أن يعرف ..»

ـ «إذن ، خذي الصبي الى الفراش ، ودعيني في راحة من هذه

الأفكار الغبية تعال ، ادولف ، تعال لنذهب الى غرفة الاستقبال . فهذه الغرفة ستنظف ..»

- ليلة سعيدة ياعم ادولف !

- ليلة سعيدة ايها الأولاد .

صاح المشاكس، اسمع سؤالي آخر مرة.

- «ماذا يريد ؟»

- مارغوت سوف تحل هذا المشكل أنه يريد أن يعرف من أين تأتي الثقوب الى الجبن وهي لم تشرح له الأمر ..

- وهل شرحت له أنت ؟

- بلى. فعلاً شرحت له الاسباب.

- شكرا ، أنا لا أدخن الآن . قل لي أتعرف حقا من أين تأتي ثقوب الجبن ؟

- انــه لســؤال غريب ومعقــد. بلاشك أنا عارف من أين تأتي الثقوب في الجبن ؟ انها تحدث اثناء عملية تصنيع الجبن ومن اثر الرطوبة وهذا أمر في غاية البساطة .

- كلا ، ياعزيزي لقد أعطيت الصبي جوابا سخيفا . هذا لا يمكن عدّه جوابا شافيا..

- أجل ، لا تتحامل عليّ حقا انك لمعقد ! في هذه الحالة أتستطيع اذن أن تشرح لي من أين تأتي الثقوب في الجبن ..»

- بقوة الله ، استطيع ..

- تفضل . أرجوك .

- تأتي الثقوب في الجبن بسبب وجود مادة الجبنين فيه ..

- هذا هو السخف عينه

ـ هذا ليس سخفاً

ـ انه لسخف حقاً ، ذلك لأن الجبنين لا علاقة له بوجود الثقوب . مساء الخير ، مارتا .. مساء الخير أوسكار . رجاءً تفضلا بالجلوس ! كيف الحال ؟ .. لا جديد

ـ اذن علامَ هذا النقاش الحاد ؟»

هتف الاب «أرجو منك ، ياأوسكار ، أن توضح لي بعض ما في هذا العالم من أمور . انت مثقف ومتعلم ومحام . هل هناك من علاقة بين الثقوب في الجبن والجبنين» ؟

ردّ أوسكار : «كلا .. الجبن في الثقوب .. عفواً أردت القول : الثقوب في الجبن تأتي من .. اي انها تأتي من تمدد الجبنين بفعل الحرارة اثناء التصنيع !

ـ اتفق الاب والعم أدولف فجأة . التقت احاسيسهما وغرقا في الضحك.

ـ«هاها ! ها هاها ! اجل ! يالها من اجابة ضحلة .. الجبن يتمدد ! أسمعت هذا ؟ هاها .. !»

دخل العم سيجموند والعم جيني والدكتور كولن هايمار والمدير فلاكلاند ، وسط الضجيج «مساء الخير ! مساء الخير كيف حالكم؟.. نتناقش الآن في قضية معقدة وهي بالذات حول الثقوب في الجبن.. في الجبن ..

حان وقت العشاء ..

اذن أرجوك أن تشرح ذلك فيما بعد« قال العم سيجموند : ان وجود الثقوب في الجبن يأتي نتيجة التخمر حين ينكمش الجبن عند البرودة !

ضجَّت الغرفة بالضحك وتردد الضحك بايقاع «هاها .. البرودة ! بربك هل تناولت مرة جبنة مبردة ؟ حسناً انك لم تصنع يوما ما جبناً ايها المتعالم ! بسبب البرودة ! هاهاهه ! .. غضب العم سيجموند لاذ بالزاوية وحيداً .

قال الدكتور غوغن هايمر : «قبل الاجابة عن سؤال كهذا على المرء ان يميّز .. يجب عليكم أولاً أن تخبروني عن أي جبنة تتكلمون .. إجابة سؤال كهذا تعتمد على نوع الجبن ..

هتفت الأم : جبنة ايمنتالر ! ابتعناها الأمس يامارتا : أنا ابتاع الأن من دانسل ، اذ ان جبنة ميشيفسكي لم تعد تروقني الآن لأن ما ارسلهالي مؤخراً كان بالتأكيد .. اجاب الدكتور غوغن هايمار : « اذا كان الأمر يعود الى جبنة ايمنتالر فجوابه جد بسيط .. هذه الجبنة ذات ثقوب ، لانها جبنة صلبة ، وكل انواع الجبن الصلب فيها ثقوب ..

قال المدير فلاكلاند .. ايها السادة . ينبغي لنا أن نسأل أهل الاختصاص ممن لهم خبرة في صناعة الجبن . كل هؤلاء السادة الحضور هم من الأكاديميين (لم يفه أحد منهم بكلمة) ، ان وجود الثقوب في الجبن ناتج عن التحلل اثناء التخمر . أجل التخمر يحدث تحللاً بالجبن .. لان الجبن ...

انحنت الرؤوس الى الأسفل ، وظل السؤال قائما ..

ثارت عاصفة «بيو، أنا اعرف ذلك ايضا. لاعلاقة للمواد الكيمياوية بها !» هتف أحدهم بصوتٍ عالٍ : أليس عندكم الموسوعة ؟ ..

هبّ الجميع الى المكتبة كالعاصفة : ـ هاينر ، شيللر ، غوته ،

بولشه ، توماس مان ، ديوان شعر قديم .
ـ اين اذن ، المقصود ؟
من ج أ الى ج ي ... «جيس .. جبل .. جبل .. جَبُنَ .. جبانة ، جبَّن ، جُبُن : آه : دعني أرَ ، ابتعد عني ! عفوا ..» الفقاعات تأتي من تفاعل حامض الكاربونيك مع السكر الموجود في محلول الحليب ، هذا في بعض الانواع من الجبن .. إما ..
«الى أين تنتهي ؟ مارغوت هل انتزعت ورقة من الموسوعة ؟» .
ـ «كلا . هذا ليس واردا ..»
ـ اذن مَن دخل غرفة المكتبة ؟ الاطفال ؟ لماذا لم تغلقي باب المكتبة ، لقد اوصيتك مائة مرة أن تغلقي باب المكتبة ، اذ ان غلقه ضروري»
ـ «دعك من هذا ! كيف حدث هذا ؟
ـ اجابتك كانت خاطئة !
ـ لابل كانت صحيحة..
ـ لقد قلت إن الجبن يتجمد
ـ أنت مَن قال إن الجبن يتجمد..
ـ أنا قلت الجبن يتخمر
ـ ولكنك حتى الآن لم تقل شيئا عن تفاعل حامض الكاربونيك مع السكر كما هو مدون في الموسوعة !
ـ كلّ ما قلته كان سطحيا لا معنى له ..
ـ وانتِ ما الذي تعلمينه عن صناعة الجبن ؟ انك لا تفرقين بين جبن المعزى والاجبان الهولندية !
ـ اعتقد أنني تناولت كمية كبيرة من الاجبان الهولندية لم يتناول
ـ حضرتكم ـ نصفها ..

- لاتنثر رذاذ لعابك في وجهي .

فجأة التهب نقاش الجميع .. وعلى المرء أن يسمع :

- «حافظ على حدود اللياقة والأدب عندما تكون ضيفا عندي .. !

- الحامض حالة طبيعية وهو موجود ...

- اوه ! لا يمكنك اقناعي بهذه العبارات الجاهزة ..

- أوليس موجودا في الجبن السويسري ايضا ؟

- أجل !

**- في جبنة ايمنتالر.**

- كلا ..

- لست أنت في بيتك ! .. هنا أناس محترمون

- أين أنا اذن ؟

- اعتذر واسحب كلامك . اسحب كلامك فورا . في بيتي لا يمكنني أن أدع أحدا يهين ضيوفي ! يجب أن تغادر بيتي حالاً !

- أوه ! سأكون سعيدا حين أخرج من هنا .. أنا لست بحاجة الى علفك !

- .. حسن لن اسمح لك ان تتخطى عتبة داري بعد ..

**- سادتي، لكن. هذا حتماً**

- انكم لم تنطقوا بكلمة واحدة ..

- انتم لستم من العائلة .

**- كلا لكنني لم أفطر حتى الآن.**

**- أنا كتاجر! اسمعيني: مرة في أيام الحرب حصلنا على نوع من الجبن..**

**- لاتعديها مجاملة من اجل الصلح.. بالنسبة الي استوى عندي**

كل شيء : بقي لي عندك اعتبار أو لم يبق . لقد خدعتمونا وعندما أموت ، لا تقف على جنازتي .

- سارق المواريث ؟

- هذا كل ما في جعبتك !

- نعم اعلنها ملء فمي لكي يسمعها الجميع سارق مواريث ؟ نعم هكذا اذهب واشكني !

- فظ ! فظ ! كسلان . لا غرابة مَن شابه أباه ..

- والأم ؟ وما أدراك ما الأم ؟ من أين جئت بزوجتك ؟

- أخرج ! فظ !

- اين قبعتي ؟ في بيوت كهذه يجب أن يحرص المرء على اشيائه وإلا ..

- سيعطي القضاء قراره بحقك ايها الفظ !

- ستقف أمامي في المحكمة ايضاً ..

فجأة اطلت ايما الخادمة من الباب ، انها من مدينة كومبينين هتفت : سيدتي ، العشاء جاهز !

وكان الحصاد .. أربع دعاوى شخصية بسبب السب والقذف .. شخصان غيرا الوصية .. واحد فسخ عقد الشراكة . ثلاثة طالبوا بدفع مبلغ الرهن .. ثلاث دعاوى مطالبة باضرار عن اموال منقولة، فقدان دفتر قسائم اشتراك شهري في المسرح ، تحطم كرسي هزاز ، خراب الاجهزة الكهربائية في الحمام .. ودعوى تخلية الدار ضد العائلة هذا ما نتج ، وما زالت جبنة ايمنتالر المظلومة امام الصبي والصبي رافع كفيه نحو السماء يشتكي الى العالم صارخاً بصوت مدوٍ .

«ماما من أين تأتي الثقوب في الجبن ؟»



## ماريا لويزا كاشنتس (١٩٠١ ـ ١٩٧٤)

بدأت أول عهدها بكتابة القصص والمقالات الادبية . وكما كتبت بعض القصص القصيرة ، ناسجة فيها على نول الادباء الكلاسيكيين ، مثل «الظلال الطويلة» ، فقد كتبت قصصا ذات طابع شعري ، مثل «جسر الملائكة» و «دار الطفولة» و «أين أسير» ، كما كتبت عدة قصص رومانسية ، مثل «القِشة» و «مكالمة خارجية» . وقد ذاعت شهرتها حين أصدرت ديوانها الشعري الذي ملأته باحلامها وتجاربها . عاشت في روما وكونكربرغ ، في ماربورغ وفرانكفورت حيث أصبحت في عام ١٩٦٠ أستاذة زائرة للشعر في جامعتها .

## القصة

# مكالمة خارجية

# القِشة

ظهراً عثرت على الرسالة قبل الساعة الثانية عشرة بقليل . انني لم أفتش عنها في جيوبه لدى قيامي بتنظيف بدلته بالفرشة ، بل وجدتها مصادفة: هذه هي الحقيقة. كان طرف منها ظاهرا من كتاب، لم يكن الكتاب موضوعاً على مكتب فيليكس، إنما كان على منضدة في غرفة الجلوس أُعِدَتْ للصحف والمجلات ، فهي في متناول اليد ، أنا لم اقرأ الرسالة كلها ، بل قرأت الكلمات الأولى منها فقط : «نا احترق شوقاً الى حبك وحنانك ، ياحبيبي ، ياحبيب قلبي» . لم افقه تلك الكلمات في بادىء الأمر . فقط جذبني الخط فرغبت في التعرف اليه، حروف كبيرة مع حاشية، مع مسافات بين الحروف، حسبت أنها لا تنطوي على معنى معين .. وبعد ذلك فهمت ما مكتوب أمامي ، مما دفعني الى الضحك : مع أن الموقف لا يستدعي ذلك . بعد لحظات توصلت الى معرفة وادراك : أنّ الرسالة كانت موجهة الى فيليكس . أكملت بعد ذلك فقط قراءة الصفحة الأولى . كانت تحوي كلمات عديدة تشف عن رقة وعذوبة .. ثم أعدت الرسالة داخل الكتاب وارجعته الى مكانه على المنضدة . انصرفت الى المطبخ ، وفكرت كثيراً هناك ، لابد أن امراً حدث ، وإلّا فمن المحال أن يجد المرء تعبيراً مثل هذا مصادفة..

بدأت بتحضير وجبة الغداء ، لبست الصدرية . وضعت الزيت في المقلاة ، وضعت البصل في الماكنة . دارت دورتها فقطعته **قطعاً** دائرية . ينبغي **للانسان** ألا يقترب من البصل كثيراً عند قطعه بعد الآن . لم يعد بإمكان المرء أن يريق الكثير من الدموع .. البكاء عادة قديمة . لا تدعي نفسك كمن كانت تسقط وحيدة وقد غشي عليها،كان ذلك في عهد جداتنا .. اليوم هناك مَن يظفر بالنجاة قبل السقوط ، فهناك الخادمة أو الطباخة السمينة التي تخفف الصدمة بقولها : لا تدعي قلبك يحمل هماً ، فكلّ الرجال هكذا . صاحبي ما كان يختلف عن الآخرين أو تقول : خذي الأمر ببساطة ياسيدتي !

أنا لم أسقط مغشياً عليّ ، ولم ابكِ . الزيت طقطق بسرور ، وليس هناك داعٍ للبكاء . هذا ما استقر عليه رأيي .

الآن أحضر اللحم من الثلاجة . فتحت بابها ثم اغلقته . حدث صرير غريب لدى فتحي وغلقي باب الثلاجة ، صرير فيه نعومة والتصاق .. صوت استفز اعصابي وكأنه يقول لي أنه الصوت الأخير الذي تسمعينه منها . هذه هي المرة الأخيرة لفتح الثـلاجـة... المـرة الأخـيرة لتناول طعام الغداء معاً، ماذا حدث لك، هل اتصـل أحـد بك هاتفيـاً؟ كل شيء ترينـه آخـر مرة. لماذا يحصـل كل هذا ؟ ماذا جرى لي ؟ لا شيء حدث ، لا بل حدث كلّ شيء ..

أصبت بضربة على اليافوخ . أنا كمن يمسك بخيط مقطوع ، إلا أنني أكره الاعتراف بالحقيقة . كلا أنا لا أريد أن آخذ الأمر بهذا الجد . وضعت اللحم في المقلاة كي أقليه . اللحمة المقلية ، بطنها عارٍ أحمر، الآن صار بنياً ثم ذهبي اللون.

ثم بنياً رائع اللون . كلا ، ينبغي لي ألا أضعف . فكرت ملياً ثم أزحت المقلاة جانباً ، وجلست الى المنضدة لكي أقشر البطاطا ، وأيضاً لكي أعاود التفكير . بعد أن قشرت قطعة واحدة ، أصبحت عصبية منفعلة . فكرت : من الممكن أن اسمح لنفسي بفعل هذا ولكن لفيليكس ، لا . قد استطيع أن أسمح لنفسي بغواية الرجال وجذبهم نحوي ، لأنّ كل هذا من باب الكذب والتمويه ، ولا يتعدىٰ كونه هفوة أو حماقة من أجل لحظة يلمح المرء خلالها بريق عين غريبة لكي يدرك كم هو محبوب .. لكن الأمر مختلف مع الرجال : فهم يطمعون بالاكثر ، إنهم لا يكتفون .

قشرت ست قطع من البطاطا ثم توقفت : لانني لم أعد أشعر بالجوع . حاولت أن اكتفي بتناول واحدة فقط كيلا أثير انتباه فيليكس وادعه يلاحظ عليّ شيئاً . وفي كلّ الاحوال لم أرغب في الحديث عن الرسالة : لانني أدرك بشاعة كلماتها وحقيقة المرء حين يلفظ كلمات كهذه .

بعد ذلك خلعت الصدرية وذهبت الى غرفة النوم لأجمّل نفسي ، وألعب دور الآنسة العذراء السعيدة ومَن ثم سنرىٰ ..

عندما كنت اجتاز الممر ، رنّ جرس الباب . ترددت في فتح الباب : لأني كنت خائفة وقد تلبسني فزع ممن خلف الباب ، وكذلك مما أتوقع من هذا العالم . لكنني جرؤت وفتحت الباب . كانت رزمة من محل المستحضرات . فتحت الرزمة ، ووضعت الحاجات في الحمام .. كل هذا ينبغي لـها أن تتعلمه . نوع الصابون الذي يستعمله ، ونوع معجون الأسنان . هناك في ماكنة الحلاقة

الكهربائية سرّ عند استعمالها: واذا لم تعرفه فلن تشتغل ابدا. عليها ان تتعلم ترتيب السرير. ياالهي! والمدفأة الكهربائية عليها ان تعرف موضعها: عند قدميه: لكنه قد لايحتاجها لاحقا. مدفأة كهربائية لاياعزيزتي، أين ذهب تفكيرك؟ أنا لست عجوزا لا، من المؤكد لا، فهو لم يعد راغباً في تلك الاشياء التي كان يمتلكها سابقا. لاصابون، ولا فرشة الاسنان الخشنة.. كل شيء تغير.. كلّ شيء جديد مرة ثانية، كلّ شيء جديد..

هكذا حدثت نفسي حين كنت أقعد على الحافة المدورة لحوض الاستحمام. وانظر الى وجهي في المرآة. انني لم أعد صغيرة. لقد زحفت بعض التجاعيد، من الضحك، من ادمان التفكير، من الحياة. من الزمن الذي ولى. التجاعيد هي كالطرق على الخارطة. طرق كثيرة، تشتبك مع غيرها لم افكر بالمرآة صاحبة الرسالة: إن كانت أصغر مني. أو من تكون هي. كان الأمر لدي سيان.

بعد ذلك غسلت وجهي ثم ذهبت الى غرفة النوم. وبدأت افكر ينبغي له أن يترك البيت لي ويرحل. ذلك هو الحل الأمثل. ذلك لأنه لا يستطيع ان يدعها تحلّ محلي في فراشي. هذا محال. من اختار العيش خارجا يجب عليه أن يغادر الدار فوراً.

اذا احتفظت بالمنزل فيمكنني ايجاره: غرفة الجلوس مثلاً تصبح غرفة للنوم. بالامكان أن أضع الأريكة عند الزاوية واتخذها سرير نوم. ولديّ ايضا بطانية جميلة. في خزانة الملابس يمكن أن تضاف بعض الادراج للملابس. احتاج الى مكواة والى مصباح ذي مظلة خضراء. كلا انها غير مناسبة. عليّ أن أبدل المظلة. ويجب شراء

أوراق لخزانة الملابس . هناك أوراق لونها وردي رائعة الجمال ، مخططة أو فيها رسوم لسفن شراعية صغيرة وكنت دائماً أحلم بها .

حول هذه الافكار التي طرحتها مع نفسي ضحكت وتمتعت ، أكل ما يخطر ببال المرء حقيقة ..؟ ربما كانت الرسالة قديمة ، أو ربما الموضوع نفسه قديم. وربما هو لم ينته، وربما هو في طريقه للزوال. بعد ذلك خطر ببالي عدة مقترحات مما كانت تنشر في مجلات المرأة . المقترحات كانت من أحدى النساء ادعت اسمها العمة أنا أو العمة أميليا ، ومقترحها هو أن على الزوجة أن تزين المنضدة بشرشف مطرز وردي اللون ، وترتدي ثوباً جميلاً جديداً ، وتنثر الشعر باغراء ثم تهتف له : ألا ترغب في كأس من النبيذ . ياحبيب القلب ، في نفسي اليوم رغبة ملحة بالاحتفال معاً . رنّ جرس الهاتف - وأنا في غمرة افكاري - ولكن مرة واحدة، مثلما يحدث للمرء احياناً حين يكتشف أنه طلب الرقم الخطأ فيغلق السماعة بعصبية وقوة . انصرف ذهني الى أن الاحتمال الوارد هو أن فيليكس هو الطالب . يطلبني وهو في دائرته . ولا أدري لمَ اغرورقت عيناي بالدموع فجأة . ولكن لا أهمية لهذا: فهو لايراني بلاشك. انه يسمع صوتي فقط. ولصوتي نبرة فرحة تدل على السعادة . ماذا تقول ؟ انك لن تحضر للغداء؟ فيما اذا كان ذلك يكدرني؟ كلا. فعلاً، لا. لايكدرني هذا ابداً . بالعكس فأنا سعيدة أنا احتاج الى وقت لكي ثوبي . ومن ثم الذهاب الى الحلاق . لا يشغلني شيء خاص هذا المساء : علماً بأنني لما أبدأ بتحضير الطعام . كيف حالك حبيبي ؟ أنا ؟ في حالة جيدة جداً . الجو اليوم رائع ولا غيوم في السماء الى اللقاء مساءً

أجل ....

هكذا رتبت وضعي لكي أعمل بحرية واسترخاء. ورغبت في أن اناقش معه الأمر عندما يحضر...

المفروض ان يحضر الى البيت قبل هذا الوقت. الوقت تعدى الواحدة والنصف ، كان دائماً يحضر الى البيت قبل الوقت المحدد . وكان يقبل بشهية جيدة على الطعام ظهراً ، خاصة وهو يعلم أن وجبة اليوم هي اللحمة المقلية التي يهواها بشكل خاص . ربما نسي ولم يتذكر . ربما فات الأوان عليه ، لأنه شغل بها في المشرب . شرب ثم نظر الى ساعته فوجدها تجاوزت الواحدة والنصف فقال ، انها تنتظرني الآن فلأعد الى البيت ...

انها هي التي عليها أن تنتظر ، قلت في خاطري ، هي التي عليها أن تنتظر لا أنا ، ليس من حقّ انسان أن يدعني انتظر . ليأخذ المرء حذره مني .. لكن هذا ليس مهماً . المهم هو ذلك الفضولي ، رمز الشر ، هادم اعشاش السعادة «هي» . أنا الوردة الصفراء بأوراقها التويجية ، ولسانها الأحمر الطويل ، ويريد مني الآن أن أخدع ثانية . وجبة العشاء تتكون من سمك التونه مع الحمص ... امرك ، ايتها العمة أميليا ! شكراً ، على نصيحتك الثمينة ! سيمتنع عن الأكل حالاً ، وسيرمي الشوكة والسكين ويهتف : آسف .. فأنا لا أحبكِ . آسف ! ارجوك ، اعطيني حريتي !

بالفعل، فأنا أرغب أن أمنحك حريتك. ارجوك، اذهب، رافقتك السعادة. أنا لااحتاج اليك في حياتي اذ لايحتاج الانسان اليوم الى انسان آخر في الحياة. وأنا لااحتاج الى البيت. ولا اطمع بنقود منك.

استطيع معاودة العمل في مكتبي القديم . منذ مدة ، وأنا أرغب في العمل هناك لكنك كنت تمانع . في مثل هذا المكتب يكون العمل ممتعاً : أسعدت صباحاً ايها السيد شنايدر ، أهناك بريدُ اليوم ؟ اسعدت صباحاً ، آنسة ليلي ، هل خفت آلام السن اليوم ؟ آخ ، ياالهي ، ليس بالأمكان تدفئة المكان هنا ؟ ماذا أردت أن أقول ، أجل احتفال عيد ميلاد المدير ..

كلّ ذلك جال بخاطري اثناء وقوفي أمام النافذة أتطلع من وراء الستارة ، لكيلا يراني فيليكس عند عودته . انه ليوم جميل هذا ، نحن في شباط حيث الرعد والبرق . في كل سنة ينسىٰ المرء كم كان النور ساطعاً في شباط . في هذا الوقت تتدحرج كرات النار من أعالي الجبال ، وترمىٰ دمىٰ القش القبيحة في الآبار . شاهدنا هذا المنظر مرة ، فيليكس وأنا معاً ، لقد تمتعنا بأمور عدة معاً . كلّ ما عشناه كان رائـعـاً. والآن قد يريـد أن ينسى كل شيء. يريـد أن يمحـو أثـر الاشياء الجميلة ، يريد أن يجعل شجرة حبنا ذابلة ميتة ، والأسوأ من ذلك كله يحاول أن يمنع المستقبل من أن يرىٰ النور . يريد أن يمحو الماضي وآثاره ، ويرميه في البئر كدمية القش الصفراء القبيحة ، حالما يأتي الربيع ، وحالما يبعث كل شيء من جديد .

اثناء وقوفي اضطررت الى التراجع خطوتين عن النافذة : لأن بعضاً من معارفي مروا أمامي ، كانا السيد فيرله جارنا وهو مدير مدرسة والسيدة «زايدنشبنر»* وهي من العمارة رقم خمسة حييتهما ثم انطلقا بالحديث : هل سمعت أيتها السيدة المسكينة . وسرعان ما

---

* (يعني الاسم اصطلاحاً من ينسج الحكايات في الآخرين)

اربكتني كلماتهما ، وصعد الدم الى قمة رأسي ذلك لأنني لا اطيق المواساة . المواساة هي كالحساء الحار مع طبقة من الزيت تغطي السطح ، وهي استباحة حق للنفس ، مَن تكون السيدة زايدنشبنر حتى تعطي نفسها الحق بمواساتي؟ أنا لاتغيظني المواساة في حالات الوفاة لأن الرب الرحيم هو المسؤول عنها شخصياً ، ولا اعتراض على حكمه . فقد رحل الفقيد الى دار الحق . وكلمات حبّ تطفو على الشفاه : لقد كنت كل شيء لي في حياتي ، بوجودك كان كل شيء رائعاً جميلاً . هذا يعني على المرء بعد رحيله أن يبدأ من جديد، ذلك بعد ان يسلو تدريجياً. وطبيعي لايمكن ان يؤاخذ المرء بعد ذلك على ما يفعله. آخ، أنه أمر محزن وحمق ما افكر فيه، مالي وما يقوله الجيران ، انهم لا يعنونني بشيء ثم انني لن أذهب شاكية اليهم مثلما فعلت هيرتا ذاك الوقت . حين ندبت حظها شاكية ، أبعد كل سنوات الزواج الطويلة تلك ..! كنت له أفضل شريكة ، فهل يمكنكم أن تتصوروا الأمر ؟
طبيعي لم أكن أنا بالزوجة الجيدة لفيليكس وإلا ماهجرني، واعطى الحق للآخريات لأن يبعثن له برسائل حبّ وغرام ، وربما اجابهن هو الآخر بعبارات الوجد والهيام نفسها. وانه يخشى العودة الى البيت هرباً من الاسئلة . في هذه الاثناء ، وأنا مازلت أتطلع من النافذة لمحت فجأة رجلاً قادماً من الشارع الفرعي ، له صفاته طولاً وحجماً، خطواته نفسها. ومعطفه نفسه الشتوي الازرق غامق اللون . واذا بقلبي يخفق دفعة واحدة كطائرة تسقط بصورة مفاجئة ؛ أنا مَن حاولت أن تستقبله بوجه ثقيل . وحالاً تأكدت من

أنني لا استطيع ذلك .

اقترب الرجل ولكنه كان غريباً ، لم يكن فيليكس . فكرت فوراً ، ما هذه المهزلة ؟ يمكنني أن اغادر المنزل قبل أن يعود . باستطاعتي أن اذهب الى مركز المدينة وأجلس في مقهىٰ ... يغمرني الحزن والالم .. هناك توجد مرايا كثيرة . هناك اتضاعف مائة مرة ... مائة مرة ذات المـرأة المهجـورة. استـطيـع هنـاك مطالعة المجلات وان أدخن وأنا اتطلع الى السماء ، بامكان المرء أن يقضي ساعتين هناك . ثم بامكاني أن ارتاد داراً للسينما فاشاهد فيلماً ثم اشاهد فيلماً آخر حتىٰ ينتصف الليل . انه منتصف الليل ، وعلىٰ فيليكس أن يتصل بالشرطة ، انه أمر مخجل بالنسبة له . أزوجتك ـ سيقولون له ـ خرجت ولم تعد ؟ ماذ تقول ؟ هل أصابها مكروه ؟ أجل . أنا لا أعرف شيئاً .

الآن الساعـة الثـانيـة ظهـراً وأنا لااطيق الوقوف مدة اطول. قعدت على أحد الكراسي ثم فتحت المذياع . وكالمعتاد ، اذا رغب المرء في سماع ما يريحه أو يزيد من ثقافته يفاجأ بنشرة عن مناسيب المياه في الانهار .. كل انهار البلاد ينبغي أن تراقب .. توجد مياه في معظم قنوات السقي إلّا أن القنـوات بعيـدة بعض الشيء. في هذه الاثنـاء رنّ جرس الهاتف عدة مرات، لامـرة واحـدة. لقـد خمنت، هذه المـرّة سيكـون الطالب فيليكس حتـمـاً، لقـد كان هو حقـاً. تذكـرت بسرعـة ما أردت قوله له، والذي تدربيت عليـه، نبـرة هادئة تعقبها نبرة عذبة. وفي ذات اللحظة داهمتني صورة المقهىٰ ، ونشرة مناسيب المياه في الانهار والشرطة فتغيرت كـلّ مخططاتي ، حيث كلمته هكذا .

آخ . هكذا اذن . هذا أنت (خطأ ، خطأ !)

ماذا تقول ، لن تحضر للغداء ؟ (لم اسمع صوته)

أكيد . انا أعي جيداً ، الجو جميل ورائع .

لافائدة ترجوها من ذلك، كلا، بالفعل، كلا.

أنا مضحكة ! لماذا مضحكة .

كلا ، لم يحدث هذا ؟ وفي الأقل لا . ماالذي يهمك ؟

لماذا لا ؟ أنا اعتقد بأنك أدرىٰ مني بالسبب ، والخ .

وباستمرار رشقته بعنف وبنبرات غضب. ماكنت أريد أن يحدث هذا . لكنها هي مَن دفعتني لكي اتحدث بهذا الشكل ... دمية القش ، لقد اضطهدتني ، عبثت بكياني ، أجهزت عليّ . والى النهاية واصلت الكلام ، لكي يغلق سماعة الهاتف بوجهي ، لكي تبدأ نهاية حياتنا ، لكي تكون نهاية كلّ شيء بالنسبة لي . وبما أنه لم يضع السماعة ، فقد ألجمني الصمت والسكون .. صمت كلي . حركت صيوان أذني . «أما زلت علىٰ الخط ؟» سألني بكلّ ودٍ ورقة . وبعدها اغلق السماعة ، فاغلقتها أيضاً . ثم توقفت وقد كرهت نفسي ، وكرهته معها ؛ ذلك لأنه هو السبب في كلّ ما حدث ، وهو مَن قسرني علىٰ أن اسلك معه هذا السلوك . مع تلك الشخصية الثالثة الفضولية الشريرة . مع دمية القش التي ترمىٰ في الآبار ، عش سعيداً !

بعد أن هدأت قليلاً فكرت أن باستطاعتي أن أعيد الآن تلاوة الرسالة حتىٰ آخر سطر وكلمة . الآن أنا في المغطس الذي خطط لاغراقي به . واحتمال اني كنت مخدوعة طيلة حياتي معه ، لا بل وفي كلّ وقت .

توجهت الى غرفة الجلوس . اخرجت الرسالة من الكتاب ثم اشعلت

سيجارة .. كان المفروض بي أن أدخنها منذ زمن بعيد . لماذا اشغل فكري الآن بما قيل في الطابق فوقي أو الطابق تحتي . فوق قالوا : لا توجد زيجة سعيدة ناجحة . وقالوا تحت : عدّ لي ثانية .

بدأت قراءة الرسالة . تلوت الصفحة الأولى منها بسرعة ، لأنني اعرف مضمونها من قبل . على الصفحة الثانية كُتب القليل . أما على الصفحتين الثالثة والرابعة فلم يُكْتَبْ شيء ..

على الصفحة الثانية كتب ، بقيت خمسة أيام فقط أو الأحرى أربعة أيام ونصف . لا تنس الذهاب الى مكوى الملابس .. اكيد أن الملابس جاهزة الآن .. عش سعيداً ، حبيبي فرانتس ، أحبك الى الأبد . انتبه لصحتك ، ماريا .

عش سعيداً ، انتبه لصحتك . أعدت قراءة الرسالة عشر مرات ..

لقد وضعت نفسي في وضع غبي واحمق . لقد صرت اضحوكة، حيث أن الرسالة لم تكن موجهة قطعاً الى فيليكس ، بل هي موجهة الى سيد أسمه فرانتس كوبف . واسمه مسجل ايضاً على الكتاب . والكتاب خاص بعلم اقتصاد المؤسسات . وعلى فرض أن فيليكس قد استعار الكتاب من رجل غير مستقيم فما علاقة فيليكس بهذا السلوك ؟

هذا ما رددته مع نفسي ، ولكن ما حجم الفزع الذي كنت اعيشه ..

اخيراً قرّت عيني واطمأن قلبي فقفزت . رقصت وضحكت وغنيت . ليس هناك مكان في الدنيا يسع فرحي ..

جلست على مقعد ، ورحت أجتر الاحداث . كأنني كنت قد سقطت في بئر عميقة ثم مدّت لي سلم الخلاص فرقيتها وانقذت نفسي ، لكن المضحك هو أنني لن أصل الى الاعلى ولن يعود ساطعاً مثلما كان طوال

ساعات العصر وأنا أحاول أن أجد مخرجاً من الحماقة التي ارتكبتها ، عند المساء توصلت في نهاية الأمر الى وسيلة ناجعة .

عندما حضر فيليكس رحبت به مبتسمة ثم هتفت : سامحني ، لقد كنت فضة معك على الهاتف اليوم! كنت أعاني صداعاً فضيعاً وحمداً لله فقد ذهب الألم ، وعدت طبيعية ، وداعاً للالم وبلا رجعة ، قال لي فيليكس: تبدين متوردة، بعد ذلك سألني، ماذا عندك هنا، ومدّ يده الى شعري ، واخرج منه شيئاً . كانت قِشة طويلة بيضاء ثم أردف قائلاً :

- ارجوك ! من أين أتت هذه القشة الى هنا ؟

# مكالمة خارجية

«أنا انجيلي يا باول» : قالت الفتاة (الشابة) انجليكا باومان عبر الهاتف لصديقها باول - «لا أريد إزعاجك ، فربما كنت مشغولاً» - كلا ؟.. اذن فأنا في غاية السعادة . أردت أن استفهم منك فقط إن كنت سمعت اخباراً جديدة . اعني من والدك .. أجل ، من الطبيعي أن انتظر بفارغ الصبر، ولا أفكر في أمر آخر سوى زيارتنا إياه، على الرغم من بعض المخاوف التي تنتابني من هذه الزيارة.. قلت أنه سوف يسعد بلقائنا ؟ وأنا اتمنىٰ ذلك . طموحي أن أحبه وأحب كل عائلتك خاصة اختك إيلي . أنا وحيدة عشت دون أخت ، ولطالما تمنيت أن احظى بأخت.. في نهاية الاسبوع؟ أجل، فهذا الوقت يناسبني فعلاً. ولسوف أحيا هذه الايام حالمة بزيارة والدك وبعدها سنعود لنعلن خطوبتنا .. كلا ! لا تضحك ، باول ، فأنا لا أدعك تسخر مني . نعم أنت لا تعرف ما ..

اليوم وأنا اتنزه في الحديقة الانجليزية . يوم جميل ؟ نعم بلا شك! كان يوماً جميلاً إلّا انني لم أعر انتباهاً لأي شيء في الحديقة، لا لشجيرات الليلك، ولا للزهور الصفر. لقد رأيتك حاضراً على كل المصاطب . رأيتك في كلّ رجل قابلني ، وأنا أتنزه هناك . أخذت أراجع حساب عمري كله قبل أن ألقاك . حقاً لقد

كانت حياتي في ضياع . أحسّ بهذا حين أودعك فتذهب ثم تطول غيبتك عني . هذا غباء ؟ أجل .. أجل . هكذا ، أنا جدّ غبية . لا أقول اكثر من هذا . أريد أن اعرف اذا وافتك اخبار جديدة . ولكن عليَّ أن انتظر نهاية الاسبوع . فهو عيدي ، عيد ميلادي وبهذه المناسبة ينبغي عليهم أن يقدموا لي أعز هدية هي أنت . يوم عيدي .. عزيزتنا الآنسة انجيلي .. نقدم لك ولدنا باول ، اجعليه سعيداً .. أنت هكذا ؟ أنت سعيد حقاً ؟! كلا .. كلا . لا تقل اكثر من هذا،لم أكن أتوقع سماع أعذب من هذا . ما قلته رائع وأنا قانعة به ..

أسمعي ـ قال الرجل العجوز لابنته ايلي عبر الهاتف ـ عليك أن تكلمي اخاك باول ، وتمحظيه النصح لكي يعي ، لا علاقة للأمر بالغرور الطبقي ، أنا لن أقف في طريقه لو كانت فتاة غير هذه . حتىٰ لو كانت ممثلة سينمائية أو حتىٰ راقصة ، ففي هذه الحالة تكون من وجوه المجتمع . لها شهرة وتنتمي الىٰ طبقة راقية . ولكن مَن تكون هذه البنت ؟ لا شيء سوىٰ بنت بسيطة نكرة . صحيح ان لها وجهاً جميلاً مادامت شابة إلا أن هذا الجمال سيولي عندما تكبر .. كلا ، لم أرها بل شاهدت صورتها فقط . إنها جذابة ولها عينان بلوريتان .. آه . ولكن ما اسرع زوال هذه الملامح ! صحيح انّ لها ردفين مكتنزين شحماً وان أصابعها قصيرة غليظة ولكن لا يمكن لباول أن يقدم علىٰ فعلة كهذه . أنا أدري كيف حدث هذا . هذا الموضوع سيء كله ومن وجوهه كافة . انها لا تناسبه ولن تفيده حتىٰ سنوات قلائل ، اعني اجتماعياً . ثم انّه رجل ، حاصل علىٰ شهادة

الدكتوراه وفي السنوات القادمة سوف يتقدم كثيراً ويشتهر فلا يليق به أن يرتبط بأمرأة لا تعرف التحدث بلغة اجنبية ، وعند الحديث عن بيكاسو تنصرف الىٰ وصف طبق من شوربة الخضار فتجعل من باول اضحوكة.. إمرأة كهذه ينبغي ألا تدعى الى وليمة وإلا ستصبح شخصية غير مرغوب بها في مثل هذه المجالس . مع هذه سيختلق باول الاعذار : فمرة أن زوجتي مريضة واخرىٰ بأن زوجتي منشغلة بالاطفال . وسيجيء يوم ترينه جالساً مع فتاة جميلة رشيقة لبقة تليق بطبقته.عند ذاك سيعضّ اصبعه ندماً ويتمنىٰ لو كان طليقاً . في كل الأحوال عليك أن تكلمي أخاك باول ، فأنا لا أحبّ أن أحشر نفسي في هذا المكان ولكني أصرّ علىٰ القول : الزواج مستحيل وبأمكانك الاتصال هاتفياً بعمتك يوليه ، أعتقد أنها عادت من مدينة كاستاين . يجب علينا جميعاً التمسك بهذا الموقف كعائلة واحدة ، فهنا تكمن القوة .. وصحيح أنهم موزعون علىٰ مدن متباعدة ولكن لِمَ وُجِد الهاتف ؟ اخبريني بسرعة ، ما حال الأطفال . دعيهم يناموا كثيراً ، ولا يستيقظوا مبكرين خوفاً من مضاعفات مرض الحصبة . كلميني فيما بعد ، ولكن ليس غداً مساءً ؛ ذلك لأني سأقيم وليمة رجالية . بعد غد .. عليك أن تكرري المحاولة ، اذ لابّد أن تجديني مرة .

- «عمتي يو! أنت تعلمين، بلاشك، سبب مكالمتي هذه»، قالت ايلي لعمتها يوليه عبر الهاتف «هذه رغبة الوالد. ينبغي لك أن تنظمّي اليه بالرأي والعمل ؛ ذلك لأنك و «بابا» من جيل واحد ولغير ذلك .. ولأن ما يفعله باول ويخطط له حقيقة قد وصل حدّ الغباء .

أنا قلت لكم مراراً لابّد له من أن يتزوج يوماً . كلا لن يتزوج ! تسأليني اذا كنت أعرفها ؟ أجل لقد رأيتها مرة . تريدين رأيي في هذا الصنف من البنات . انهن يتمتعن بقوة فولاذية يمكنها أن تستحوذ علىٰ الجميع وليس علىٰ شاب جميل فحسب .. ماذا أنت فاعلة ؟! اتصلي به بلا انقطاع ! كلميه ، أو أدخلي بينهما بنتاً اخرىٰ من معارفك الكثيرات . ادفعي إحداهن ليقضي معها وقتاً جميلاً في ميونيخ . تذهب معه الى المسرح مساءً لكي يكتشف فقط أن هناك فتيات لهن اهتمامات وتطلعات ولكي يحس المستوىٰ المختلف ... ماذا تقولين ؟ ماذا لو أحبها ؟ أرجوك ياعمتي يو ! لا تفكري بصبيانية . مَن قال إن العلاقة يجب أن تكون محددة وينبغي لها أن تقتصر علىٰ ارتياد المسارح . ثم ما يمنعه من زيارتها . أنا لا أعارض حتىٰ لو نام معها . حقاً أن لديك مصطلحات نابعة من افكار موروثة من القرن الماضي . أنا آسفة واعتذر . ان تعذر عليك ايجاد ما تقنعينه به ، فينبغي أن تخبريه بأن والده منزعج جداً وضغطه مرتفع لدرجة خطيرة تكاد تبلغ درجة ٢٠٠ . علماً أنّ هناك حقيقة أن علىٰ الابناء أن يرثوا الآباء . عندما يسمع ذلك من فمك فستسير الامور وفق المخطط المرسوم . وبالمناسبة فأن وضع «بابا» النفسي متوتر هذه الايام . لديه مشاريع عديدة وطموحات خاصة . . لعل أمور العمل تجري علىٰ عكس ما يشتهي ، واعتقد أنه لم يحقق النسبة المرجوة من الأرباح . ربما يحتاج في ظرفه الى نشر اعلان زواج بورق مذهب واقامة حفل في قصر بريتر ، والعشاء الفاخر بلا شك يكّلف ثمناً غالياً جداً.. متاعب وهموم؟ أنا حائرة. نعم،

وربما لا . الاحتمالان واردان وأنا أميل الى الأخير .. في كلّ الاحوال عليك أن تستعملي الأساليب العاطفية والحوارات الجادة الضاغطة لكي تبقىٰ العائلة قوة واحدة . زوجي يرغب في التحــدث الى باول ايضاً . حديث الرجـل الى الرجـل له طابع وتأثير مختلفان . انت تعلمين أن وقت زوجي ثمين إلا أن اهتبال فرصة للحديث معه أمر مهم . ثم ان هذه هي رغبته .

ـ «كلا ، لن تكون كبيرة» ـ قالت العمة يوليه لابن أخيها باول عبر الهاتف ـ «المدعوون ستة اشخاص فقط» مأدبة عشاء لذيذة . شوربة سرطان بحري .. لحم زند ضأن مع الفاصوليا . وبعدها وجبة من الحلويات والمعجنات . بأمكانك أن تعود في ساعة متأخرة من الليل ؛ فحركة الطيران مستمرة . أرجو أن تلبي الدعوة فأنا أتوق الى رجل مهذب يتصرف بلباقة مع فتاة شقراء .. شعرها ذهبي وبشرتها ذات لون برونزي ، فهي مما يناسب ذوقك .

وبالمناسبة انّها امريكية جنوبية . أقصد ولدت ونشأت هناك . انها من أبوين ألمانيين، ولهذا السبب عادت الى وطنها الأصلي للاطلاع على معالمه والتعرف الىٰ شبابه . هنا يأتي دورك في مرافقتها الى المتاحف والمسارح وغيرها .. أجل ، علمت من رسالتك أنك مرتبط بموعد نهاية هذا الاسبوع . ولكن اعلم جيداً بأنني لا أغفر لك اضاعة فرصة لي كهذه . عليك أن تلغي موعدك وتأتي .. ماذا تقــول؟ مع خطيـبتــك؟ هذه الكلمــة اسمعهــا أول مرة منــك. ماهــذا الذي أسمعه ؟ وتقولها بثقة عالية . لا أخفي عنك امراً . لقد سمعت بهذا من قبل وأرجو ألا يكون هذا حقيقة . مازلت صغيراً جداً

والزواج مسؤولية كبرىٰ وأؤكد بأن ما تفعله لن يرضي والدك .
عشمي ألا تكون مرتبطاً معها بوعود . عقد زواج رسمي مثلاً .
خطوبة وخاتم ومراسيم زواج الى آخر هذه الأمور . في محيطنا لا
يوجد اهتمام بهذه الشكليات ولكن .. والآن يجب أن تستمع اليّ
ياصغيري باول ، لا تصرخ ! يبدو علىٰ اعصابك التعب . أنت لا
تقدر تبعات هذه الخطوة: ذلك لأنك ساذج فعلاً، قليل خبرة في
هذا المجال. ليس بمقدورك مواجهة أية مشكلة. عليك اعادة النظر
ثانية . وقبل كلّ شيء التعرف علىٰ العائلة بشكل دقيق خاصة الأم .
فكما تبدو الأم اليوم سوف تكون البنت بعد خمس وعشرين سنة .
أنا خبيرة بهذا . لقد درست الأمر بدقة ثم أنا أنسانة تحسب لكلّ
أمر حسابه . لا تغضب ، ولا تؤاخذني علىٰ ما أقول فأنا لا أقف
موقفاً سلبياً من الناس العاديين البسطاء .. معك حق ، لدىٰ النساء
القابلية علىٰ التكيف ، ولكن ذلك بحدود الثقافة والمعرفة .. كلا أنني
الآن اكتفي بهذا القدر ، وأملي أن تكون ابناً مطيعاً تلبي الدعوة.
أرجو أن تحضر مبكراً لكي نكمل الحديث . وبالمناسبة لقد سمعت
بأن صحة والدك ليست علىٰ ما يرام ، بأمكانك أن تصطحب معك
خطيبتك على أن تخطرني قبل قدومكم لكي أدعو لها رفيقاً وما عليها
إلا أن ترتدي بدلة مسائية قصيرة. أتتكلم الفرنسية ذلك لأني
دعوت القنصل البلجيكي .. انه رجل ظريف وهاو كبير في حقل جمع
الصور وسوف تندهش لمجموعته من الصور المقدسة .

ـ «استمع اليّ ، عزيزي باول» ـ قالتها إيلي لاخيها عبر الهاتف ـ
«قصتك مع فتاتك يعرفها العديد من أفراد الأسرة. عزمك

على المجيء يوم الأحد القادم لتقديمها للوالد وللعائلة أمر أرىٰ ضرورة التريث به ، لأن الوالد كان قد خطط لك رحلة بعد الاتفاق مع رئيسك في العمل،واضافة الى كون الرحلة سياحية فانك ستكلف بانجاز بعض الاعمال التجارية .. لا اعتقد بأنك ستفسد علىٰ الوالد احلامه ، وتخّيب آماله . وعندما تعود سيكون أمامك متسع من الوقت. الى أين الرحلة؟ لاأعـرف تمـامـاً، أظنهـا الى كنـدا. على أيـة حال فالطيران اليوم طوىٰ المسافات كقفزة قطة . بأمكانك أن تأتي الينا قبل السفر لأن الاطفال شفوا الآن من مرض الحصبة وسنسعد بمجيئك جميعاً . ستجد معنا راحتك وتطرح عن نفسك التعب . سوف اصطحبك بسيارتي الحمراء في نزهة علىٰ نهر الألبة والى بلانكنيزيه . اخبرتني عمتي يوليه بأنك متعب مرهق مهموم ، تحتاج الى تغيير الجو الذي تعيش فيه . ربما بسبب هذه البنت التي اسمها انجليكا علىٰ ما اتذكر .. اسم جميل ؟ واسمها الآخر باومان وتسكن في ميـونيـخ. اين؟.. كلا، كلا، أنـا لاأفكـرَ في زيـارتهـا لأنني لا استطيع مغادرة مدينتي . أردت فقط أن أمحضك النصيحة ، ماذا تقول ؟ كيف يترك المرء صاحبه معلقاً بالهواء ؟ لا تكن متحاملاً . أتتذكر ذلك اليوم الذي دفعتني بنصيحتك الى هجر صديقي المغني رغم حبي الكبير له . بالمناسبة لمحته قبل فترة قصيرة . لا يمكنك أن تتصور كيف يبدو الآن . وما كان عليَّ إلا أن أضحك . الحق انني مدينة لك واشكرك طوال عمري .. لا مجال هنا للمقارنة . تقول هذا ، أجل ، أجل ! علىٰ كلّ حال ربما لا يستطيع المرء أن يقارن ، انني اكتفي بما قلت الآن ، تجاوباً معك ومع نبرات

صوتك . متألم بعض الشيء ؟ هل تذكر تلك النبرة «بأمكانكم أن تحبوني وتعطفوا عليّ جميعاً ، ولكني أفعل ما يحلو لي» ؟ أتذكر حين كنت في الرابعة عشرة وانت تبدي رغبتك في أن تصبح ملاحاً أو عاملاً في أحواض السفن ؟ تذكّر ذلك الوقت كان الأمر غريباً وصعباً على العائلة إلا انه كان مقبولاً بعض الشيء .. ثم انك لا تستطيع العيش في الحفر الواطئة . الآن بامكانك اصلاح الخطأ . في الماضي وجب عليّ أن أخفي أحذيتك . أما اليوم فبأمكانك أن تجدها بسهولة . اما ما أقصده من وراء قولي بالعيش في الحفر الواطئة فسأوضحه لك حالاً. ينبغي لك التفكير في النتائج حيث لامساعدات مالية وحرمان من الميراث حتماً . ذلك يعتمد على مدى الغضب الذي سيجتاح والدك.. كلا، من المؤكد لم تجدها في الشارع، لم يقل هذا أحد.. أرجوك ، بائعة في متجر صغير للأزرار والأحزمة والأبر ؛ هذا يعني انكم ستدمنون السفر الى هناك كل يوم أحد ، وستأكلون لحم الخنزير المقلى مع اللهانة ، وتتبلغون بكيك التفاح المصنوع من الطحين الأسمر . وفي حفلة الزواج سيتقدم الوالد لتعريف أم العروس بائعة الخردة الى المدعوين ، وسوف يدور الحديث حول الاحزمة والأزرار والخ ... هل باستطاعتك أن تتخيل موقفك وموقف العائلة . أنا ، وبصراحة أقول كلا .

ـ «كلا ، حقيقة ياأنجيلي ، لا جديد عندي» ـ قال باول لصديقته عبر الهاتف ـ «يؤسفني أن أخبرك بأننا لا نستطيع السفر بعد غدٍ الى ديزلدورف . استجدت أمور كثيرة في الأيام الفائتة .. كلا ، ليس بالنسبة لي ، بل لوالدي . انّه لا يستطيع استقبالنا معاً هذا

الاسبوع ، سوف أسافر وحدي وأرىٰ . ينبغي لي أن أقوم برحلة تجارية . كلا ليست طويلة ياالهي ! تبكين ، ولهذا السبب ! ما هي إلا رحلة قصيرة . الأيام القادمة لن تكون أفضل من هذا الجانب ؛ عليك أن تتعودي اسلوبي في الحياة ، فطبيعة عملي لا تسمح لي بأن ألازم البيت دائماً .. في الايام الاولى لا غير ؟ كيف تفهمين هذا ؟ كأن لا أحد من العائلة يعرف هذا الموعد من قبل .. أجل . أما الآن فيعرف الجميع هذا الظرف ويجب علينا قبوله . كلّ العوائل عادة لديها خطط عديدة قد تتبدل ما بين ليلة وضحاها وكذلك عائلتكم . في البداية كنا نتنزه مساء كلّ يوم ؟ ياالهي ! لا تثيري أعصابي ، أكيد سوف تسأليني فيما اذا مازلت أحبك ؟ أكيد مازال حبّك حياً . انني لم أسعد يوماً إلا معك . وأحسست هذا عندما كنت مدعواً للعشاء عند العمة يوليه ، حيث أحدثت تنهداتي ثقوباً في الهواء وكانت هي إجاباتي عن اسئلة العمة يوليه . عمتي يو كانت بين الحين والحين ودون مناسبة تعرض عليّ وبإلحاح أن أجامل المرأة الجالسة معنا حتىٰ ضاق صدري وكدت أختنق،ما كان علىٰ العمة إلا أن تفهم ألا جدْوىٰ من المحاولة .. كلا لم ارتبط بهذه السيدة حتىٰ بموعد . ياالهي اصدقيني القول ولا تسأليني عن «عالمي» . العالم الذي اعيشه ضمن العائلة تقليدي وهو شبيه بكّل العوالم . لكنني أريد أن ابني معك عالمنا الخاص سواء أكان هنا أم في أي مكان .. كلا .. كلا . أنا لا أدري أين .. الآن يجب أن أنهي مكالمتي . قولي شيئاً جميلاً .. كلا إلا هذا . لا تقولي انك خائفة .. ثم من أي شيء ! هل يوجد سبب ؟ دعي هذه الاسطوانة المملولة .

اسطوانتنا هي «بوركي وبيس» . ليس بالضرورة أن يكون الأمر كذلك .. كلا ، لا استطيع المجيء اليك ، لأني سوف أسافر اليوم مساءً ذلك لأن الخطوط السريعة تكون خالية ليلاً .. هذه لهجة غريبة ؟ ما هذا الخيال الخصب ! علىٰ اية حال . أجل ، هناك مشاكل ، ولكن ليس من الضروري أن تكوني مرتابة بهذا الشكل .. طبعاً ، هكذا أنت ، لا تثقين بي واحتمال بأن هذا يعود الى ما تسمعينه من والديك .. لا توجد علاقة ! اذاً مع مَن ينبغي أن تكون لي علاقة ، مع والديك أم معك . ولكن أرجوكِ ، اعمل ما يحلو لك ! ماذا تقولين انجيلي ؟ قولي شيئاً أرجوك .. لا تغضبي . اسمعيني الآن اؤكد لك أن الأمور ستسير نحو الأفضل ..

- «آنسة باومان» ، قالت ايلي اخت باول عبر الهاتف لانجيلي صديقته ، «ستدهشين حتماً بسبب مخابرتي لك ، رغم أنني لا اعرفك جيداً أو تكاد تكون معرفتي بك كالسراب .. أنا أخت باول ، وكثيراً ما حدثني عنك .. كلا . أنا لست في ميونيخ ، أنا في مدينتي هامبورغ .. كلا .. كلا . لا تقلقي ! لم يحدث شيء لباول . اسمعيني لحظة وبهدوء، يا آنسة باومان! أنا لاأعرف تماماً ماذا حدثك باول عن عائلته ؟ وربما لم يحدثك عنا علىٰ الاطلاق . ربما هو الآن في حالة يعتقد معها أن بأمكانه العيش مستقلاً عن عائلته ومساعدتها له . ولكي تكوني علىٰ علم ، وربما يهمك أن تعرفي مرة أن من المحال أن تشقوا طريقكم دون عون العائلة . ليس من المعقول أيضاً أن يتم هذا. ماذا تقولين؟ بالفعل لايمكن. على أية حال أنت تدركين أهمية الأمر كما اتصورك ، وأنت لست الفتاة التي لا تنشد

من الزواج غير أن تصبح سيدة فحسب تضع الطرحة على رأسها لا اكثر .

انظري ! هذا ما توقعته تماماً . لو حاولت اليوم أن أحدثك عن قصة حبّ خالدة ستهزأين بي بلاشك . أجل أعرف جيداً كيف هو شباب اليوم . شباب بارد العواطف ، خجول .. يقطعان مشواراً في طريق الحب معاً . ثم ينفصلان كلاً في طريقه .. هذا هو الأمر الحسن في هذه العلاقة حيث لا مكان للعواطف .. بعدها يعيش كلٌ حياته الخاصة . كيف أتحدث هكذا ؟ هذا غير ممكن ؟ أجل ربما هو غير ممكن من وجهة نظرك ولكن لأخي وضعاً مختلفاً ، وانت قد عشت هذا الأمر حتماً.. كلا نحن غير مذنبين وكذلك أبي. لدى أبي الرغبة أن يراك مرة ويتحدث اليك .. ربما تفكرين يوماً في إحداث بعض التغيير في مجرى حياتك، مثلاً أن تسكني مدينة اخرى بعيداً عن اهلك وهذا أمر معقول ومنطقي .. ولسوف تمتلكين معرضاً من المعارض التي يمتلكها أبي .. كلا ، لا تصرخي هكذا ! لا أعرف سبباً لهذا التوتر العصبي ، لم أجد سبباً لهذا . على أية حال سأزودك بعنوان أبي .. أعندك قلم ؟.. سأنتظر ... اكتبي : ديزلدورف، بودرش، كستانين، اليي ٤٢.. انه مستعد ايضا لأن يأتي اليك ولكن قد يكون من الافضل أن تسافري اليه. لهذه السفرة أهمية كبرى حيث ستشاهدين المدينة التي ولد وترعرع باول فيها .. والسفرة ستكون في الدرجة الأولى وستدفع لك كلفتها مؤخراً، ستسافرين ، ماذا تقولين ؟ أجل ، يسعدني هذا حقاً .. ولكن لمَ هذه النبرة الحادة . كلا .. لا تغلقي السماعة .. آنسة

باومان ، اسمعيني رجاءً !

قال والد باول لمحاميه الدكتور كامنسكي عبر الهاتف : «شيء رائـع ما ازجيتـه لي من مشـورات قانـونيـة في قضيـة التعـويض في حالة فسخ عقد زواج وغيرها من أمور .. أجل ، هذا ما أردته تمـامـاً ولكن أرىٰ إرجاء كلّ اجراء الآن اذ ربما من غير الممكن تحقيق أيّ هدف مما ننشد .. أقدم التهاني ؟ لمَ هذه التهاني ، أمر سابق لأوانه . آه ! أنت تقصد باول . أردت تقديم التهاني لباول . كلا .. كلا . باول لن يتزوج هذه البنت في أية حال من الأحوال . لقد صرف النظر عن الموضوع بسهولة غير متوقعة .. انّه غر صغير أمام حبّ كبير كالذي نسمع عنه ، ياعزيزي كامنسكي .. إنّه لا يدرك ما يريد . أريد أن اعرف ما تبغيه الفتاة من أمثال هؤلاء الأولاد الضعفاء العاجزين عن اتخاذ القرارات .. أنا مَن يخبرك عن النساء . انهن يفتشن عن الأمور الاساسية في حياتهن ويفضلنها علىٰ الكلام العاطفي . ألا وهي الأمن من عوادي الزمن .. ماذا نقـول؛ فيـمـا اذا كنـت اعـرفـهـا؟ فعـلاً زارتـني مرة. إنهـا فتـاة «تحفة» بحق . في البدء كانت فظة عنود .. الرجال وحدهم ياعزيزي كامنسكي هم مَن يحسنون سياسة النساء .. لقد مكثت عندي حتىٰ يوم الأحد . واستمتعنا معاً بنزهة علىٰ نهر الراين . كذلك اطلعتها علىٰ مجموعتي النادرة ... غباء ؟ كلا . اطلاقاً مهما صعب الأمر فأنها تتعلم سريعاً .. في النهاية أحبت هذه الاشياء .. ملابسها رخـيـصـة بلا شك؛ ولو لم يكـن ذاك يوم أحـد لابـتـعت لهـا افخـر الملابس .. تتقبل الهدايا ؟ أشك في ذلك ، أكيد لا . ذلك لأنها

اعتـذرت عن قبـول نفقـة تذكـرة السفـر بالدرجـة الأولى في القطار حين دفعتهـا اليهـا.. اذن سوف تسمـع عني اخبـاراً جديـدة. أرى أن هذه الأمـور ليـست هينـة. يجب أن ننتـظر حتى عودة باول من كنــدا. قد أسافر الى ميونيخ خلال هذه الفترة مرة أخرىٰ . لدي هناك بعض الاعمال . ماذا أنا فاعل ؟ كلا . اذن فاسمعني ! لهذا السبب بالذات يجب أن اضحـك.. لقـد أعجبتهـا وقـد لاحـظتُ تأثـيري فيهـا بوضوح .. والآن أرجو أن تسمح لي لأن لي موعداً مع المدرب بعد فتـرة الغـداء.. أجل تنس.. من المؤكد سيكون نافعاً اذ لايجب على المرء أن ينتظر حتىٰ يتصلب عوده . ها . انه قادم .. عش سعيداً ، عزيزي كامنسكي ، عش سعيداً !

ـ «يو !» ـ قالت شقيقة باول لعمتها يوليه عبر الهاتف ـ «آمل ألا تكوني نائمة .. فعلاً نائمة ؟ انك تضعين جهاز الهاتف جنب السرير .. حقيقة اني آسفة لاتصالي في وقت متأخر كهذا ولكني مكرهة ؛ فعليَّ أن استجلي رأيك بسفر الوالد المتكرر الى ميونيخ خلال الايـام العشرة الاخـيرة.. كيـف؟ نعـم، لزيـارة هذه البـنت بلاشـك.. ياالهي انها حقاً لماكرة ، وأنا التي دفعتها للذهاب الى ديزلدورف .. أنا المذنبة في هذا فعليَّ اللعنة .. ولكن مَن كان يتوقع هذا من شيخ في عامه الحادي والستين يعاني من مرض القلب .. هذا الوالد الذي كان يردد دائماً كلاماً عن وفائه وحبّه الوالدة الحبيبة وبأنه لن ينساها وسـيـظل يسـهـر على ذكـراهـا.. من المـؤكـد أنـه يرغـب بالزواج بها .. ليس بإمكاني اقامة الدليل ولكن حدس المرأة لا يخيب .. في الآونة الأخيرة فتر اهتمامه بنا . أتذكرين موضوع آرمن ؟ لقد أبدىٰ

الرغبة والاستعداد للتحدث بخصوصه الى السيد الوزير ، نظراً لما للموضوع من أهمية كبرىٰ عند العائلة . لذلك اتصلت به آرمن ورجتــه أن يولي ذلك اهـتمــامــاً .. لقـد فكــر الوالد بفتــور ثم هتف: «نعم .. نعم . تذكرت ذلك جيداً ولكن لا وقت عندي الآن لموضوع آرمن» .. انت علىٰ علمٍ أيضاً .. كان عيد ميلاد زيلش هذا الأسبوع .. أجل ! لقد تسلمت هديتك مع الف شكر . كنت أتوقع أنك ستتذكرين هذه المناسبة . وما عتبي إلا علىٰ الوالد الذي نسي زيلش كلياً . هذا الأمر شكل صدمة لي لأنه لم يعملها من قبل ، لقد اعتــاد أن يرســل هديــة كلّ عيــد ميــلاد هي طقم ملاعق وشــوكــات فضية . ثم ان زيلش بلغت العاشرة هذا العام وقريباً ستكمل «دزينــه» سنينهــا.. ينبغي لي أن أذكــره! أجـل استـطيـع تذكـيره لولا خوفي من الاحــراج، اذ قد ابــدو امــامــه وكـأنني طامعـة منـه بشيء.. خاصــة اذا تزوج وبــبــنـت في العشريــن من العــمــر، لاتــنسي انــهــا قادرة على الانجاب . كلا ، لا يمكنني السفر اليها بسبب مرض الاطفــال فهم مايـزالون منقـطعـين عن الدراسـة. اضـافة الى ذلك فقد كانت متعجرفة جداً في معاملتي رغم حديثي اللطيف معها ؛ وحتىٰ لو كنا سبباً في انطواء باول على نفسه فأن تجاهلها لوضعه الخاص هو السبب الرئيس لحالته هذه . لفتيات اليوم مشاعر باردة وهن لا يعرن لهذه الحقيقة أية أهمية . علىٰ المرء أن يلاحظ ما نتج عن هذا الحب ،

كان لهذه البنت هدف واحد فقط هو الدخول الى هذه العائلة«فإن لم يتحقق ذلك عن طريق الشاب فليكن عن طريق العجوز .. باول ؟

أجل كتب أخيراً إنّه مرتاح ، مستمتع بحياته ، ويبدو سعيداً برحلته تلك. طبعاً، لايمكنه ان يحدس مايحدث هنا.. برقية؟ لاافكر في ذلك والا صرنا اضحوكة.. ثم نحن نعرف الوالد جيداً، انه لايتراجع عن اي قرار يتخذه مهما كانت النتيجة.. كما اننا لانرتضى لانفسنا الوقوف امامه كالاطفال.معذرة.. انا لا اعنيك. عديني ياعمة ان تتصلي به اليوم وتكلميه!

ماذا تقولين؟ مالذي ستقولينه له؟.. انه حمار عجوز ؟! أجل هذا هو الصحيح .

ـ حقاً ، انه لوقت طويل ، وغداً ستكون ثلاثة أشهر مضت على آخر لقاء لنا ، قالت انجليكا باومان عبر الهاتف لصديقتها ريناتة ، لماذا في ديزلدورف ؟ ذلك لأنني متزوجة هنا .. أكيد ما تسمعينه هو الصحيح . لقد اقترنت برجل كبير وثري جداً . أتتذكرين حين كنا نخطط لمستقبلنا وكنا نضحك على انفسنا في النهاية لأن تحقيق أمثال هذه الزيجات كان بعيد المنال . لكني الآن نجحت في تحقيق ذلك الحلم.. أجل، فعلاً أنه أرمل، أله أولاد؟ أجل... فله أبنة متزوجة وولد شاب يعمل في التجارة كأبيه . أقع في غرامه ، تقصدين ؟ لن يحدث هذا .. كيف يبدو ؟ مَن ؟ الأبن ؟ حقاً ، لا اعرف .. لماذا تلحفين بالسؤال عن الأبن مراراً ؟ ثم أنه ليس موجوداً هنا الآن، ولن يأتي أبداً. وكذلك الأبنة فأنها لن تجيء الى هنا هي الاخرىٰ . كانت العمة «يو» هنا مرة . زوجي لا يريد أن يعرف عن عائلته شيئاً . لقد حجب عنهم المساعدة المالية جميعاً .. أنا ؟! أنا المدللة . لقد أهداني بيتاً جميلاً مؤثثاً بأحدث الأثاث ، في

حديقته الغناء حمام للسباحة .. وهو يروم أن يشتري لي بيتاً ريفياً في «تيسن» وسيارة سباق . كل ذلك لي وحدي .. ماذا تقولين ؟ مقتنعة؟ حتماً أنا مقتنعة وراضية لاسيما وأنا أرى كلّ العائلة غاضبة ومنزعجة . علماً بأنني سوف أهديه طفلاً وسيصبح الوريث الوحيد له. لم أكن هكذا من قبل؟ بالعكس أنا لم أتغير، لابل كنت هكذا دوماً. من المؤكد هكذا يصبح الانسان بحكم ظروفه، خاصة لو كانت ظروفاً محددة . وهذا ما لا يمكنك ادراكه . الآن ينبغي أن انهي المكالمة كي أرتدي ملابسي واستعد لاستقبال الضيوف .. المدعوين عندنا الليلة .. سيكون من بينهم وزير . بالمناسبة لو احتجت شيئاً فما عليك سوى الكتابة لي. تقولين نتقابل؟ آه كلا .. من الأفضل أن لا يتم هذا .. بقدر ما تذكرين ؟! أجل إن ذاكرتك حادة .. نعم .. كان لي صديق شاب . لم استطع الزواج به لأنه كان ضعيفاً أمام موقف عائلته من زواجه بي .. لكني لم أنسه تماماً لهذا السبب .. كلا . لا كما تتخيلين . نبرات صوتي طبيعية دائماً . لماذا يتعين عليّ أن أبكي .. كلا . فأنا لا أبكي .



## هانز بندر (١٩١٩)

ولد هانز بندر في عام ١٩١٩ في مولهاوزن / كرايشجاو . درس الفن وتأريخ الادب بجامعة «ارلنجن» و «هايدلبرج» توقف عن الدراسة بسبب الحرب وقضىٰ فترة الأسر في الاتحاد السوفياتي حتىٰ عام ١٩٤٩ . أسس في عام (١٩٥١) صحيفة خاصة بالشعر الحديث تحت اسم «كونتورن» ثم ساهم في إصدار مجلة «اكسنته» في عام (١٩٥٤) وامتلكها في عام (١٩٦٨) .

# موزع الخبز

«ألست موزع الخبز ؟» سأل أحدهم نوربرت أثناء ما كان يخلع عنه سترته امام السرير .*

«بلىٰ . أنا عارف ..»

«أنت موزع الخبز» هتف آخر

«أنت موزع الخبز» ردد ثالث ثم دفع نوربرت من ظهره .

«ياجماعة ، أنا أعرف ذلك ، ولكن دعوني أولاً أغسل يدي !»

«أنا جائع للخبز ، وانت ولا كأن ....» زمجر احدهم صائحاً من فوق

جفف نوربرت يديه . تناول السلة من العمود الخشب ثم مشىٰ حتىٰ نهاية السقيفة الخشبية .... أمام الغرفة الحجرية وقف طابور موزعي الخبز .... في الداخل أجرىٰ مسؤول التوجيه التعداد : «واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ست ....» «امنيتي أن آكل قطعتين من الخبز ولو مرة» قال الرجل الذي يقف امام نوربرت «قطعتان فقط ؟ أنا قادر على أكل عشر قطع» عقب شخص آخر . «اثنى عشر ، ثلاثة عشر ، أربعة عشر ، خمسة عشر» ، استمر مسؤول التوجيه بالتعداد . تقدم نوربرت الى الباب ، لم يبق امامه سوىٰ واحد ...

حين جاز عتبة الباب تطلع الى داخل الغرفة الحجرية : وجد أسرّة

علىٰ يمين ويسار الجدار ، عليها أغطية بيض صوفية ناعمة منقوشة ، ووسادات لشراشف بيض ... فوق الأسرّة علقت صور مؤطرة ، وفوقها من الجهة اليمنىٰ تنضد رفوف للكتب . تقع المدفأة الحجرية في الزاوية تحت النافذة الواسعة المؤلفة من عدة الواح زجاجية .

في الأمام توجد دكة ، جلس عليها مسؤول التوجيه الشاب متربعاً ، ثم وضع على ركبتيه لوحة خشب ؛ كان قد سجل عليها اعداد قطع الخبز ، كانت الغرفة بفضل تدفئتها بخشب البتولا ساخنة جافة . مسؤول التوجيه كان قد شمر اكمامه عن ساعديه .... وكان يرتدي قميصاً مكوياً وبياقة .

«كم قطعة خبز حصتكم ؟ سأل رجل التوجيه المسن» ..

«أربع وعشرون قطعة» ، أجاب نوربرت

«صحيح هذا ؟» سأل المسؤول المسن المسؤول الشاب

«نعم . صحيح» قال الشاب

«واحدة، اثنتان ، ثلاث ، أربع ، خمس ...» تناول المسؤول المسن قطع الخبز من الرف ووضعها واحدة فوق الاخرىٰ على لوح الخشب كان الخبز اسمر غامقاً طرياً . وكان مربع الشكل . امام المدفأة منضدة مغطاة بشرشف ، عليها زهرية فيها أزهار من ورق ، وبجانبها منفضة للسجائر من البورسلات ؛ كان يضع عليها المسؤول الشاب لفافة تبغ .

«اثنتان وعشرون ، ثلاث وعشرون ، أربع وعشرون ... هلّا عددت معي ؟»

سأل المسؤول المسن ...

«كيف ؟»

«أقصد ان كنت تريد أن تعدّ الخبز معي ، فلربما خدعتك وعندها ستظل جائعاً حتىٰ يوم غد .....»

«كلا ، لا حاجة لأن اكرر وراءك العدّ» قال نوربرت

«ثق ، أنني لم اخدعك»

وزع نوربرت قطع الخبز . فضلت قطعة واحدة . أجرىٰ تعداداً للرجال ؛ فكان الكل حاضراً . أربعة وعشرون رجلاً ، كلّ واحد منهم حصل علىٰ قطعة خبز ..

«فضلت لدي قطعة خبز» قال نوربرت لجاره فانزدورف .

قال الذي بجانب فانزدورف : «اعطِ القطعة الفائضة لرجل التوجيه ، انه شره دائماً ...»

قال فانزدورف بهدوء : «نعم اعطه تلك القطعة .. اكيد ، ان هناك نقصاً في احدىٰ الوحدات .»

«الغبي» صاح احدهم قائلاً «قطعة خبز فائضة ؟ سيعرض نفسه للسب والاهانة» صاح واحد آخر من فوق وقد أدلىٰ برأسه الى السرير الذي تحته .

تناول نوربرت صينية الخبز ، ومشىٰ خلال الممر .. طرق باب الغرفة الحجرية . فتح مسؤول التوجيه الشاب الباب ثم هتف :

«ماالذي حدث ؟»

قال نوربرت ، «فضلت لدي قطعة خبز»

«هاتها» هتف المسؤول الشاب ثم أخذ القطعة واغلق الباب بعنف ثم

احكم رتاجه بالمفتاح .

جلس الاسرىٰ واحداً جنب الآخر علىٰ الأسرّة ، وقد حصروا القصاع بين ركبهم ووضعوا الخبز في احضانهم . ارتشفوا ثم مضغوا ... وزجاج النوافذ المغطىٰ بالثلج من الخارج يشع من خلاله ضوء المصابيح . وصل فانزدورف قبل يومين من مكان آخر بالترحيل الانفرادي ، وهو مرتدٍ الزيّ الاسود . انه من رجال الدبابات . لقد نزعت من كتفيه الرتبة؛ وعلى زنده وضعت قطعة قماش فشمع فيها ثقوب كبيرة ، تمت خياطتها مؤخراً . يتمتع فانزدورف بجسم قوي رشيق ووجه جميل ، وإنّه نظيف لذا رحب نوربرت بأن يكون جاراً له مثل فانزدورف .

قال نوربرت : يالبخت المرء الذي يعيش في الغرفة الحجرية .! لديهم هناك مدفأة ومنضدة مع أسرّة؛ وحين يأوون الى الفراش يستطيعون خلع ملابسهم ...

عقب فانزدورف قائلاً : «أفضل البقاء هنا»

قال نوربرت : «هناك لا ترىٰ وجوهاً كثيرة . وهناك يتوفر النور ومدفأة بإمكان المرء أن يغذيها بخشب البتولا ؛ ويتمتع بمرآها وهي تتوهج .

«أجل ، توهج النار يسحرني» قال فانزدورف واردف كان عندنا في بيتستاموا نار»

«أكنت في بيتستاموا ؟»

«اجل ، مع ثلاثة اصدقاء ، كانوا أكبر مني سناً»

«بيتستامول بعيدة ..»

«كفىٰ حديثاً عن بيتستاموا ! أريد أن أنام» قال الذي ينام بجانب فانزدورف .

«لاحظ ! لا يمكننا هنا في هذه السقيفة الخشبية أن نتحدث براحة . ينبغي أن يمتلك المرء غرفة حجرية»

عند المساء توجه مسؤول التوجيه الشاب الى السقيفة الخشبية .. كان الأسرىٰ الذين انتهوا من تناول الطعام يتبادلون الاحاديث بينهم. سكتوا حين مرّ ذلك الشاب قربهم. كان سميناً يرتدي سترة من الصوف انجز خياطتها خياط معسكر الاسرىٰ . سار بعيداً ولم يستطع أحد رؤية عينيه. توقف أمام نوربرت ثم هتف به : «تعال معي ! عندي حديث معك» صعد الدم الى رأس نوربرت . تحدث مسؤول التوجيه معه ، والآخرون ينظرون اليه ؛ وكان فانزدورف ينشغل باحثاً في جرابه ...

تقدم مسؤول التوجيه سائراً وتبعه نوربرت .. اغلق الباب بعد أن دخل نوربرت وراءه

«أهو هذا ؟» سأل مسؤول التوجيه المسن المسؤول الشاب الذي يدعىٰ فيرنر

«نعم هذا هو.مَن أعاد قطعة الخبز الفائضة» قال فيرنر.

«كان أمراً طبيعياً أن أعيد الخبز الفائض» قال نوربرت

«كلا . ليس بالامر الطبيعي» قال مسؤول التوجيه وأردف ؛ كل واحد من اولئك كان بامكانه أن يأكلها ولا يعيدها . كان عليك أن تأكلها. . .عليك الآن أن تأخذها ! سحب القطعة من الرف وناولها لنوربرت .

«شكرا» قال نوربرت «لقد اعتدت الجوع»

«اجلس معنا» قال مسؤول التوجيه وأردف «أويبدو عليك التعب ؟»

«كلا . لقد كنت نائماً منذ عودتي منكم والى الآن» أجاب نوربرت .

«اين تحب الجلوس ؟ على السرير-أم على الكرسي أم على الدكة ؟»

«الدكة اكثر راحة» . قعد علىٰ الدكة أمام المدفأة المتوقدة إذ ألقمت بقطعة خشب جديدة ...

«يمكنك أن تقدم له كوب شاي» قال مسؤول التوجيه لفيرنر . ثم سأل نوربرت: «من المؤكد انت تعرف كيف هو طعم الزبد ؟»

«الزبد ...»

«نسي مذاقه . اعطهِ زبداً .»

ذهب فيرنــر نحــو النــافــذة. تناول علبة زبد من فوق حافتها. كانت مجمّدة . علبة مدورة من العلب التي كانت توزع خلال الحرب .

فتح فيرنر العلبة ، ووضعها أمام نوربرت .

«أريد سكيناً .»

«هذه السكين»

«شكراً ..»

«كلْ ، وتذوق !»

قال مسؤول التوجيه . «أتعلم . لقد قررنا أن ننقلك الى الغرفة الحجرية لتسكنها ـ قائد المعسكر الروسي يرغب أن تنتقل الى مركز المراقبة في الغرفة الحجرية . إنها مكان جدير بأن ينتقل اليها النابهون من الاسرىٰ موزعي الخبز امثالك . لقد حظيت باعجابنا لأعادتك قطعة الخبز الفائضة ، وانت جائع»

«انه خجول» قال فيرنر ثم قدم لنوربرت قطعة من الخبز ، وقد طلاها بالزبد . ثم ملأ الكوب أمام نوربرت شاياً . تصاعدت ابخرة الشاي مارة بقطعة الخبز المطلية بالزبد .
قال مسؤول التوجيه «تستطيع ان تدعو شخصاً آخر ليسكن معك الغرفة . الأسرة فائضة في كلّ الاحوال . الا ترغب في ان تدعـو فانزدورف معك الى هنا ؟ قال فيرنر مؤيداً «أجل ، هذا ممكن . لقد حضر فانزدورف الى المعسكر منذ يومين وهو يعطي انطباعاً مرضياً» .
قال مسؤول التوجيه الالماني المسن «اذا كان مجيء فانزدورف معك يؤنسك ، فادعه معك للسكن ، اعتقد ان المترجمة لا تمانع ابداً .»
رجال التوجيه هؤلاء يقرأون ما على الجبين ، فكر نوربرت .
انتقـل مسـؤولو التـوجيـه... ساعدهمْ نوربرت في حمل متاعهم من حقائب وفرش وكتب وقدور الى غرفة المراقبة
نوربرت وفانزدورف انتقلا الى الغرفة الحجرية ، الإنارة هنا تعشي العين .. بجانب المدفأة هناك قطع الخشب الكبيرة . قطع فانزدورف الخشب وغذى بها المدفأة ثم تناول الكبريت ، واشعل النار . وضع قطعاً أخرى فوقها فتصاعد اللهب . اما نوربرت فقد جمع الاوساخ في برميل ثم مسح أرضية الغرفة . بعد ذلك رتّب اكياس القش .
قال فانزدورف ، «يجب أن نحصل على صور للجدران»
قال نوربرت ، «لدي عدد من الصور»
قال فانزدورف ، «لم أعد املك أيـة صورة الآن ، سلبوا مني كلّ الصور ، عندما رحلت الى السجن في يوروفيتش»
«أكنت في السجن ؟»

«أجل ، لكن حول هذا الموضوع سأحدثك بعد مدة»

جلب فانزدورف ماءً ثم أعدّ الشاي . دخنا سجارٌ من لفاف التبغ وهما يجلسان على الدكة أمام المدفأة . بعد منتصف الليل حملا صينية كبيرة وذهبا بها الى مطبخ السقيفة الخشبية لجلب الخبز للأيام التالية .. كان الثلج قد تساقط وكانت الأرض مبتلة . وقف الخبازون وقد ارتدوا الصدريات البيض خلف الطاولة .. جهزوهما بقطع الخبز في الصينية .

«قطعتان زيادة على العدد» هتف المشرف على الخبازين واكمل قائلاً «كل مَن يسكن الغرفة الحجرية له قطعة زيادة على المقرر له» ثم سكت . خلد الاثنان الى النوم بعد ساعة واحدة . خلع فانزدورف ثيابه، وخلع نوربرت ثيابه أيضاً . في السقيفة الخشبية كان محالاً أن يخلع المرء ثيابه . يلتحف معطفه وينام اذ في الليل يشتد البرد ...

سأل نوربرت «كيف تجد المكان ؟»

« .... جيداً ، هتف فانزدورف .»

«كنت ترغب في ان تحدثني عن بيتستاموا».

«أنا تعب ، يانوربرت ، الآن ، غداً سوف أحدثك بالكثير عن بيتستاموا»

كان نور المصباح يتأرجح فوق عين نوربرت ، وطالما كان مضيئاً لم يغمض له جفن ... رائع أن يبقىٰ المرء وهلة صاحياً . كان الهدوء ساجياً . لقد فاحت رائحة الخبز . وضع يده علىٰ جدار المدفأة . تحركت الوحدة عدا اثنين من الاسرىٰ كانت قد تجمدت اصابعهما .. رتّب نوربرت الخبز سجل عدد القطع ورقم الوحدات

على قطع من الكارتون . ثم نضّد قطع الخبز قطعة فوق أخرىٰ .
حلق ذقنه ، ثم انصرف الى غرفة الملابس ليبدل قميصه الوسخ بآخر نظيف .
«يوم السبت مخصص للتبديل» ، قال الأسير المسؤول عن تبديل الملابس .
«لكنني اسكن الغرفة الحجرية» قال له نوربرت .
«اذن الأمر هنا مختلف» قال الاسير من خلف الطاولة ... اخذ يفتش بين أكداس القمصان ثم قال : أعطيك قميصاً مكوياً وبياقة» كل شيء يصبح مختلفاً عندما يسكن المرء الغرفة الحجرية ..!
ارتدىٰ قميصاً نظيفاً ومدد جسمه على الفراش .. عندها دخل فيرنر الغرفة .
«عليك أن تقابل المترجمة!»
«الى المترجمة ؟»
«لا يعلم إلّا الشيطان ما تريده هذه المترجمة»
لم يسبق لنوربرت أن التقىٰ المترجمة أو أحتك بها . انه يدري ان مهمتها هي مراقبة البريد ، ومقرها في غرفة من غرف المراقبة . أحياناً تشاهد مع احد الضباط في المعسكر ، وهي تحتذي جزمة وتلبس معطفاً وسبمياً وقد لفت شعرها على شكل ضفيرة على رأسها .
«اسرع» هتف فيرنر .
كان نوربرت متعباً ، يغالبه النعاس وهو يسير خلف فيرنر الى بناية المراقبة،فتحت لهما المترجمة الباب . كان هناك ضابط يجاورها علىٰ

المكتب ، هتف له :
«نهارك سعيد ، كيف حالك ؟» ضحك لأن المجاملة قد اتعبته ، ولأن حفظ كلمات الرد الجميلة صار عسيراً عليه .
من علبة سجائر على المنضدة قدم له سيجارة في عقبها مبسم ذهبي ... المترجمة اخذت سيجارة لها ، والضابط أخذ له سيجارة ايضاً،سألت المترجمة ، «أأنت تسكن الغرفة الحجرية رقم سبعة ؟»
«أجل» اجاب نوربرت
«السكن فيها أفضل من السكن مع الآخرين ، أليس كذلك ؟»
قال نوربرت «أجل» انه افضل .
«ومَن يسكن معك ؟»
قال نوربرت ، «فانزدورف . هكذا يدعىٰ ، حضر الى المعسكر قبل سبعة أيام»
«هل تنسجم جيداً معه ؟» سألته المترجمة
«أجل . بشكل جيد جداً» اجابها نوربرت .
تحدث الضابط والمترجمة الى بعضهما ثم سألته:
«ألا تتكلم الروسية ؟»
«نعم» اجابها نوربرت «الشتائم فقط» .
«الشتائم عادة سيئة» قالت المترجمة وأردفت «الروس يشتمون بقبح»
سحب الضابط ورقة ، ووضعها على المنضدة أمام نوربرت ثم قال «ينبغي لك التوقيع عليها»
قالت المترجمة : «وقع هنا ! انها وثيقة رسمية»

«أوقع ؟» سأل نوربرت «ولِمَ التوقيع ؟»
«كي تصمت . هذا أمر ؛ أنت ملزم بتنفيذه ، كي تصمت عن كل شيء. عن كل ما نتحدث به اليك الآن. أفهمت؟»
ادخلت الريشة في المحبرة وقدمتها الى نوربرت «أنت غير ملزم بشيء سوىٰ الصمت» أخذ نوربرت الريشة ، ووقع بكتابة اسمه تحت الأسطر العديدة فكر : لم يعد اسمي جميلاً . خطي متلون ، إني إمعة ، ولسوف أخجل من نفسي دائماً حين اكتب اسمي بعد الآن
«اذا نطقت بكلمة في ما يحدث فستعاقب بموجب قوانيننا» قالت المترجمة . همس نوربرت مع نفسه «لماذا وقعت الورقة ... كانت امامي فلماذا لم أمزقها ؟ بعد ذلك أبعدت المترجمة الورقة عني .
تحدث الضابط اليها فترجمت المترجمة قائلة: أكيد. انك لا تحب أن تنشب الحرب ثانية ولا تريد أن تسقط جريحاً أو تقع في الأسر ؟
«طبعاً» قال نوربرت ، «أنا لا أرغب أن أقع ثانية في الأسر»
«لكن هناك اسرىٰ يرغبون أن تنشب الحرب ثانية . فانزدورف هو واحد من اولئك الذين يريدون اشعال حروب جديدة»
«انا لا اظن ذلك» قال نوربرت
«لدينا من الادلة على انه يرغب ويؤيد ذلك ، ولكنها ليست ادلة كاملة . ولكي لا ندع أمثال هؤلاء لأن يشنوا حرباً جديدة يجب أن تساعدنا أنت ، قالت المترجمة .
«اساعدكم؟كيف ؟ ليس باستطاعتي مساعدتكم» قال نوربرت .
قالت المترجمة : «لسوف يحدثك فانزدورف عن ماضيه ، اما اذا لم يحاول ذلك ؛ فتش عن وسيلة تجعله يبوح لك بكلّ شيء . لقد قتل

انساناً عام ١٩٣٨ في تشيكوسلوفاكيا ..»
«فانزدورف ؟»
«نحن نعرف هذا من الوثائق . عندما يخبرك بشيء فتعال واخبرنا ؛ وبهذا فانك تساعدنا ..»
استمر الضابط بالكلام والمترجمة تستمع اليه . ثم قالت لنوربرت :
«انك سوف تحيا هنا في الغرفة بشكل مريح جيد . لن ترسل الى العمل . الملازم ميشائيلوف يريد مساعدتك»
التقط الضابط علبة السجاير مرة اخرىٰ وتقدم الى نوربرت ... السقيفة الخشبية تقع على مرتفع . الطريق المستوي يرتفع تدريجياً اليها بفعل تسع درجات خشبية .. الاسيران اللذان تجمدت اصابع اقدامهما كانا نائمين في فراشهما .. توجه نوربرت الى الغرفة . قعد على السرير ، وعندما سمع خطوات واصوات افراد الوحدة ؛ فزع وارتعب .
وزع نوربرت الخبز. وقد ساعده فانزدورف في التوزيع. سار موزعو الخبز مجتازين عتبة الباب وهم يحملون الصواني على بطونهم .
عند منتصف الليل توجه نوربرت وفانزدورف ومعهما الصينية إلى المطبخ ، وبعد أن عادا واضطجعا على الفراش قال فانزدورف ،
«الليلة ، سأحدثك عن نفسي»
«عن بيتستاموا ؟» سأل نوربرت
«أجل ، لم لا ؟» ليس هناك مَن يعكر الهدوء أو يضيق بدخان التبغ . اتسمح لي ان ألف لك سيجارة بينما ألف لي واحدة؟

«أجل . تفضل !» قال نوربرت .
تحدث فانزدورف عن رحلاته الاولى : الرحلات القريبة والقصية وعن رحلته الى بيتستاموا .. وصف البحار والغابات والتوندرا .. تحدث عن شمس منتصف الليل ، وعن الرحلة بالقطار الفنلندي . ذكر اسماء المدن الفنلندية : كوبيو ، كويانا ، سورتافالا ، وسافوكوسكي . كان فانزدورف محدثاً جيداً ، وقد تصور نوربرت بوضوح كل شيء كان قد شاهده ، وحدث به فانزدورف .
قال فانزدورف : «كنت حينذاك في الرابعة عشرة . كان الوقت صيف عام ١٩٣١ . في السنوات التي تلت كنت في ايطاليا ثم في يوغسلافيا . آخر رحلة قمنا بها الى سكوتلاندا .. بعد ذلك لم يعد السفر الى الخارج سهلاً .
ربيع عام ١٩٣٨ صرت جندياً في الجيش التشيكي . وفي الصيف بدأت اولى المتاعب والمخاوف» ..
حاول نوربرت أن يقول له ، لا تستمر بالحديث ، لكنه لم يقلها .. «تشيكوسلوفاكيا بلد رائع» قال فانزدورف ثم اكمل : «انتم في الغرب لا تعرفون ذلك . نحن نسكن غير بعيد عن الحدود ، وكان أبي عمدة المدينة . السلطات التشيكية بدأت صيف ١٩٣٨ تخلق المتاعب لأبي ، هل تسمعني يانوربرت ؟»
لم يجب نوربرت . أغلق عينيه ؛ لكنه كان يسمع كلّ كلمة . ويدري بأن فانزدورف إن استمر بالحديث فلسوف يعترف ويفضح سره . ماذا لو كان قد قتل انساناً فعلاً ؟ انه لا يوّد أن يعرف هذا ؟ لا يرغب أن يحمل سرّاً كهذا ؟.

مرة أخرىٰ قال فانزدورف متسائلاً : «هل نمت ؟»
تنفس نوربرت بعمق ، متظاهراً بالنوم . سمع كيف نهض فانزدورف من فراشه ثم توقف برهة وانحنىٰ عليه . ثم أدار المصباح جانباً حتىٰ انطفأ ..
احد الاسيرين الاثنين متجمدي الاصابع دخل متسائلاً ان كان بامكانه أن يحمص خبزة علىٰ النار .
سرّ نوربرت لمجيئه وقال : «إن كان يعجبك أكل الخبز المحمص فلا مانع !
انحنىٰ الاسير بطبقهِ الخشبي أمام المدفأة . وضع قطعتي الخبز علىٰ حديد المدفأة واخذ يقلبهما حتىٰ احمر وجها الخبز . ثم تطلع الى نوربرت قائلاً :
«اقسم قطعة الخبز الواحدة الى اثنتي عشرة قطعة . هكذا أعين لكل ساعة في النهار قطعة .»
اعطى نوربرت القطعة المتبقية لديه الى محمّص الخبز الذي قال بفرح : «الآن صار عندي أربع وعشرون قطعة . بامكاني أن أتناول قطعة واحدة كل نصف ساعة»
فكر نوربرت ، اذا منحته قطعة أخرىٰ يصبح بامكانه أن يأكل قطعة في كل عشرين دقيقة . واذا منحته ثالثة فكل خمس عشرة دقيقة قطعة ، ولو منحته رابعة فكل اثنتي عشرة دقيقة قطعة . ولو منحته خامسة ، وهنا لم يعد بامكانه أن يحسبها بالدقائق .
كلا ، انه ليس بالمحاسب الدقيق ...
الوحدة رجعت متأخرة عن وقتها المعتاد . أحد جنود الحراسة طعن

ذراع أحد الأسرى بحربة بندقيته . فعله أثار جدلاً ومناقشات .
توفي الاسير وهو في عربة النقل في طريقهم الى لاتساريت .. لم يهجع الاسرى بعد العشاء وقد جلسوا مجموعات على الاسرّة .
عند المساء حين آوى نوربرت وفانزدورف الى فراشهما قال فانزدورف : «ماذا تعمل يانوربرت ، لو كان قد قتل أحدهم والدك أو والدتك عمداً ، ثم اشعل النار في بيتكم وهرب ومن ثم ترى القاتل الحقير أمامك بعد اسابيع ، وقد حاول التنكر بملابس اخرى إلّا أنك ورغم ذلك عرفته وشخصته ، وحين رآك وعرفك ايضاً راح يولول أمامك باكياً ويردد : إنّ بامكانك أن تفعل به ما تشاء . هذا وانتما وحدكما وجهاً لوجه ، وانت تحمل مسدساً ، ولا أحد شاهد على ما تفعل ؟»
«الامر واضح ، بديهي» قال نوربرت
أدار فانزدورف نفسه الى الجدار . لامست كتفاه الحائط . كان شعر رأسه قد قفّ سنتمترين طولاً .
فكر نوربرت : ماذا ، لو باح له بكلّ شيء ؟ لكنه نهض . ارتدى السروال لبس القبقاب الخشبي واتجه نحو القاعة .
عند الزاوية وتحت نور المصباح وقفت مجموعة من الاسرى ، وحين أبصر أحدهم قادماً أعلن عن مجيئه للآخرين الذين تفرقوا حالما رأوه ؛ وعاد كلّ الى مكانه ..
أمامه تسلل فأر تحت الاضواء ، كان الفأر يعض قطعة خبز بين أسنانه . في اليوم التالي كانت القاعة خالية ، وقد اختفى الاسيران متجمدا الاصابع ايضاً ... كان الثلج قد تجمد على زجاج النوافذ

وكانت الارضية رطبة ، والهواء ملوثاً .
فكر نوربرت مع نفسه قائلاً ، اليوم سيستدعونني ..
عند المساء ، قبل حوالي الساعة من عودة الوحدة ، جاءه فيرنر ثم هتف : «المترجمة تنتظرك»
ذهب نوربرت الى بناية المراقبة . كان الباب منفرجاً وكانت المترجمة جالسة الى المكتب ..
«هل من جديد ؟» سألته المترجمة .
اجاب نوربرت : «لا جديد ....»
قالت ، «انكما معاً كل ليلة ، تتسامران وتتحدثان ثم تدعي أنك لا تعرف شيئاً»
اجاب نوربرت : «انني لا أعرف شيئاً»
«ربما قد لمّح لك بشيء . التلميح قد يكفي»
«كلا»
دخل الضابط الغرفة ، القىٰ التحية : «نهارك سعيد ، كيف حالك» ثم سحب محفظته من جيب معطفه ، ووضع أربع أوراق نقدية أمام نوربرت علىٰ المنضدة .
قالت المترجمة : «خذ النقود . اشترِ بها ما ترغب شراءه . ربما ترغب في أكل الزبد؟»
قال نوربرت : «أنا لا احب تناول الزبد»
قالت المترجمة : «اذن اشترِ شيئاً آخر»
قال نوربرت : «أنا لا آخذ نقوداً من أحد»
ترجمت المترجمة ما قاله نوربرت للضابط الذي لوح بيده . ثم قالت :

«نحن قادرون على أن نرغمك علىٰ الكلام بما تعرفه عن فانزدورف»
قال نوربرت : «إنني لا أعرف عنه شيئاً»
«لقد باح لك بكِلِّ اسراره ، لقد سمعه أحد جماعة القاعة وهو يحدثك بذلك» .
«لا أحد سمعنا ، لاننا لم نتحدث ابداً ..»
قالت المترجمة «لماذا تحاول حمايته؟ لا تنفع حمايتك اياه»
لم يرد عليها نوربرت بأيما جواب . وقفت المترجمة والضابط معاً ، وتهامسا . في الخارج صاح ضابط المراقبة معلنا عودة الوحدات . وسمعت قرقعة القباقيب على الطريق المتجمد .
سألت المترجمة قائلة : «اذن فأنت لا تريد أن تخبرنا بما تعرف ؟»
«نعم» قال نوربرت واردف «أنا لا أعرف شيئاً ، وحتىٰ لو كنت أعرف شيئاً فلن أقوله لكم لأن فانزدورف صديقي» .
ترجمت ما قاله نوربرت للضابط . نوربرت كان يعرف ما تقابل كلمة «صديق» في اللغة الروسية .. «دروك» ينبغي أن تلفظ الـ «أو» تقريباً بوضوح المترجمة كانت تردد كثيراً «دروك» وكذلك ردد الضابط مراراً «دروك» وكلما رددت هذه الكلمة كانت توحي له بالخطورة ، والغموض ... ووجد في نفسه ان الكلمات الأخرىٰ كانت أقل خطورة من هذه اللفظة . الضابط وهو يلفظ «دروك» كان يرددها بصوت عالٍ وبانفعال وغضب .. صاح : دروك . ثم تقدم من وراء المكتب الى الأمام ووقف بجانب نوربرت الذي أنحنىٰ ورأسه الى الأرض ووضع قبضة كفه بين عينيه .. السقيفة
عند المساء أعادا نوربرت وفانزدورف الى السقفية الخشبية . انتقل

فيرنر مسؤول التوجيه الشاب الى الغرفة الحجرية واستلم القيادة .
اقتيد نوربرت الى العمل . الآن هو واحد من أفراد الوحدة التي تقوم بانشاء جسر للسكة الحديد .. كانت الاعمال شاقة جداً ولكن ذلك أحب اليه مما يريدونه منه .
وعندما عادت الوحدة ، عاد نوربرت موزعاً للخبز .
«أكنت موزع الخبز !» تعالت الاصوات من كلّ جانب .
غمز احدهم قائلاً «لم يعد يحس بالجوع»
«تراه قد افترس كثيراً حين كان في الغرفة الحجرية» صاح آخر .
تناول نوربرت الصينية من المخبز وذهب الى الغرفة الحجرية . نظر الى الصينية . ومسؤول التوجيه يعد قطع الخبز . وزع نوربرت قطع الخبز ؛ وفضلت قطعة واحدة لديه . لم يعدها ، بل وضعها مع حصته من الخبز ، وغطاها بمعطفه .
بعد أن لعق الاسرىٰ الحساء من القدور ثم دخنوا لفافات التبغ ، اخلدوا الى النوم.
لما ينم نوربرت بعد ، ومعطفه بجانبه يخفي قطعتي الخبز ، كان يرتجف من البرد لكنه لم يحاول أن يرتدي معطفه .
بعد العشاء حضر مسؤول التوجيه الشاب الى السقيفة الخشبية . كان محتذياً جزمة الضابط . وقف علىٰ دكة خشبية عند نهاية الفرش ، أدخل اثنين من أصابعه بين ازرار سترته ثم صرخ : «اسمعوا !»
الاسرىٰ هبوا من نومهم وهم يدعكون جفونهم . قال فيرنر بلهجة المتحدث السعيد : «نحن نعرف جميعاً ما هي قيمة قطعة الخبز ؟

لقد تعلمنا كيف نقدس الخبز . ايّ واحد من رفاقنا يسرق قطعة خبز وهي لرفيقه يعني أنه قد سرق حياة هذا الرفيق . واحد منكم أخذ قطعة خبز اكثر من حصته المقررة . وهو لم يعدها رغم مرور أربع ساعات ! لقد اقتطعها من حياة رفيق لكم !»

تعصب الأسرىٰ ثم صرخوا : أين هو ذاك الخنزير ؟ اخبرنا باسمه نريد ان نعرف اسم هذا الخنزير!.

قال مسـؤول التـوجيـه: «نحن نستـطيـع رفـع اسمه الى الروسي»

«كلا» هدر الأسرىٰ بالصراخ

قال مسؤول التوجيه : «الروسي لن يأخذ الامر بجدية . أنه لا يخسر شيئاً . لقد زودنا بالخبز الكافي . لكن ما هو موقفنا كألمان مِنْ ذلك الشخص !»

هتف أحد الأسرىٰ : «سنتولى نحن عقابه»

قال مسؤول التوجيه : «أجل ليس هناك طريق آخر،لنعاقبه نحن بأيدينا»

صاح الاسرىٰ «اخبرنا باسمه ، اعلن لنا اسم هذا الخنزير !»

نزل المسؤول عن الدكة الخشبية . مشىٰ عبر القاعة ثم وقف أمام نوربرت .

كان نوربرت جالساً بهدوء لا يعنيه ما يحدث ، وما سوف يحدث .

سحب مسؤول التوجيه المعطف بقوة ، فشاهد الاسرىٰ قطعتي الخبز تحت المعطف .

وكالحيوانات تعالت صيحاتهم ، وكانت صيحة مسؤول التوجيه ترتفع ، «الآن انتم تعرفون واجبكم» .

جرّ الاسرىٰ نوربرت من فراشه ثم اشبعوه لكماً حتىٰ وصلوا به الباب .. واحد منهم انتزع سترته ، وآخر قميصه .

راح كل واحد منهم ينهال عليه ضرباً حتىٰ اذا وصلوا به الممر الثاني أنهال عليه اسير منهم ضرباً بالعصا وآخر أخذ يدفعه نحو الآخرين . واحد كان يشك بأمره بأنه من رجال المباحث مسك نوربرت ولطمه على وجهه . وآخر رفع بوجه نوربرت يده اليمنىٰ الى اعلىٰ ثم تركها تهبط وهو يصرخ بوجهه :

«انك في نظري قذر ، وأنا لا أحب أن أوسخ يدي بك»

«إنك جد قذر في نظري !»

واحد منهم صفعه بالقبقاب الخشبي ، وآخر دلق على وجهه ماءً وسخاً من قدور المطبخ ، وثالث ركله بقوة في بطنه .. بعد ذلك لم يعد نوربرت بقادر علىٰ أن يميز من أين تأتيه الضربات والركلات ، وبماذا ...

زحف نوربرت بضع خطوات نحو الفراش ، حيث يجلس فانزدورف. حاول نوربرت أن يستعين بعمود الخشب ليتماسك ، لكن يدّ فانزدورف امتدت فأمسكت بيده .



## أولريش بيشر (١٩١٠)

ولد بيشر في برلين. كان والده محامياً. درس القانون في جنيف وبرلين. درس فن الكرافيك على الاستاذ كيورك كروزاك.

صدرت له المجموعة القصصية الاولى في عام ١٩٣٢ «الرجال تعمل الاخطاء». عاش في فينا وزوريخ والبرازيل وثم نيويورك. يعيش اليوم في بازل. كتب قصصاً ذات طابع نقدي لاذع وله اعمال مسرحية ومن اشهر قصصه «اثنان بالزي الرسمي».

# رجال بالزّي الرّسمي

إننــا اخوان اثنان من عائلة فاضلة . عشنا اياماً جميلة.وهي الشيء الوحيد الجيد الذي تحفظه ذاكرتنـا،أما بقية الامور فكلهـا سيئة: الاسنان، المزاج، المعدة. النوم وكل شيء،أحيانـا ننام ونحن جـائعان ايضاً .

اننا لم نعد شباباً. لقد عبرنا الأربعين. ننام ونحن ندري اننا نعطي انطباعاً مضحكاً : الاخوان اللذان لم يتزوجـا . الاخوان اللـذان لم يفترقا لحظة واحدة.اننا كالسروال كلّ واحد منا يمثل رجلاً منه: فنبدو لذلك اضحوكة . نحن كنا دوماً معا .. كنا نعمل في مكان واحد . ونمرض في آن واحد، فصلنا من العمل معاً. حاولنا ان نستمر بالعمل كثنائي راقص ضمن فرقة مسرحية متنقلة . الفرقة رحلت والان نحن بلا عمل ولا نملك شروىٰ نقير ...

كل ما تبقى لدينا بدلتان رسميتان: هما بدلتان قديمتان إلا انهما في حالة جيدة . قبل ان نلتحق بالفرقة اصلحنا فيهما بعض العيوب حتى غدتا تتفقان مع ذوق العصر وتناسبان جسمينا . نبدو فيهما اهلا للثقة . نبدو رجالاً حين نريد لكننا لا نريد . اننا متعبان.

«لا فائدة من هذا كله. غداً سنرهنهما في بيت الرهون»... قررنا هذا مساء يوم اثنين،في الليل تسللنا الى فراشنا . كل واحد منا احس بأن الاخر لم ينم بل يفكر . «لن نرهنهما بيت الرهون» تقرر هذا يوم الثلاثاء .

عصراً فتشنا الدرج الفارغ . وجدنا قبعتين طويلتـين قديمتـين «كنا نضعها على انوفنا ونحافظ بهما على التوازن» ثم عثرنا مع البدلتين على قميصين بياقة منفصلة الا انهما نظيفان .كانت الياقتان منشاتين وحين رميناهما على المنضدة احدثتا صوتاً كما لو كنا قد رمينا لوحي خشب .
غداً الاربعاء ... غداً سترمينا صاحبة المنزل خارجاً. وليس في الحقائب سوى فرشة للاسنان. هل تحتفظ بها ذلك لاننا لم نسدد بدلات الايجار منذ شهور.

استيقظنا الساعة السادسة صباح الاربعاء . ارتدينا البدلتين الرسميتين بكلّ عناية ، وكأننا مدعوان لحفل ليلي. وضعنا قبعتينا على رأسينا اخفينا فرشة الاسنان ثم نفضنا الغبار بضربات رقيقة. القينا النظرة الاخيرة على المرآة. الاخوان الثنائي الراقص ؟ رمزا الاناقة؟ محبوبا الجماهير ؟ لولا كبر السن وسوء التغذية.

تدلف صاحبة النزل، «الى الخارج !» وهي تشير الى الباب بذراعها المتينة القصيرة ... الذراع التي لا تنتمي الى فصيلة اذرع النساء بل انها وحدها تشبه خنوصاً صغيراً ... «الى الخارج» اشارت بيدها وكأنها زعيمة الزبانية.

«اننا راحلان الان ! راحلان الان !» سرنا امامها بخطوات ايقاعية ونحن نفتح آذنينا جيداً «ممتلكاتنا في الحقيبة ،وهي جاهزة للتعويض ، سيدتنا!»

انها حردة ، ومندهشة من هذا الزي الرسمي الانيق خاصة في الصباح الباكر .كم تمنت لو كان باستطاعتها انتزاعه منا..كنا نبدو كما لو كنا طلبة مدارس.ضربنا الباب خلفنا بقوة. سرنا في الشارع ... كان الفجر في اول ارهاصاته .... وكان الخريف،كنا نسير بخطو موزون ونهز

الارض لأننا في الصباح يدأ بيد نغني الى حد لا يعتبر صراخاً عامل مرّ بنا حاملاً بيده آنية طعام اسطوانية زرقاء .. حدجنا بحرد وانزعاج «في ذات الوقت الذي يتوجب علي فيه ان ابكر للعمل، يعود هؤلاء المترفون المتهربون من دفع الضرائب الى مخادعهم مخمورين زاعقين بعد ليلة حمراء في صالات القمار وعلى اسرة الغانيات» آه لو كان يعلم بأن لا شيء في جيوبنا سوى فرشة للاسنان.... !

نحن نغني مع الصباح الباكر بصوت عالٍ .... الى اين؟ لا ندري، لا فكرة معينة في رأسينا ولا اتجاه . بالرغم من كلّ هذا فان هذا الوقت كان اسعد الاوقات.. الشارع خالٍ متجمد بلا حركة لاشيء سوى غلافين لعلبتي زبد يتراقصان وسط الشارع تحت ايقاع الريح الهادئة ...

غلافان لعلبتي زبد واثنان بالزي الرسمي ونور بنصف اضاءة، امام باب أحد البيوت تقف عربة لنقل الموتى . ثمانية رجال يرتدون زيّ نقالة الموتى يتحلقون في دائرة ، يتثاءبون ويثرثرون. من باب البيت خرج شخص بمعطف طويل منتحباً على عزيز فقد. هتف بصوت اخن «سادتي ارجو بذل المزيد من جهدكم والصعود الى الطابق العلوي!»

انفكت الحلقة الدائرية واتجه الرجال مسرعين نحو الباب ... هرعنا معهم الى الداخل حتى سلم الدار . رقينا السلم ... نحن في بيت غريب ووجودنا هناك قد يثير الانتباه . الا انه لم ينتبه لنا احد . رجال النقالة لم يبحثوا في شخصيتّينا لانهم ظنونا من افراد العائلة واهل البيت ظنونا من رجال النقالة.. زرّرنا بدلتينا الرسميتين جيدا ورفعنا ياقتي سترتينا نحو الاعلى ، لكي لا يستطيع احد ملاحظة القميص والرباط . هكذا بدونا باللون الاسود كلياً، لون مناسب لأن نكون في بيت حداد.

واضح ان العائلة لم تستعد للتحرك . وقفنا على سلم قوي ...
كوّن رجال النقالة حلقة للمرة الثانية وبدأوا بالتثاؤب والثرثرة. اننا
لم نذق شيئا من الطعام. هذا اليوم . لنذهب الى المطبخ ونطلب
طعاماً . ملابسنا تدلل على الحشمة والاحترام. نوصي الخادمة ان
تقدم لنا الذ طعام،اقتربت منا احدى قريبات سيدة المنزل ... ولكن
عندما يموت احد ما فلا احد يستفهم عن صغائر الامور ... الان
تعد مائدة فطور كبيرة في الحديقة الشتوية.

اثناء الافطار ، حمل النعش الى الغرفة المجاورة. لمحناه من باب
الغرفة المفتوح .. مسحنا افواهنا بسرعة ووضعنا قبعتينا على
رأسينا ودلفنا الى الغرفة المجاورة هناك احتشد الجمع. تسللنا
قرب حلقة رجال النقالة حتى قاربنا التابوت «هل بأمكاننا فتح
التابوت لكي نلقي النظرة الاخيرة عليه؟» هتفت نبرة نسائية
حزينة... فتح التابوت. ارتفعت ولولة النساء... هتف احدهم حالاً
«ابشر ستحصل على لفاعة لأذنيك في عيد الميلاد» تهامس رجال
النقالة هذه البشرى بينهم كوعدٍ باكرامية مجزية سيحصلون عليها.
دخل منظم عملية الدفن الغرفة ... القى نظرة فاحصة على التابوت
«يجب ان يصلىْ عليه صلاة اخرى» قالها قول الواثق من نفسه
باعتباره المتخصص بمهنته واكمل «لئلا ينزلق المرحوم عندانزاله من
السلم.نرجو مساعدتنا بمسك التابوت جيدا عند حملة ايها السادة».

كنا نحن ـ الاثنين ـ نقف عند التابوت ، احدنا عند الرأس
والآخر عند القدمين.. انحنينا لنرفع الجثمان من التابوت،واحد في
المقدمة والاخر في المؤخرة. اثناء امساكنا بالجثمان نظر بعضنا الى
بعض لا ارادياً وابتسمنا ... الاخوان الثناني الراقص ؟ ..

ابتسمنا خفية،لا احد لاحظ علينا شيئاً. دقائق قليلة وضع الجثمان على حشية ثم ارجعناه الى داخل الصندوق مع الحشية. امسكت بجثة المرحوم جيداً ولن يزحف المرحوم بعد الان اثناء انزاله بالتابوت من السلم .. ارتفعت ولولة النساء عالياً السلم ضيق ويصبح اكثر ضيقا عند الحنية . لا يمكن ان يمرّ التابوت بكل طوله الى امام. منظم العملية اصدر امراً ، ورجال النقالة زمجروا واطلقوا الشتائم.. في نهاية الامر رفعوا التابوت الطويل الى أعلى . ارتفعت المؤخرة الى اعلى ونكس الرأس الى اسفل «اهكذا يحُمل التابوت»؟ زمجر المنظم وهو يلطم هامته ببطء «عدلوا وضع التابوت لترتفع جهة الرأس ثانية !» .

لو قدر لنا نضع انفسنا مكان المرحوم اذن لكاد يغمى علينا. حشرت العائلة نفسها في سيارة للاجرة وقفت في مقدمة الركب. ساعدنا رجال النقالة في حمل التابوت ووضعه على العربة السوداء. تحركت العربة السوداء.. كانت العربة تسير ببطء واتساق ينسجم مع سير الرتل. ثبت الرجال انفسهم ضمن رتلين واحداً تلو الآخر، هكذا ساروا خلف العربة السوداء.. نحن كنا آخر عنقودي الفرقة النقالة .. عشر قبعات تتأرجح يميناً وشمالاً.

قليل من الدهشة اصابنا. خلف جثمان غريب تسير البدلتان الرسميتان واحدة جنب الاخرى،واحد، اثنان، واحد، اثنان. مثل فصيل من الجنود صباح يوم مضبب .. نعم في معدتينا غذاء كافٍ وشكراً لبدلنا الرسمية. الرجال يحملون التابوت من العربة الى حفرة القبر على اكتافهم،شمالا من الخلف يميل التابوت قليلا . احد رجال النقالة في الخلف كان قصير القامة.. يلتمع التابوت الاسود بهيبة

وعلى جانبيه يقف اربعة رجال بالزي الاسود،ومثل جعل اسود ذي عاهة بساقيه المتينتين كان رجل النقالة الذي يقف في الخلف يساراً يسير مائلاً وهو يعرج بين القبور .

التابوت ثقيل جداً على الرجل القصير الذي يحمل على يسار الخلف. نلاحظ ان المسكين ينوء تحت عبئة فنخف لمساعدته في حمل التابوت.. حمداً ، الجعل الاسود المريض لا يعرج الان.

الدفن في الصباح الباكر يمنح بعض النشاط،التابوت بقي مفتوحاً في القبر.. القس وعظ بصوت رخيم : «ينبغي على المرء الايحزن،اجل من المؤكد عليه ان يفرح للموتى. ذلك لانهم انتقلوا الى عالم صادق انقى من عالمنا الذي نحن فيه !»

خلال خطبة القس ادار احد رجال النقالة نفسه الى الخلف. اختلس من جيب سترته الطويلة قطعة خبز عليها قليل من الزبد . ازدردها بعجالة. احتقن وجهه وهو يجاهد في بلعها .. كان البلع يحدث اصواتاً هادئة، تفوق هدوء كلمات القس الشاب. نحن نقف على حافة القبر.نحيب امرأة يرتفع عالياً،نظرنا اليها،المرأة الباكية حسنة الهندام. تضع منديلاً على وجهها. الان ابعدت المنديل عنه، مازالت شابة لاحظنا انها تولينا بعض الاهتمام.. بدلنا الرسمية انيقة جداً ونحن بها متميزون من الرجال الاخرين نحن اطول منهم قامة وقبعتانا تستقران على رأسينا بوضع اكثر اناقة وجمالاً من الاخرين. احسسنا بالمرأة الباكية تغازلنا بحذر ربما عن غير قصد .. لا اكيد لم نتوهم : ها هي بين الحين والحين تختلس نظرة من عينيها الدامعتين لنا نظرة الى احدنا ، وبعدها الى الاخر.

نحن نقف على حافة القبر .. نظرات المرأة اربكتنا،لم ننتبه

لاقدامنا وهي على حافة القبر. الحافة رخوة وقد بدأ رملها ينثال ويكاد يجر اقدامنا معه الى غيابة القبر. حمداً .. لقد مسك احد ذراعينا في الوقت المناسب. كان ذاك النقال القصير الذي ساعدناه في حمل التابوت . همس غاضباً «على المرء الا يقترب كثيرا من حافة القبر !».

الان اعطى منظم عملية الدفن الاشارة ..كتلك التي تعطى قبل بدء السباق . وحبكت الحبال ثم انزل التابوت الى الحفرة .. السيدة بكت الا انها لم تولول بصوت عالٍ هذه المرة ولم تمنحنا نظرة ايضاً. طلب الدفان من الجميع ان يرموا حفنة من التراب.. على التابوت داخل القبر،طلب منا ايضاً ان نرمي حفنة من التراب . قبض كل واحد منا حفنة من التراب وبصورة لا ارادية اخفى كلانا التراب في جيب السروال نحن لاصلة لنا بالمرحوم.. نحن نعتز بمبادئنا.

انتهت الطقوس.. انسل افراد العائلة والمعارف واحداً إثر الاخر معزّين بعضهم بعضاً .. تحرك رجال النقالة وهم يترنحون متثائبين مثرثرين. تقدم احدهم من أخر من بقي من العائلة متألماً محركاً اجفان عينيه . وضع كف يده على اذن الرجل وهمس: «أجور الدفن» .

اصطف رجال النقالة جنباً الى جنب،اخرج الوريث محفظته من جيبه . استعرضهم بمعطفه المسربل وكأنه جنرال امام جنده . كل واحد من رجال النقالة تسلم ورقة نقدية منه. كنا نقف في آخر الرهط وكأننا مدججون بالسلاح ستوضع بيد كل واحد منا ورقة نقدية ايضاً . حدجنا رجال النقالة بحقد : آه المنافسون! لقد اكتشفوا الامر متأخرين «دفن الميت يكلف غالياً » تحسر الوريث وهو يهمس

«او الاحرى ان الحزن يكلف اموالاً كثيرة».

وقفنا مترددين امام الباب. عدنا وحيدين ثانية . سرنا متئدي الخطى بجانب سور المقبرة حتى وصلنا الكنيسة.

تسكعنا في ساحة الكنيسة ثم ارتحنا على مصطبة،بعد ذلك قمنا ثانيـة. لانعـرف أيـة وجهـة نقصـد.. لا نعـرف ما نحن فاعلون..

بعد انتهاء طقوس الجنازة يذهب كلّ الى بيته. للورثة بيت جميل مفروش بسجاد سميك .. لكل رجلٍ من رجال النقالة مأوى،لهم زوجات وبيوت دافئة. نحن لا نملك ماً يملكون. لقد اصبحنا كالايتام المنبوذين في الاساطير لا سلوى لنا غير النقود التي حصلنا عليها من جنازة المرحوم.

أخيراً لذنا بالكنيسة . تصاعد صدىً ترتيل الاطفال اثناء القداس . طقس التعميد يجري بانتظام.. هيأ لنا أناس كثيرون مقاعد مناسبة. خفضنا ياقات الستر فبانت القمصان البيض لامعة. اننـا نرتـدي زيّ الافـراح لقـد عدونـا انسبـاء. تضـاعف صدى التراتيل ضعفين . ترتفع الالحان مرة وتنخفض مرة اخرى على كل الاوتار الموسيقة. اللذان يعمدان الان توأمان امامهما يوضع إناء التعميد. التوأمان يداً بيد.. وقفت الأم «أأنتما اولاد العمة فوبسكا من اميركا؟» نادتنا حالما رأتنا.

«أجل.. نحن..» كذبنا. كشفت الأم عن أسنانها وهي تقول : «لهـوت معكمـا عنـدما كنت طفلة في ساحة الملعب. حين توفى العم، هاجرت العمة وانتما بمعيتها الى امريكا.. كنتما في سن الخامسة، لا يمكن ان تتذكراني .. لقد كتبت لي العمة قبل اسبوعين واعلمتني بقدومكما نحونا.

«كيف حال العمة فوبسكا»؟
«حالها كالمعتاد، لا هي بالحسنة ولا بالسيئة» اجبناها .
«وهل اعجبتكما الحياة هناك؟»
«امريكا تبقى امريكا كما هي !» قلناها بصوت عالٍ وبوضوح. شكلّ الاقارب دائرة حولنا هتفت الام : «هما ولدا العمةً فوبسكا هاجرا معها الى امريكا منذ الخامسة»
صافحنا كل فرد منهم؛ هزّوا ايدينا بحرارة رابتين كتفينا «آه ، العمة فوبسكا ذات الشامة الحمراء . هتف بعضهم جاء القس. رجته الام: «عمد طفليّ رجاء انا ، لا استطيع الانتظار مدة أطول !»
امسك كلّ واحد منا بطفل. أخذ القس يرشّ عليهما الماء وكذلك أغرق بدلنا الرسمية بالمرش.. القى موعظة قصيرة هاتفاً : «ليس على المرء ان يفرح بهذين الطفلين البريئين فحسب بل ينبغي له ان يحزن بداخله كيف وبسرعة آجلاً ام عاجلاً ستتحول هذه البراءة الى ذنوب».
الوالدان اللذان قرآ الفرح في وجه الوليدين لم ينسيا الحزن الذي بالنتيجة سينطبع عليه.. كم من المفاجـآت، والآلام، والظلم الذي سيحيق بهما في هذه الحياة..
التوأمان بدءا فجأة بالصراخ بصوت عالٍ .. لم نستطع سماع الكلمات الاخيرة من مقولة القس. كنا نتابع فقط حركة شفتيه المقدستين . اجل لا يسمع المرء سوى الصراخ اخذنا نهز الطفلين يميناً شمالاً لاجل تهدئتهما ففشلنا..
وقفت الأم بيننا منكوسة الرأس.. اصبح للسعادة على وجه كلّ

واحد منا ظل ثقيل.
انتهى الحفل. اقترب منا احد الاقارب وهتف: «انتما ترافقاننا. هناك دعوة عشاء عائلية مختصرة»

احنينا رأسينا بالايجاب .دهشنا حين وجدنا أننا نهز الطفلين يميناً شمالاً باليدين نفسيهما اللتين كنا قبل ساعتين نهزّ بهما الموتى.

كان الغداء لذيذاً جداً ، منذ سنين لم نذق طعاماً شهياً كهذا. على المائدة تحدثنا بخيال خصب عن العمة وعن الحياة في الولايات المتحدة الامريكية. لم نر امريكا يوماً. لا امريكا ولا العمة فوبسكا. نحن هبطنا السلم باتزان سعيدين. كنا ثملين بعض الشيء القبعتان تستقران غير متوازنتين..

على السلم التقينا بشخصين وبقبعتين ايضاً:
«نحن الاخوان فوبسك» قال احدهم وأكمل «من امريكا»، سأل الاخر «الا يجري حفل لتعميد الاطفال في هذا المبنى؟»

«في الطابق الثالث يساراً» اجبنا بأدب..

ارتفعت اربع قبعات بالتحية وهرعنا الى الشارع مهرولين. عصراً كان الشارع يعج مفعماً بالحيوية.. منظرنا كان غير مألوف ونحن بلباس الفرح. هنا لم يعد ينفعنا هذا الزيّ بالقبعة،بل بالعكس صرنا اضحوكة. تلامذة المدارس جأروا بنا. طوينا القبعتين، فاخفيناهما في جيوبنا ثم أخرجنا منديلين من جيوبنا لففناهما حول ذراعينا وثبتناهما من الاسفل بدبوس نحن نادلان بهذا اضيفت ورطة الى سابقاته .. نادلان يعبران الشارع عصراً منظر مألوف..

دخلنا مطعماً . زبون يجلس بجانب النافذة اشار لنا بأصبعه «قائمة الحساب».سلمنا ورقة نقدية . مددنا يدنا في جيوبنا عثرنا على

الورقة النقدية التي حصلنا عليها بعد دفن الجنازة. تلعثمنا قليلاً.. «احتفظا بالباقي !» وضع الزبون يده وضغط على يدينا وبداخلها النقود . غادرنا المطعم فوراً . نحن محتالان؟ ولكن لايدّ لنا في الامر . رجل نادانا.

وهبنا نقوداً دون أن نطلب منه ذلك.. حقاً أنه خطأ الرجل الكريم. لكن الكثير من رجال الاعمال هؤلاء يكنزون الثروة بالتلاعب والمضاربة. لم نكن محتالين، بل إنه ذنب الزيّ الرسمي.

امام بناية بباب مفتوح واجهتها من الأجر الأحمر تقف عربة فارهة. رجال ونساء بالزي الرسمي، ببدلات مزوقة لمناسبات الفرح يقفون مجموعات متناثرة. بسرعة غير ملحوظة أخرجنا القبعتين ووضعناهما على رأسينا.. انه حفل عرس ونحن نقف امام محكمة شرعية حدثت جلبة. غادر العروسان بوابة البناية الحمراء. شكلّ الجميع رتلاً منتظماً . وقف بجانبنا أحد جمهور النظارّة الشعبية له شعر طويل وأنف عريض مفروش. بدأ يلعن الزواج. يذمّ ويشتم هامساً بأذن الآخرين : «يحتشد الناس بخبل حول اثنين لايخجلان من ان يسفرا أمام العالم كله عن علاقاتهما الجنسية المستقبلية»

ركب العروسان العربة الأولى.. عربة ناصعة البياض، لها ستائر مزخرفة من قماش «التول»، لايبدو عليها إنها عربة بل تبدو كأنها سرير بأعمدة.

استقل الضيوف السيارات الأخرى .. نحن نقف عند المؤخرة، جاء الينا أحد الخدم. اعتقد أننا أعضاء مقربين في هذا الحفل، هتف : «في السيارة الخامسة يوجد مكان شاغر !» استقللنا السيارة الخامسة . مرة أخرى نحن في أحدىٰ الكنائس.. الكنائس ومناسبات

الافـراح لهـمـا جاذبـيـة قويـة على بدلتـيـنـا الرسـمـيتـين..

العروسان يقفان أمام المذبح. العريس فارع الطول يقف بأقدام ثابتة أمام المذبح وكأنه حصان أمام معلف. والعروس ترتدي بدلة بيضاء من الرأس حتى القدم وطرحه محترمة يغطي قسم منها وجهها وينسرح قسمها الاخر وراء العروس كذيل الطاووس حتى لكأن العروس ملاك يطير وكأننا لسنا في الواقع سوى الرهط يقفون تحت السقف المزخرف بالتماثيل الرخامية.

نحن نقف عند خلف جانبي الرهط. نصغي لموعظة القس «ينبغي للاعـراس ألا تهـزّ الفـرحـة كلّ مشـاعرهم. كلا ينبغي البحث عن الحقيقة وجلائها. اية مسؤولية، أية خطيئة تحملها رغباتكم ستكون شاهداً عليكم. ليس هدفكم أن تكونوا سعداء فحسب بل ينبغي لـكم ان تكونوا تعساء، ذلك لأن السعادة لن تعمر الى الابد ولأن ساعة الفراق سرعان ما تدق في هذه الحياة» الخطيب اتم خطبته. العروس رددت كلمة «نعم» بخجل والعريس قالها بصوتٍ مدوٍ، انه متعكر فطقوس القس أفسدت مزاجه مع انه نادراً ما يفسد مَزاج المرء في حفلة الزواج.

ركبنا ثانية السيارة الخامسة يبدو ان موكب العرس كبير جداً اذ انتشرت أربع سيارات امام سيارتنا وخلفنا تسير حوالي عشرين سيارة. موكب العرس تلوىٰ كالثعبان ، سيارة خلف اخرى خلال شوارع المدينة،في مقدمة الموكب تتصدر العربة ذات الاعمدة الاربعة وهي تطلق زمـامـيرها. احدهم الحف بدعوتنا بحماس.. دخلنا صالة كبيرة في فندق كبير فخم.لم نكن نرغب.. اننا نستحي لكن عندما تحرك موكب الضيوف الذين هبطوا من السيارات جرفنا الجمع

الزاحف داخل البوابة.

نجلس الى مائدة هائلة ، طويلة جداً .. كل الاشياء عملاقة في هذا العرس، موكب السيارات، المائدة، العريس، البدل الرسمية الرجالية، ملابس ورموش النساء.

لم يطردنا احد. أقارب ومعارف العريس اعتبرونا من معارف واقارب العروس وبالعكس .. نور ابيض ساطع ، ساطع جداً هبط علينا من سقف الصالة، نور لانهايات له اضاء المكان كلهُ.

أصوات.. اصوات.. اصوات . اصوات الرجال المدوية، همسات النساء البريئة .. ضحكات وقهقهات عالية اهتزت لها القاعة، فرقعات سدادات القناني، نجلس متقاربين جنباً الى جنب.. نأكل ، ونلتذ بالطعام الذي لم يسبق لنا ان تناولناه في حياتنا من قبل، لا احد يمنعنا ، لا احد يفزعنا ما اكثرت بنا الا نفر قليل .. قد يوجد هناك من يتحدث عنا الا ان هناك من يتحاشانا ويمر بعيداً عنا .. نحن نأكل، ونأكل.

من وقت لآخر ترمي علينا بعض النساء نظرات واسعة من عيون واسعة سعة نوافذ الصالة . ومن خلف النظرات يختفي سواد الليل كلة. نحمل الكؤوس الواحد تلو الاخر ونشرب نخب العرس. بين الحين والحين يستدير احدهم منحنياً الى امام ثم يرفع قامته ممزقاً ستر دخان السجائر الكثيف .. يقف يحمل كأساً بيده ثم يلقي كلمة.

نحن نشرب.. نشرب في صحة اناس اغراب.. هكذا تجدنا سعداء ونحن نتطلع الى بدلتينا الرسميتين باحترام. تتحسسها ايدينا. برقة نبدأ بالسترة ثم ننثني الى السروال كما يمسّد المرء بيديه كلاب بير

نهاردينر التي انقذته. الان نحن في صالة اخرى اوسع من الاولى. الناس يدفعوننا الى الداخل وايديهم على اكتافنا . رفعوا الكلفة بيننا وبينهم في الكلام. خاطبونا باسماء مثل فيلكس او زيكفرد او فيكتور سألنا احدهم : «أهناك ادنى شك في ملاحة تانتيا هذا المساء»؟ تصمّ الاذان فجأة،انطلقت اصوات كابواق الحرب من افواه الالات الموسيقية . انها ابواق ، اصواتها نشاز.. صخب وضجيج في الصالة. الكل يرقص ونحن نحتسي النبيذ ومن ثم نرقص . واثناء الاستراحة نقرب كؤوس النبيذ من شفاهنا . ثم نعود للرقص ثانية.. الان نحن نراقص سيدات ثريات . وفي كل سنيّ العمر التي ذابت لم نستطع ولو مرة واحدة ان نراقص نساء فقيرات وحتى ولا مع اي امرأة رخيصة . لان نحن نراقص الثريات غاليات الاثمان يصرخ الثراء وغلاء الثمن عالياً منهن .. يصرخ من ثيابهن المطرزة بالفضة والذهب.. من روائح العطور المخدرة العابقة. من المساحيق والدهون التي تجمل الوجوه..

اننا راقصان بارعان تعلمنا الرقص في الفرقة، بدلتانا لا عيب فيهما. نحن نرقص . وتغلق النساء بين أذرعنا اجفانهن وهن يلتصقن بنا من افواههن تشع الحرارة ، وتفوح رائحة الكحول.. فوق رؤوس الراقصين تحلق سحب من الدخان ويمتلىء الجو برائحة الكحول لقد ثملنا. نحن نقف وسط الصالة. وقد خلت حلبة الرقص. وجدنا انفسنا وحيدين وسط الحلبة. النساء والرجال عادوا الى مقاعدهم .. سيدان بالزي الرسمي.. رجال ونساء يتحلقون حولنا يقفون مجاميع ويتطلعون الينا... كثير من الرجال يعلقون وروداً بيضاً في ياقات سترهم. نحن نبحث في جيوب سترتينا فلا نجد

سوى فرشتي الاسنان نغرزهما في ثقب زر السترة. الكل ابتسم لنا . فجأة انير المكان كلة . عزفت الفرقة الموسيقية سلاما للعروسين . وبعدها عزفت لحناً مدوياً في ايقاع حادٍ سريع دبت البرودة في ارجلنا فبدأت ترتجف. نرقص وحيدين وسط الحلبة الكبيرة. في الدقائق الاولى لم نحتج الى مساعدة احد، بعد ذلك اصبحنا بأمس الحاجة اليها. ندق الأرض بأطراف الحذاء مع ايقاع الموسيقى. اصبحت كلّ حركاتنا منسجمة. اصبحنا كذراعي التوصيل في القاطرة. إننا نمسك انفسنا بأيدينا. أقدامنا تستذكر أيام التدريب الأولى. الضرب على الأرضية الخشبية أحدث إيقاعاً. والايقاع اصبح رتيباً. خمس مرات..بينما كنا لانحتاج في الفرقة الى اكثر من أربع دقات.. هذا من تأثير الكحول. والآن تصاعد الى ست أو سبع مرات.

فجأة ساد الهدوء. في النهاية ارتعدت عظامنا فجأة. وقفنا دون حركة وحيدين في حلبة الرقص يداً بيد.

عصف تصفيق حاد في الصالة. أيدي الرجال قوية وشديدة. التصفيق أطرب النساء. أثارهن بسرعة. اهتجن ثم ضعفن. واستمر التصفيق بلا نهاية . حفلات الزواج يكون مجتمعها المخمور قليل الطلبات.. نحن ننحني احتراماً مرات ومرات..

الأخوان الراقصان؟ المظهر الأنيق الجذاب؟ محبوبا الجماهير؟ قلوب البعض اشفقت عطفاً وحناناً على أرضية الحلبة.. الراقصون يجاملوننا. نحن كنا في سورة المزاج السعيد. رقصتنا التالية مع الحماتين.. انهما مجتمعتان في زاوية: واحدة ترتدي ثوباً أزرق فاتحاً، الاخرى ترتدي ثوباً وردياً إنهما يتبادلان المعلومات عن

محاسن العروسين.

وفي يد كل واحدة منهما ذيل من شعر الكلاب الناعم الذي لم يستقر من كثرة الاهتزاز.. الاثنتان انحنتا لنا. كلّ واحد منا ضمَ واحدة منهما. أحدهم هتف: «رائع..!» وخلال الرقص ربتت السيدتان اكتافنا المحشوة ومن ثم على الوجنات. نحن نراقص الحماتين بشكل حلزوني. وهما تزمران من شدة الضحك. انهما ما زالتا شابتين.. نحن نقودهما ضمن دائرة.. نحن نحملهما مروراً بالراقصين. نرقص بسرعة وندور ضمن حلقة. غاب الضحك عن وجهيهما بدا عليهما التعب وعدم الراحة. العرق ينزّ من جلديهما ويحفر شقوقاً في زينة وجناتهما. تلاحقت انفاسهما بصعوبة. لم نعد نعبأ بشيء، نحن كنا مخمورين. كنا نراقصهما بلا تعاطف.

عندما تقابلنا في الحلبة وجهاً لوجه وكل واحد منا يراقص احدى الحماتين التقت نظراتنا. وبقي كل منا ملتصقاً بمرافقته.

اليوم في السابعة صباحاً كان المرء منا يحتضن وسادة خالية، والآن بدلاً من ذلك نحتضن ليلاً حماتين تسحبان انفاسهما بجهد..

فجأة اصبحنا ثملين متعتعين. رقصنا كثيرا واصبحت خطواتنا مشلولة. نزعنا النير عن اكتافنا. هجرنا رفيقتينا في حلبة الرقص بلا كلمة اعتذار شققنا طريقاً لنا. سلكناها ونحن نمشي ونستدير متطلعين الى الخلف، الى رفيقتينا في الحلبة.

وسط حلبة الرقص خلفنا راقصتين عجوزتين تجهد كل منهما في حمل صدر متهدل كبير يرتفع ويهبط بارتجاج. نظرتا الينا نظرات غاضبة مخيفة متوعدة تنذر بالانتقام.. كانتا كحيوانين هرمين: واحد

بلون وردي وآخر بلون أزرق..

أحد الخدم فتح أمامنا باب الصالة وبسط كفه فوضعنا فيها نقوداً. عامل في غرفة الملابس جلب لنا قبعتنا فمنحناه اكرامية أخرى نظف لنا ظهرينا بالفرشة بلا داعٍ. لا ندري لمَ يحتاج أمرؤ عائد الى بيته الى تنظيف ظهره بالفرشة؟ منحناه «اكرامية» ايضاً. مررنا أمام عامل الاستعلامات مهرجين، كنا نبصر وجهه مضبباً لشدة سكرنا، الظاهر أنه كان جريئاً في طلب الاكرامية. بسط كفه باتساع أمامنا ومنحناه «الاكرامية».. منحناهم كلّ النقود. والآن عدنا لا نملك فلساً.

ربما أسرفنا في كرمنا اكثر مما يجب. انحنى العامل بشكل مبالغ فيه ملحوظ. بالنسبة لنا لم يعد الأمر مهماً.

نحن نترنح أمام واجهة الفندق في ظلام الليل.. لماذا يعود المرء الى البيت ! اذا كانت اكتافه وظهره قد نظفت بالفرشة؟.. أهو! الذهاب الى البيت؟ هذا لو كان هناك بيت. لم يعد لنا بيت..

نحن على أحد الجسور. أوه، يالحلكة الظلام! نحن مخموران في أفواهنا طعم المرارة وفي صدورنا آلام مبرحة. نبحث في جيوبنا. لا نقود لا شيء سوى الرمل فقط. الرمل الذي كان يجب علينا رميه على الجثمان اثناء دفنه.. نحن لا ندري، أين ننام ؟

اتكأنا على سياج الجسر. جلّدتنا برودة الماء الاسود وهو يتموج ببطء، ثقيل وغامق كالزيت. زري منظره.. ماذا لو قفزنا فيه معاً.

أوه ياله من منظر سخيف مثل قماطة تسقط في الماء. أحسسنا بأنه يجب علينا أن نضحك عندما نقفز من الجسر الى الماء. ذلك لأننا مرة عندما كنا صغاراً قفزنا من خشبة القفز الى الماء جنباً الى

جنب. من اعلى خشبة اثناء القفزة حدقنا الى وجوه بعضنا البعض. وقهقهنا..

هذه المـرة قادتنا بدلتانا الرسميتان الى العزة والمجد. لقد زججنا أنفسنا بإجتماع سياسي. اعتبرونا من الوجهاء ذوي المناصب الرفيعة بسبب اناقتنا. طلب منا أن نلقي خطبة حول نظام الحكم. وقفنا على المنصة. تحدثنا بصوت واحد.. كلمة أثر كلمة. تحدثنا بصوت جهوري. كان ذلك واضحاً في الهدوء الذي ساد جو الاجتماع.. لم يردد أحد بعدنا كتلميذي مدرسة يقرآن قصيدة معاً. في الختام صفق الجميع لنا بقوة. الرجال صفقوا بقوة وثبات والنساء اللائي كن بين المجتمعين صفقن ايضاً ولكن بتوتر وهدوء. انتخبونا، أحدنا مستشاراً، والآخر وزيراً. لقد صنع منا زيناالرسمي قادة للحكم..! كلّ واحد منا تقلد وشاحاً سميكاً ملوناً وضع على قميصه فوق صدره رمزاً للمنصب السامي.. واحد بلون أزرق فاتح والآخر باللون الوردي.

نحن نتربع جنباً الى جنب على سدة الحكم، على المكتب الأسود الكبير البراق. نسجل نداءً الى الشعب. ما سبب ميل المكتب الى الخلف؟ نحن ندقق جيداً، أوه أنه ليس مكتباً. انه تابوت منحرف من يسار الخلف. نحن نهبّ.. كنا نحلم.. نحن نعرج متكئين على بعضنا كالمشلولين الى دكة الكنيسة. قبلاً قادنا القدر الى الكنيسة وها نحن مرة اخرى ثملان أمام أخرى.

أدرنا رأسينا ببطء. اصحبنا وجهاً لوجه. خلال الظلام حدق بعضنــا الى بعض عن قرب.. وجه ذابل. النوم بفم مغلق حالة تدعو للرثاء. الانف محصور بين الوجنتين كالسهم نابت في هدفه.

راقب بعضنا بعضا بكراهية. الآن احدنا لايطيق الآخر، لاشيء، اثنان كانا مشدودين بعضاً لبعض متعايشين لعمر طويل والآن ليس بامكان الألفة والحب أن يقيما بينهما؟

انه لمنظر مقزز أن نجد أنفسنا وسط حلكة الظلام قابعين على دكة كنيسة. أكيد لا يمكننا الاستمرار هكذا. لقد مات أحدنا فمات الآخر. احساسات بعضنا نحو بعض لم تعد مفهومة.

بدا شباك الكنيسة المظلم الضيق كمعزف للنفخ.

من خلال زجاج النافذة اصبحت الأيقونة الملونة للسيدة العذراء (المادونا) تظهر بوضوح.. لقد أسفر الفجر.. ارتعدنا من البرد. فيلسوفان بالزيّ الرسمي ينتبذان دكة الكنيسة.. يصبح المرء فيلسوفا من حيث لا يدري عندما يجلس على دكة كنيسة أول الغبش في يوم بارد. وعندما لا يعلم أين سيأوي الليلة القادمة، وحين لا يجد شيئا في جيوبه سوى فرشة للاسنان وحفنة رمل تبقت من دفن الموتى.

تمددنا رأساً لرأس. سقطت القبعتان على الارض. الصدى دوىٰ رهيباً في جوف الظل الصامت مقوساً كالخط الغوطي.

سوف ننام ثانية ننتظر بزوغ النهار.. أكيد سوف يقام هنا قداس للموتى أو حفل زفاف أو قد يحصلان على فرصة للكسب أو امكانية للعمل في معامل تصنيع الغذاء، نحن ننتظر كمن ينتظر في صالة الانتظار في محطة للقطار، كمن ينتظر قطار الصباح. عند الصباح سنستعيد هدوءنا. سنصبح اكثر هدوءاً. فنحن نمتلك بدلتين رسميتين. اجل اننا اثنان بالزي الرسمي.. ربما سنعيش اياماً افضل ثانية.... آه لو ظلت..

السيدة العذراء، ماريا جميلة شفافة كما هي الحال هنا ـ فوقنا ـ
مطلة من النافذة الطويلة..
نحن ننام الآن..



## كريستوف ميكل (١٩٣٥)

ولد ميكل عام ١٩٣٥ في مدينة برلين. درس الشعر والادب في جامعة ميونيخ وفرايبورك. ثم درس فني الرسم والكرافيك تنقل بين زودبادن واوتولنكن وفي اوربا كافة. وكان يتمتع بمواهب عدة أبرزها كتابة القصة والشعر وفن الكرافيك.

# المخلوقات الباكية

كتب أحدهم:

نحن لم نرهم مطلقاً منذ اسابيع. لقد ذهبوا كما جاءوا دون أن يخلفوا لنا كلمة..

عرفنا ذلك.. أحسسنا غيابهم من الأباريق التي وضعناها أمام أبواب البيوت، فظلّت فارغة جافة.

حين تخلفـوا عن الحضـور اول مرة لم يشغـل تفكـيرنـا ذلك الغياب. لم يكن أمرهم بادىء بدء يعنينا.

لا احد يعرف كيف يعيشون، فنحن لم نرهم مرة يأكلون.. دائماً أظهروا لنا الألفة. وكانوا يحومون حول أنفسهم كما لو كانوا عمياً أو كما لو كانوا لايحدّون أنفسهم بحدود، لا اتجاهنا، ولا اتجاه كلّ شيء يعود لنا..

كيف اهتدوا الينا اذن، ان كانوا لا يستطيعون شمّ رائحتنا؟

لقد شاهدت واحداً منهم... كانوا كثيرين.. اعداد غفيرة تقدر بعشرات «الدزينات» في منطقتنا. لم يرهم أحد في أيّ صقع آخر، أو ربما حتىٰ عندكم؟

واحد منهم سار عابراً أحد المروج ثم اصطدم بشجرة. راح يتفحص الشجرة بدهشة ثم دقق فيها طويلاً.. حاول ثانية أن يمرّ من خلالها وعندما لم ينجح، دار بلامبالاة حولها ثم سار..

لهم ثلاثة أطراف: اثنتان من الخلف، وواحدة من الامام. كانت جلودهم سوداً يكسوها الزغب. حجم اجسامهم اكبر قليلاً من حجم الثعالب.. هل بامكانك أن تتصور هذا؟ كانوا يعلو هاماتهم ورمان كبيران على شكل كيسين، عليهما تستقر العينان.. واحتمال بأن هذين الكيسين يحويان الدموع.. كانت الدموع تذرف دائماً خاصة عندما يكونون نياماً.. كانوا يتخذون أيّ مكان يريحون فيه مهجعاً. إما في الممرات، أو بجانب أباريق الدموع.. اختيار المكان متروك لهم..

حين يفيقون فجأة ـ وهم في حفرهم ـ يرفعون اجسادهم الى الأعلىٰ. ينكثونها، ثم يلحسون جلودهم الندية بعد ذلك . يبتعدون بضع خطوات ليتخذوا أماكن لهجوعهم الجديد..

في باديء الأمر اكتشفنا آثار الدموع في الغابة، تساءلنا:من حمل الماء وسكبه هنا، ولماذا؟

في الغابة برك كثيرة ونهيرات. الغابة لاتحتاج أن تسقىٰ. فلماذا، ومَن سكب الماء؟

بعد فترة أبصرنا واحداً منهم، عبر الطريق أمامنا.. لم يكن هارباً منا.. لم تكن خطواته بالعجولة ولا بالمتريثة.. لم يتوقف ولم ينظر لنا. كان رأسه محنياً للارض وهو يعبر الطريق.

تطلعنا اليه وتحدثنا عنه كثيراً،مساءً احتشدنا جميعاً أمام الابواب، وتحدثنا عنهم، وعن ذلك المخلوق الدامع. بعد ذلك لم نعد نفكر بهم كثيراً.اصبح وجودهم مألوفاً لنا، كما لو كنا نتحدث احياناً عن القطط لان الكثير منها مألوف في بيوتنا.. ثم قلّ حديثنا عنهم لأنهم ما كانوا يعنوننا كثيراً..

حدث مرة ان اقتربوا ووقفوا أمام أبوابنا دون أن يتطلعوا الينا.. كان صوت شخيرهم مسموعاً بالكاد إلا أنه كان مكروهاً نشازاً.. عافوا كلّ ما رمينا لهم من طعام. ثم قدحت في فكر أحدنا فكرة: أن نضع أمامهم قدوراً، هذا ما كان علينا أن نفعله من قبل.. تقدموا باتجاه القدور، ووضعوا رؤوسهم فيها، وذرفوا فيها الدموع حتى امتلأت. تركوها عائدين والدموع تنسكب مدراراً على الأرض مخلفة آثاراً غامقة.

هل بامكـانـك ان تتخيـل منـظرهم على الرغم من انـك لم ترهم؟ جعلنا من منظرهم هذا سلوىً لنا. وضعنا الأباريق والصفائح والطشوت والجرار والقدور لجمع الدموع ثم وجدناها مترعة عند الصباح..

كان ماء الدموع عديم اللون كبقية المياه إلا أن رائحة غريبة كانت تفوح منه لا هي بالعطرة ولا بالنتنة.

حين سكبنا مياه الدموع في حفر الارض عافته حيواناتنا ولم تشربه ولم نستسغ نحن شربه ايضاً، ولم نستفد منه لأي غرض؛ فظل فائضاً عن الحاجة.

لم يكن اولئك المخلوقات يبكون ولا يولولون ولا تبدو عليهم الشكوى من شيء.. كانوا يذرفون الدموع دون نحيب، وربما دون سبب معين.. نحـن لا نـدري اذا كانــوا يعـانـون من همــوم معـيـنــة ولـذا تركوا الدمع يذرف بلا نهاية . كان الامر بالنسبة لنا غير ذي اهمية ايضاً، فيما لو كانت عندهم هموم أو لم تكن ذلك لأنهم لم يتكلموا ولم يعوا أو يسمعوا كلماتنا . كلّ ما كانوا يفعلونه هو أنهم يجيئون كلّ ليلة بانتظام ليملأوا الأباريق، ويشخروا بصوت خافت غير

مسموع دليلاً علىٰ القناعة والرضا.

رحلوا .. اباريقنا ظلت فارغة منذ أسابيع ولذا فقد كففنا عن وضعها امام الابواب،لم يعد أحد منا يراهم، أو يقابلهم وجهاً لوجه..

طفقنا نسأل أنفسنا: الى اين راحوا، ما الذي حصل لهم؛ و اذا كان بالامكان ان يحصل لهم أمر أطلاقاً..

ماذا كان بامكان المرء فعله حسب رأيك؟ أينبغي علىٰ المرء أن ينسىٰ؟

عاشوا فترة هنا ثم غابوا؛ هل تعتقد أن هناك مبرراً لكي نحفظهم في ذاكرتنا؟ لقد سكبنا ماء الدمع ذاك ولم تبق منه قطرة واحدة الآن.. كان من الأفضل لو أننا احتفظنا به او بشيء منه في الاقل . ربما كانت فيه خواص نحن لا نعرف سرّها. نحن لم نصطد واحداً منهم أو نقتله أو حتى نجرب ان نأكله..

كلّ ما تبقى لنا هو أن نتحدث.. ونتحدث عنهم باسهاب لقد رحلوا. أردت أن أدون هذا.. ان اكتب لك عنهم، عن سلوكياتهم وحركاتهم في اقبالهم وادبارهم..

ومن هنا أعلن ذلك مؤكداً أنهم كانوا هنا يوماً.. اكتب هذا لكي تقرأ ولا يهمني ان احتفظت بهذه او رميتها. ماذا بوسع المرء أن يفعل امام حالة كهذه؟

اكتب لي ان خطر لك امر او كانت لك الرغبة ان تشغل جزءاً من فكرك بهم، على الرغم من انهم لم يعودوا موجودين هنا..»



## آرثر شنتسلر (١٨٦٢ - ١٩٣١)

ولد شنتسلر في عام (١٨٦٢) في ڤينا . درس الطب وعمل طبيباً في مستشفى والده . اشتهر بأعماله الادبية المسرحية والروائية والقصصية ، وكتب الشعر ايضاً . ومن أشهر قصصه التي كتبها في عام ١٨٩٧ «امرأة الحكيم» .

# امرأة الحكيم

هنا سأمكث فترة اطول .. يخيم سأم فوق سماء البقاع التي تنحصر بين البحر والغابة ، ويطبق اكتئاب مما يريح اعصابي المتوترة .. كل شيء هادىء وعديم الحركة هنا عدا سحب بيض تتحرك ببطء ، بينما تداعب الريح الامواج في صعودها ونزولها من غير ان تحفّ بالاشجار او تجعل البحر هائجاً ..

هنا تطبق عزلة تامة يحس بها المرء دائما حتى لو كان بين جمع غفير.وسواء أكان المرء في الفندق ام في المتنزه حيث فرقة موسيقى المصحات تعزف الحاناً سويدية ودنماركية رومانسية وحتى لو كانت فيها الحان راقصة فهي هادئة رتيبة . وحين تنتهي الفرقة من تقديم الوصلات الغنائية والموسيقية يتسلل أعضاؤها بصمت الى سلم صغير يؤدي الى كشك لبيع السجائر والمرطبات ثم يختفون بهدوء وحزن حاملين آلاتهم الموسيقية في طريق مشجر عريض ..

أكتب في ورقة ، وأنا في زورق ، ينقاد نحو الساحل .. الساحل وسخ ومخضر وبيوت بسيطة ذات حدائق صغيرة تطل منها دكات يداعبها الماء .

خلف الدور يمتد شارع ابيض ذلك هو طريق الغابة الوحيد الممتد الى البلدة حيث يرتفع تدريجيا .. هناك حيث ينتهي الطريق تقف الشمس وهي تبسط اشعتها الصفراء وقت الاصيل على الجزيرة

الطويلة الضيقة .

قال المجدف ، يستطيع المرء الوصول الى هناك في بحر ساعتين . انا اود لو اكون مرة هناك . لكن المرء هنا يكون مقيداً بشكل غريب حيث يعيش دائما في محيط صغير ، الأحبّ اليّ اما أن أكون على الساحل وإما في شرفتي.

أضطجع تحت أشجار الزان حيث ساعات العصر الثقيلة التي تضغط على الاغصان فتجعلها تتدلى الى الاسفل .. بين حين وآخر أنصت الى خطوات البشر الذين يجوبون طريق الغابة ؛ لكنني لا أبصرهم لانني لا أحرك نفسي، وعيناي مسمرتان بالافق .. أنصت ايضاً الى كركرات الاطفال الصافية لكن الهدوء المنتشر حولي يمتص كل تلك الاصوات بسرعة . ولا تعبر اللحظة مسافتها حتى يكون كل شيء وكأنه ذاب وانتهى من زمن سحيق .. وحين أغلق عيني ثم افتحهما أحسّ كأنني أفيق بعد ليل طويل . هكذا أحسّ كأنني أنفلت واصبح جزءاً من الطبيعة أطوف في الهدوء المنتشر حولي .. لقد رحل الهدوء والسكون ولن يعودا ثانية ، لا في الزورق فحسب بل تحت اشجار الزان ايضاً .. كل شيء قد تغير دفعة واحدة . ألحان الفرقة الموسيقية اصبحت اكثر حرارة وفرحاً ، الناس الذين يمرون امامي اخذوا يتحدثون اكثر، الاطفال صاروا يضجّون ضحكاً وزعيقاً .. البحر الهادىء الساكن والذي ظل صامتا صار يصفع الساحل بأمواجه التي تنشر الفزع والاضطراب في السكون المخيم .

بدأت الحياة تصفو لي ثانية .. لم اغادر البيت يوماً بهذه السهولة . ولم اترك ورائي شيئاً يؤسف عليه . لقد عملت بنصيحة طبيبي ، بأن أواري احلامي واوهامي التي رافقتني رحلة شبابي .

كما ان صديقتي جيني قد تزوجت الساعاتي ، ولذا فقد حالفني الحظ على أن اقوم برحلة دون أن أترك حبيبة تنتظر ، ولا اصطحب أوهاماً معي . لقد قررت أن اسدل ستاراً على الماضي وذلك بسبب وجود فريدريكا هناك .

مساءً في شرفتي ، جلست الى المنضدة . اشعلت المصباح وبدأت اكتب . حان الوقت لكي اكون واضحاً أمام الجميع . أنا أدون اللقاء الأول معك بعد سبع سنوات ، ساعة بعد ساعة ..

كان ذلك على الساحل وقت الظهيرة وكنت جالساً على دكة . بعد لحظات مرّ اناس من امامي . ثم وقفت هناك على الجسر امرأة ومعها ولد بعيداً حيث لم يكن بصري قادراً على تمييز ملامحها . لم تثر اهتمامي ذلك لانني لا اعرف شيئاً عنها سوى أنها لبثت هناك فترة . بعد أن عبرت الجسر واقتربت مني خطوة ، خطوة ارسلت ولدها ليقبل يدي .. حينئذٍ ابصرتها بوضوح . كانت شابة رشيقة ووجهها لم يكن غريباً عني .

اقتربت مني مسافة عشر خطوات فنهضت مسرعاً وتقدمت منها . ابتسمت فعرفت تلك المرأة .

«نعم . أنا هي» هتفت بذلك ثم مدّت يدها لي .

قلت «لقد عرفتك فوراً»

«آمل ألا يكون الأمر قد اتعبك» ثم أردفت قائلة «ثم إنك كما كنت عليه ، لم يطرأ أيّ تغيير عليك»

«سبع سنوات .. «هتفت قائلاً».

أنزلت رأسها وغمغمت «سبع سنوات ..»

خيم الصمت علينا . كانت فاتنة جداً تعلو وجهها ابتسامة الآن.

التفتت الى الصبي وهي ممسكة بيده ثم قالت :
«مد يدك لمصافحة السيد !» مدّ الصبي يده وصافحني لكنه لم يرفع عينه الى وجهي .
«هذا هو ولدي» قالت لي .
كان اسمر جميلاً ، وله عينان فاتحتا اللون .
«شيء جميل أن نلتقي ثانية على درب الحياة» بدأت هي قائلة «انني لم اتوقع يوماً ..»
قلت لها : «هذا نادر جداً»
«لمَ؟» سألتني مبتسمة وهي تحدق في عيني أول مرة « انه الصيف والرحلات السياحية كثيرة ، أتعتقدين ..» وحالاً خطر ببالي أن اسألها عن زوجها لكن شفتي تعطلتا عن الكلام ولم اكن لأرغب ان أدعها تسهب في الكلام .
سألتها «كم ستطول أقامتك هنا ؟»
«أربعة عشر يوماً، ثم نلتقي معاً بزوجي في كوبنهاكن»
نظرت اليها بلحظ خاطف ، ادركت من خلاله أنني استوعبت جوابها« ربما أثار ذلك عجبها»
شعرت ساعتها بأنني مهزوز ، غير واثق بموقفي ، أكاد أفقد السيطرة على اعصابي .
لقد بدا عليّ فجأة ان بامكان المرء أن ينسى من الأشياء كثيراً .
وحالاً لاحظت بأنني لم أفكر في كل جزئيات الساعات التي مرت قبل سبع سنوات الا بالقليل الضئيل وحتى اصبحت أحس كأنني لم اعش ولا ساعة واحدة منها .. «أكيد انك ستخبرني بالمزيد عنك» قالت لي عائدة الى البداية . وأردفت «.. الكثير ، الكثير ... أكيد .

أأصبحت منذ مدة طويلة طبيباً ؟»

«ليس منذ مدة طويلة . بل منذ شهر واحد لا اكثر» .

«لكنك تبدو شاباً ، وما زلت تحتفظ بوجهك الطفولي . شاربك يبدو كما لو كان ملصقاً» قالت لي .

من الفندق سمع صوت جرس الطعام يدقّ ..

«الى اللقاء» هتفت فوراً ، وكأنها كانت تنتظر صوت الجرس .

سألتها «أيمكننا ان نذهب معاً ؟»

«انا اتناول الطعام مع الصبي في غرفتي ولا أحبذ ان أكون دائماً بين الناس» .

«متى سنلتقي ؟»

ادارت عينيها نحو المتنزه مبتسمة . ثم قالت : «على المرء هنا ان يلتقي بالاخرين كثيرا» وحين لاحظت امتعاضي من جوابها ، اردفت قائلة : «وبصورة خاصة عندما تكون لدى المرء الرغبة .. الى اللقاء !» مدت يدها لتودعني ، وهذه المرة من غير ان تنظر اليّ . وابتعدت . ولكن الصبي ادار رأسه الى الخلف وكأنه يودعني .

انتظرت ساعات العصر وحتى المساء في المتنزه حتى رسمت في ذهني صورة كاملة واضحة عنه . لكنها لم تحضر . وفي النهاية فكرت : هل رحلت ثانية ؟ وما كان ينبغي عليّ ان اندهش من هذا .

ومرّ يوم كامل لم أرها خلاله . لقد هطل المطر طيلة ساعات الصباح حتى الظهر . ولم يكن في المتنزه غيري . تسكعت عدة مرات امام الدار التي تسكنها ، لكني لم اهتد لشباك غرفتها . وتوقف المطر عن التهطال في ساعة متأخرة من العصر . سرت وشارع البحر ، قطعته كله حتى وصلت الى مكان آخر .. كان الجو رطباً والارض

وحلة . وفي الطريق لم استطع ان افكر في شيء سوى ذلك الوقت . كل شيء مرّ امامي بكلّ وضوح : البيت الغريب الذي سكنت فيه ، والحديقة الصغيرة بكراسيها ، والمنضدة المطلية باللون الاخضر ، ثم المدينة الصغيرة بشوارعها البيض حيث من بعيد تشاهد الهضاب تستحم بالضباب . ومن خلال هذا تطل من السماء نافذة زرقاء شاحبة ؛ وكأنها تؤكد على ان السماء كلها شاحبة زرقاء . وكذلك لاحت امامي وجوه الناس : زملائي في الدراسة ، والمدرسين ، وزوج فريدريكا ايضا . لقد رأيته متغيرا عما كان يبدو عليه كلّ آن ؛ لقد شاهدته متعبا ووجهه شاحب .. كما كان مع زملائه يحيي الفتيان في طريق عودتهم من المدرسة وهم يحيونهم فرحين مبتهجين . وكما كان يجلس بيني وبين فريدريكا على مائدة الطعام . كان صامتا معظم الوقت . اراه كما كنت اشاهده من خلال النافذة في الحديقة امام المنضدة الخضراء وهو يصحح كراريس التلاميذ . تذكرت عندما كانت فريدريكا تأتيه بفنجان القهوة في الحديقة وقت العصر ، ومن ثم تتطلع الى نافذتي مبتسمة ، بنظرة لم اكن افهمها في حينه ، وحتى الساعات الاخيرة .. والآن عرفت بأنني راجعت نفسي عن حساب كل الاشياء التي في حياتي وكأنها لم تكن اشياء حية ملموسة ، بل كأنها مرسومة في صورة معلقة على حائط البيت يخيم عليها السكينة والسلام .

جلسنا اليوم معا على الساحل ، وتحدثنا كالغرباء احاديث شتى .. كان الصبي يلهو تحت اقدامنا بالرمل والحجارة . لم يكن جو الحديث يعني شيئا سوى اننا نجهد في احتمال بعضنا بعضاً : كما لو كنا انسانين تقابلا صدفة في متنزه لا يهمهما سوى تزجية

الوقت بالحديث في مواضيع عن الجو والمكان والناس ، وايضاً عن الموسيقى وعن الجديد في المكتبة . وعندما كنت جالسا معها لم اشعر بعدم اللياقة هذا مني إلا عندما نهضت مودعة . غزاني شعور ثقيل .. لو كان بالامكان لناديتها . اتركي شيئاً هنا ، وحتى لو سمعت ندائي لما استطاعت فهم قصدي ، وحتى لو فكرت مليا بطلبي ، وما الذي اتوقعه ! اعتقد بأن سبب كونها لطيفة معي ، اثناء لقائنا الاول ، يعود الى عنصر المفاجأة ؛ وربما يعود الى الشعور الذي يصاحب المرء عندما يلتقي معارفه القدامى في مكان غريب ، أو لكونه منحها الفرصة الكافية لكي تتذكر كل شيء عن الماضي ، كما فعلت انا ، والذي كانت تأمل دوما نسيانه . وان تعود الى تلك الذكرى بقوة واندفاع . انني لا استطيع ان اقدر حجم المعاناة التي سببتها لها ، وربما ما فتئت حتى اليوم تعاني بسببي . بقاؤها معه حتى اليوم اجده امراً جيداً ، ويبقى أمر كونها منسجمة معه وتحبه ، لكن الصبي ذا السنين الاربع هو خير دليل على ذلك ، نعم ، باستطاعة المرء ان ينسجم دون ان يسامح ، وبإمكانه ان يسامح دون ان ينسى .. كان المفروض علي ان اختفي من حياتها . وكان ذلك الافضل لنا كلينا .

في خلوة مبرحة عذبة خطرت ببالي احداث عام كامل وعشتها كأنها احداث جديدة حتى بتفاصيلها الثانوية .. اذكر صباح يوم خريفي ، وقد كان ابي يرافقني الى المدينة الصغيرة التي خطط لي ان أكمل سنة الدراسة الاعدادية فيها . شاهدت بناية المدرسة واضحة امامي وسط المتنزه بأشجارها الكبيرة السامقة . واذكر ايضا دراستي الهادئة في تلك الصفوف الجميلة ، وايضا تلك الاحاديث

السعيدة عن مستقبلي الذي ناقشته مع مدرسي حين ظهر على وجه فريدريكا الابتسامة.وايضاً النزهات التي قمت بها مع زملائي حيث جبنا القرى المجاورة .. حتى التفاهات ترسبت في أعماقي وكأنها تعني كلّ شبابي . واحتمال أن تلك الايام ستحتجب في بئر النسيان العميق لو لم يقع عليها بريق تلك الساعة الاخيرة فيعيدها الى الذاكرة . ثم ان الاهم والجدير بالملاحظة هو انني منذ ان اقتربت فريدريكا مني اقتربت اكثر من كل تلك الايام الخوالي في شهر مايس . في ذلك الوقت كنت قد احببت الآنسة جيني التي تزوجت من الساعاتي في حزيران .

اليوم عند الصباح الباكر وانا اطلُّ من نافذتي من على الشرفة على الحديقة ، شاهدت فريدريكا وولدها يتناولان طعام الفطور . كانا من اوائل النزلاء في الحديقة . وكانت طاولة الافطار تحت شرفة غرفتي . ناديتهما بصوت عالٍ ، حدقت الى الاعلى ثم قالت : «اراك مبكرا هذا الصباح ؟ الا ترغب في ان تنظم الينا ؟» .

في الدقائق اللاحقة كنت جالسا معهم .. كان صباحاً رائعاً ، بارداً مشمساً خضنا في احاديث عامة شتى كما في المرة الاخيرة إلا ان مسار الاحاديث تغير بعض الشيء . خلف مفرداتنا كانت تختفي الذكريات . سرنا في الغابة . وهنا بدأت هي بالكلام عن نفسها وعن بلدتها :

«عندنا تجري الحياة كما كانت في السابق» قالت «ثم ان حديقتنا صارت ازهى ، زوجي تضاعف جهده وعنده من الهموم الكثير منذ ولادة ابننا . في العام القادم سنحصل على بيت زجاجي» .

ثم اردفت قائلة : «منذ سنتين انشىء في مدينتنا مسرح . يمكن

ارتياده كل يوم من ايام الشتاء عدا الآحاد . انا ارتاده مرتين او ثلاث في الاسبوع . واكثر الاحيان ترافقني امي التي تستمتع كثيرا في المسرح .

«انا ايضاً اهوى المسرح !» هتف الصغير الذي يمسك فريدريكا بكفه وتقوده ببطء .

**«بلاشك. انت ايضاً. آخذك عصر كل احد» ثم وجهت الكلام الي موضحة، هناك يقدمون لعباً للاطفال، ارافق ولدي الى هناك** واتمتع كثيرا معهم وجب عليَّ ان احدثها عن نفسي بعض الشيء وعن **عملي. لم تسألني عن خصوصياتي إلا قليلاً. انها ترغب ان تعرف** الكثير عن كيفية تزجية أوقات فراغي ، وترغب في الاستماع الى كيف يتمتع المرء في المدينة الكبيرة .

كل احاديثنا كانت جادّة ؛ ولم نتطرق الى الذكريات والماضي بكلمة واحدة ، لا من قريب ولا من بعيد . وكانت متشوقة للاستمرار كما كنت انا ايضاً . ساعات طويلة قضيناها في التنزه مشياً وكنت اشعر بسعادة متنامية . احياناً كان يتوسطنا الصبي وهنا حين تتقاطع أيدينا بملامسة شعره نتظاهر بعدم الانتباه ، واستمر الحديث ..

عندما اصبحت ثانية وحيدا لازمني شعور مريح فورا . ذلك لانني لم أسمع من فريدريكا شيئا غير متوقع ، لم يؤنبني ضميري طيلة احاديثنا . وكان سكوت فريدريكا عن التنويه به يريح ضميري ، ويدعه في غفوة . ولو فرضنا انني اتقبل ما حدث بينها وبين زوجها خلال سبع سنوات كأمر واقع ، إلا انها غير قادرة على ان تنسى وكان هذا الاحساس يحز داخلي حتى اللحظة الاخيرة من نزهتنا . كيف استطاعت ان تخفي احاسيسها ، لِم لم تسألني لكي

احدثها عن الماضي؟ هل انتظرت ان اكون البادىء؟ ما الذي يجعلني احتفظ به؟ أيكون الاحساس بالخجل نفسه قد منعها عن طرح السؤال ، أو يكون خوفنا نحن الاثنين من ان نقترب من التفكير بطرح السؤال .. يبدو هذا هو الاقرب من الواقع. تماماً يجب ان يحدث ما حدث . ولهذا فيجب ان يبقى بيننا شيء بسببه نفترق . انه الشيء الذي يفصلنا . ان عذاب النفس أشد من كلّ عذاب .
عصراً ذهبت الى الغابة، طرقت ذات الطرق والمسافات التي مشيناها معاً صباحاً . كان في صدري توق ؛ وكأنه توق للحبيب الأبدي . وفي المساء وقفت امام منزلها ، بعد ان فتشت عنها في كلّ مكان .. كانت واقفة في شرفتها . ناديتها كما نادت هي عند الصباح الباكر «ألا تأتين ؟» أجابت ببرود ، كما خيل لي : «انا تعبة . ليلة سعيدة» ثم اغلقت النافذة . في ذاكرتي برزت لي فريدريكا بشخصيتين متناقضتين تماماً ، اراها المرأة الشاحبة الناعمة التي تجلس في الحديقة وهي ترتدي ثوباً ابيض وتعاملني كأم وتلامس وجنتي وشعري . في هذه اللحظة لو يصدق احساسي لما تحطمت سكينة روحي ؛ ولعدت وتمددت تحت ظلّ اشجار الزان كما كنت في ايامي الاولى هنا . اما الشخصية الاخرى التي تطفو على ذهني فهي تختلف كثيراً عما رأيت ؛ عندما كنت في الساعة الاخيرة تلك في المدينة الصغيرة .

كان ذلك يوم تسلمي نتيجة الامتحان الوزاري . في كلّ الايام كنت اتحدث مع مدرسيّ واقضي الوقت معه ومع زوجته ، ونتناول طعام الغداء معاً . ذاك اليوم اعتذرت عن مرافقتهم لي حتى محطة القطار . وقفنا ساعة الوداع ثم تمنينا لانفسنا لقاءً قريباً . لم أحس

انها متأثرة . في البداية عندما كنت في غرفتي وانا اجلس على السرير وحقائبي قرب قدمي ، انظر الى الحديقة من خلال النافذة المفتوحة ، والى السماء الملبدة بالسحب البيض التي تخيم على التلال الساكنة ، حضرت قربي ، بمجاملة ، لتخفف عني ألم الوداع .

فتحت الباب ثم اقتربت مني . نهضت بوجهها فورا . اقتربت اكثر واستندت الى المنضدة ، وضعت كفيها على وركيها ، ونظرت اليّ بجدية . قالت بهدوء ، وبصوت بالكاد يسمع :«اليوم اذن ؟» أنزلت رأسي فقط ثم أحسست بفيض من الشعور العميق أول مرة ، محزن ان افارقهم الساعة . في سكون حدقت بالارض وهلة ، ثم رفعت رأسها ، واقتربت مني . وضعت يديها على شعري ، كما كانت تفعل من قبل ، إلا أنني شعرت باحساس غريب يداهمني هذه المرة . ثم تركت يديها تنزل على وجنتي متحسسة ، ونظرها يلاحقهما ثم ثبتت عينها في عيني . هزت رأسها والألم يعصر قلبها ، كما لو كانت تريد ان تحتفظ بشيء فتعجز عن ذلك «أيجب أن تغادر اليوم ؟ سألت بهدوء ـ «نعم» اجبتها .. الى الأبد ؟ هتفت ـ «كلا» اجبتها .. «آه . نعم» قالت بألم عاصرة شفتيها ، انّه الى الابد .. وحتى لو زرتنا مرة خلال السنتين او الثلاث فستذهب كاليوم وتفارقنا» قالتها بحنان يختلف عن حنان الام مما اعترتني هزة ورعشة . وفجأة قبلتني ، في بادىء الامر فكرت فقط بأنها لم تفعلها من قبل ، ولكن عندما رفضت شفتاها ـ بشهوة ـ ان تحرر شفتي فهمت آنذاك المعنى البعيد لقبلتها .. كنت مثاراً وسعيداً ، وكنت اتمنى لو

استطيع ان ابكي . احاطت عنقي بذراعيها كما لو كانت تهصرني حتى غرقت في زاوية الكنبة .

ثم ركعت فريدريكا تحت قدمي ورأسها على ركبتي . سحبت فمي نحو فمها ، وجرت يديّ كلتيهما نحو وجهها . لفظت اسمها متلعثما ثم تنهدت . لا يوجد اجمل من هذا كله . تصاعد عطر شعرها الى انفي فاستنشقته بتلذذ .. في تلك اللحظات احسست انني قد تجلدت من الخوف ـ لقد فُتح الباب بهدوء ، الذي كان غير موصد ، فاذا بسيدها لدى الباب . اردت ان اصرخ لكن صوتي خانني . حملقت في وجهه ولم اكن لأميز فيما لو طرأ عليه أيّ تغيير ذلك لأنه وفي ذات اللحـظة اختفى، وأغلق البـاب خلفـه. حاولت النهـوض وتحرير كفيّ اللتين تلامسان وجه فريدريكا . حاولت ان اتكلم فاذا بإسمها يطفر من شفتي . وهنا قفزت فريدريكا فجأة فزعة شاحبة . همست بمرارة : «اسكت» ثم وقفت لحظة ساكنة وسط الغرفة ، ووجهها نحو الباب وكأنها تحاول ان تسترق السمع ..

بعد ذلك فتحت الباب بهدوء ثم نظرت الى الممر وانا اتسمر في موقفي كالميت ثم فتحت الباب على مصراعيه . اخذتني بين يديها وهمست : «اذهب .. اذهب ، سريعاً !» . ودفعتني بقوة .. جريت سريعاً عبر الممر الصغير حتى السياج الخارجي . ثم ادرت رأسي فألفيتها واقفة عند الباب ، والخوف بادٍ على وجهها ، ثم وبحركة من يديها فهمت منها : اذهب بعيدا فذهبت ، وانا اتطلع اليها . في كلّ مرة أتذكر تلك اللحظات ، وأفكر بها كأجمل الاحلام ..

توجهت الى محطة القطار مسرعاً ، ومن فزعي القاتل ، سافرت الليل كله وأنا ، في مقصورة للنوم لم اذق طعم الكرى لحظة .. حين وصلت البيت كنت اتوقع ان الاهل قد عرفوا كل شيء ؛ واندهشت حين استقبلوني بفرح وسعادة غامرين . وعشت فترة بقلق وفزع ، يخفق قلبي مع كل دقة لجرس الباب او مع وصول اية رسالة لنا . وأخيراً اتت الاخبار التي هدأتني : كانت بطاقة من زميلي الذي كان مؤخراً في المدينة الصغيرة ، بكل براءة بلغني بالتحايا المخلصة ما كان ذلك بالأمر الجلل . وفي الأقل لم يصبح ما حدث فضيحة على نطاق واسع .. عليك ان تثق بأن الامر قد سوّي بهدوء بين الزوج والزوجة ، الزوج قد سامح زوجته ، والزوجة ندمت على فعلتها . وعلى الرغم من هذا فقد عاشت مغامرتي الاولى في ذاكرتي حزينة. حتى بدا لي كوني كمن حطم كيان عائلة عن غير قصد . بعدها تبدد الظلام . وتدريجيا اختفى ذاك الشعور .

بعد ذلك وبوقت غير قصير ، وبعد ان عشت تجربة جديدة وبدأت أعيش كل ساعة تجربة جديدة ، شدّني الحنان الى فريدريكا والى الالم الذي عانيته والى الامل الذي خاب .. لكن ذاك الحنان والشوق أخذ يخمد حتى كدت وبمرور الايام أن انسى المرأة الشابة الحبيبة ...

فجأة بُعث كل شيء . الذي حدث آنذاك ، وصار ذكرى ، عاد أقوى واعنف من ذي قبل ، لقد وجدت انني أحبّ فريدريكا ..

واليوم انجلى لي كلّ شيء بوضوح ، ذلك الشيء الغامض الذي

حيرني في الايام الاخيرة . كنا جالسين على الساحل في ساعة متأخرة من الليل ، نحن الاثنين فقط ، اذ كان الصبي نائما في فراشه . التمست منها عند الصباح ان تلبي رغبتي البريئة بأن نجلس على الساحل ونستمتع بجمال البحر ، وسيكون أجمل لو خيم الهدوء من حولنا ، كم هو جميل ورائع ان نكون على الساحل ونحدق من خلال الظلام الدامس . لم تقل شيئاً لكنني كنت متأكداً من انها ستلبي . جلسنا على الساحل صامتين ، قريبين من بعض . شبكت يدها بيدي ، ثم شعرت حالاً بأن فريدريكا يجب ان تكون لي متى شئت . ثم فكرت بلا جدوى الحديث عن الماضي . انا ادرك انها قد فكرت عند لقائنا الاول ايضاً : هل نحن الان كما كنا في الماضي ؟ نحن احرار وسعداء ؛ الذكريات تطوف فوقنا كطيور الصيف الزائرة . ربما عاشت تجارب عدة مثلي خلال السنوات السبع ، ماذا يعنيني من هذا ؟ نحن ابناء اليوم ، والآن نطمح الى السعادة . ربما كانت بالأمس غير سعيدة غير عابئة لكنها اليوم تجلس بجانبي على الساحل مستكينة ؛ تمسك بيدي وتحن الى أن تكون بين ذراعيّ . رافقتها الى منزلها وعلى بعد خطوات منه ، قلت لها : «تلزمنا نزهة نهرية بزورق شراعي ..»

هتفت : «نعم» .

«أذن سأنتظرك عند الجسر في الساعة السابعة ..»

«الى أين ؟» سألت .

«الى تلك الجزيرة .. الى هناك حيث يسمق البرج بلونه الاحمر .

هل ترينه ؟»

«اجل ، الضوء الاحمر ، هل هو بعيد ؟»

«على بعد ساعة واحدة . بامكاننا العودة بسرعة»

«طابت ليلتك» قالت لي ثم دلفت الى البيت .

وعدت الى مسكني . فكرت انها ستنساني مرة ثانية بعد أيام قلائل لكن غداً سيكون يوماً رائعاً ..

كنت قبلها عند الجسر . الزورق الصغير كان بالانتظار ، فيانسين الهرم كان قد هيأ الشراع وراح يدخن غليونه وهو يجلس الى دفة الزورق . قفزت اليه وتركت الامواج تهزه وانا ارتشف دقائق الانتظار كما ارتشف شراب الصباح المنعش . الشارع الذي كان هدفاً لبصري ، كان خالياً من المارة . بعد ربع ساعة ظهرت فريدريكا . رأيتها من بعيد . كانت تبدو على عجلٍ أكثر من المعتاد . عندما انعطفت نحو الجسر نهضت اليها ، والان استطاعت ان تراني فابتسمت واخيراً حين بلغت نهاية الجسر اعطيتها يدي .. ثم اجلستها في الزورق . نشر يانسين القلع ، وعندها شرعت سفينتنا بالابحار . جلسنا ملتصقين ، فتأبطتني . كانت ترتدي ثوباً ابيض . وكانت تبدو كفتاة الثامنة عشرة .

سألت «ماذا سنشاهد في الجزيرة ؟» ثم ابتسمت ، وأحمر وجهها قائلة «هناك البرج بلونه الاحمر . أليس كذلك ؟»

اضفت قائلاً : «ربما سنزور الكنيسة ايضاً»

«سلْ الرجل» أشارت الى يانسين ، فسألته :

«كم عمر الكنيسة في تلك الجزيرة ؟»

لكن يانسين لم يكن يفقه ولا كلمة المانية مما اتاح لنا فرصة الكلام بحرية اكثر ..

«هناك في الجانب الآخر» قالت وهي تشير بعينيها «توجد جزيرة اخرى» .

«كلا» اجبتها «تلك هي السويد ، بلاد الاعياد» .

«هناك اذن اجمل» قالت بهدوء .

«أجل» هتفت .. «ولكن هناك على المرء ان يمكث طويلاً .. طويلاً .. والى الابد» .

كنت اتمنى لو طلبت مني قائلة : تعال نعش في بلد آخر ولن نعود الى هنا ، اذن لوافقتها فوراً .

حين كنا في الزورق الذي يدفع شراعه نسيم هادىء والسماء الزرقاء تحمينا ، ومن حولنا زرقة البحر الصافية ، كأننا في موكب فرح وأعياد وكأننا الملكان المحتفى بهما . لقد سقطت من حساب عمرنا كل السنين قبل هذه اللحظة .

قريباً سنتمكن من ان نرى ونميز البنايات في الجزيرة . تلك الكنيسة البيضاء التي تنتصب على تلك الهضبة تطلّ على الجزيرة كلها وقد بانت لها معالم واضحة. سار زورقنا بسرعة نحو الساحل حيث تجمعت بالقرب منه اعداد كبيرة من السمك الصغير ، قسم منها تعلق بالمجذاف والآخر ابتعد عنه . كانت فريدريكا قد ركزت نظرها على الجزيرة معظم الوقت لكنها لم تبصر منها شيئاً . رسونا على الميناء بعد حوالي ساعة من بدء رحلتنا . كان الميناء عبارة عن

نهاية جسر على «قنال» صغير .. عدد من الاطفال تجمعوا عند الجسر . هبطنا من الزورق وسرنا ببطء نحو الساحل . الاطفال ساروا خلفنا فترة ثم اختفوا بسرعة .. وبانت القرية امامنا . كانت مكونة من عشرين بيتاً تقريباً تتوزع هنا وهناك . غطسنا في الرمل حتى الركبة ، ذلك لان الساحل كان مغمورا بالماء قبل فترة وجيزة . على مساحة مشمسة من رمال تمتد الى البحر عُلقت شباك كثيرة لكي تجف . هناك بعض النسوة قد جلسن عند عتبات أبواب المنازل يحكن الشباك . بعد مسيرة مئة متر اصبحنا وحدنا . كنا قد وصلنا الى طريق ضيقة تمتد من بداية المنازل حتى نهاية الجزيرة حيث يقف البرج الاحمر . وعلى جهة اليسار هناك حقل زراعي يصغر تدريجياً حتى ينتهي عند البحر ، وعلى اليمين هناك المرتفعات وبجانبها تنعطف الطريق نحو الكنيسة التي يمكن الوصول اليها مشياً . فوق كل شيء وكل مكان تسطع الشمس ، ويسود السكون ـ فريدريكا وأنا لم نفه بشيء ولم أشعر بحرج ابداً ، كانت سعادتي لا حدود لها ، وانا اتنزه مع فريدريكا في هذه الاجواء الرائعة.اخيرا بدأت تتكلم . قالت : «هذا اليوم مثل ثمانية ايام مرّت»

«ماذا ؟»

«ذلك اليوم لم أكن أعرف مكان رحلتي التي ازمعت القيام بها ، ولا مرة في حياتي فكرت بمكان اسافر اليه ..»

لم أعلق على ذلك بشيء .

«آه يا له من مكان رائع ، هنا» هتفت ثم مسكت يدي . تملكني شعور بأنها ستحتضنني ، لا بل على الارجح ان أضمها الى صدري واحيطها بذراعيّ ، وأقبلها في عينيها .

«نعم ؟ سألتها بهدوء ..
صمتت ثم اصبحت منتبهة .
وصلنا الى البيت الصغير الذي بني قرب البرج . يجب علينا ان نسلك طريقاً ضيقة تؤدي الى الهضاب . ترددت قليلاً .
«تعال !» هتفت بي
ونحن نسير برزت الكنيسة امامنا ، اقتربنا منها . كان الجو حاراً . طوقت رقبة فريدريكا بذراعي . ينبغي عليها اذن ان تبقى قريبة مني جداً . اذا لم تمانع سألمس خدها المتوهج .
«لماذا لم نسمع منك عن حياتك طيلة سنين سبع ؟»سألتني فجأة ثم أردفت وهي تتطلع اليّ «انا في الاقل ..»
«لماذا ؟» رددت ذلك باستغراب .
«اجل .. لذلك السبب»
«كيف استطيع انا اذن ؟»
«ألذاك السبب ؟» سألت ثم اكملت ،«كنت اذن جريح الشعور ؟»
«كنت مباغتا في حينه . كيف استطيع ان ابادلك .؟ »
«اذن بماذا كنت تفكر في حينه» ؟
«واذا كنت قد فكرت ..»
«أجل .. أو لم تتذكر شيئاً؟»
«إكيد . أنا اتذكر كلّ شيء . ولكن لماذا تتحدثين الآن عن تلك الامور ؟ .»
«أردت ان أسألك منذ فترة» قالت لي .
«تتحدثين هكذا» بادلتها بحرج شديد .
«انـك كنـت في حالة... حتـمـاً!» اكـملت بحـرارة ولمـا رأت انني

حاولت ان اقاطعها اردفت «لكني اصرح لك، لقد عانيت كل تلك السنين فوق ما يحمل البشر ،»

«في ايّ مجال ؟»

«هكذا . عندما كنت تقيم عندنا .. لم تسألني ؟» ـ «في البداية فكرت كثيرا مع نفسي .. ولكن لماذا اخبرك بذلك ؟ .»

تمسكت بذراعها بقوة : «ارجوك خبريني . نعم انا احبك» .

«وانا ايضاً» هتفت فجأة واخذت بكفي الاثنتين وراحت تقبلهما هاتفة «الى الابد .. الى الابد»

«أرجوك اخبريني» قلت لها «عن كل شيء ، كل شيء ..»

بدأت الكلام اثناء ما كنا نتخطى ببطء طريق الحقل تحت الشمس .

«في البداية قلت لنفسي : انه طفل احبه كأم ترعى طفلها . ولكن كلما دنت الساعة حيث ستسافر ونفترق ..»

سكتت برهة ، ثم استمرت بالكلام :

«واخيراً حلّت الساعة ـ انا لم ارغب في بادىء الامر أن أجيء اليك ولا ادري ما الذي جاء بي اليك . وعندما كنت عندك لم أنوِ تقبيلك ـ ولكن ..»

قلت ، «تابعي .. تابعي !»

«ومن ثم بعد ذلك هتفت بك فجأة : عليك ان تسافر .. لقد ظننت ان ما كان بيننا لم يكن سوى مسرحية . أليس كذلك ؟»

«انا لا أفهمك»

«كل الوقت ، وانا افكر بك . ورغبت بالكتابة اليك ولكن لاي شيء ؟. السبب اذن هو انني دفعتك للسفر ، كنت .. وفجأة تملكني

خوف مدمر»

«انا اعرف ذلك»

«ان كنت تدري : فلماذا لم اسمع عنك شيئاً ؟» هتفت بحرارة

سألتها : «لماذا تملكك الخوف ؟» لقد أصبح الأمر مفهوما لديه تدريجيا .

«ذلك لاني اعتقدت بأن زوجي كان وراء الباب» .

«أأنت اعتقدت ذلك ؟ كيف حدث هذا ؟»

«تخيلت انني سمعت خطوات في الممر . كانت فعلا خطوات ! فكرت بأنه كان زوجي . عندها اجتاحني الخوف والفزع ، لو كان ذاك حقيقة لأصبح الامر شنيعاً ـ لو أنه .. آه . اني لا أريد أن أستعيد تلك اللحظة ـ ولكن لم يكن هناك احد،لا أحد . فعند المساء عاد زوجي الى البيت ، بينما كنت انت قد ذهبت بعيداً بعيدا». خلال حديثها ، احسست بأعماقي تتجمد وحين انتهت تطلعت الى وجهها وكأنني اريد ان استجوبها : مَن أنت ؟ لكني ادرت رأسي نحو الميناء حيث يرسو زورقنا وشراعه اللامع . ثم فكرت ، منذ متى ونحن في هذه الجزيرة وقد التقيت بأمرأة أحبها والآن يحول بيننا شخص غريب . لم يكن باستطاعتي ان افوه بكلمة واحدة . وحين لاحظت ذلك ؛ تعلقت بذراعي ، وسكنت .

فكرت به : اذن فهو لم يخبرها ! وهي لا تدري ايضا ولن تدري بأن زوجها حقاً قد رآها ، وهي راكعة ورأسها في حضني .. لقد تسلل من خلف الباب واختفى هارباً ، وعاد بعد ذلك بساعات وفي وقت متأخر ، ولم يخبرها ! لقد تمتع بحبها طيلة السنوات الماضية دون ان تفلت منه كلمة واحدة !

لقد سامحها وهي لا تعلم ذلك !

وصلنا قرب الكنيسة ؛ وعلى بعد عشر خطوات منها انحرف الطريق صعوداً نحو القرية . سرت فيه فتبعتني ..

«مدّ لي يدك» هتفت «اني اتزحلق» اعطيتها يدي دون ان استدير سألتني «ماذا جرى لك ؟» لم استطع الاجابة ، ثم ضغطت فقط على يدها بقوة . ساعد ذلك على تهدئتها . ثم قلت لها فقط لكي أبدد الصمت : «اسفاً ، كان باستطاعتنا أن نزور الكنيسة .»

ابتسمت قائلة : «نحن الان بعيدان عنها دون ان نشعر !»

سألتها : «أترغبين في العودة ؟»

«كلا ، انا سعيدة ان اكون في الزورق أرغب في أن اكون مرة معك وحدنا في زورق شراعي بدون هذا الرجل»

«انا لا افهم شيئاً في قيادة الزورق» .

«أسفاه !» هتفت ثم كفت عن الكلام . ولكأنها همّت بأن تقول شيئاً ، وفجأة أمسكت عن قول ما أرادت قوله . لم اسألها . بعد ذلك اقتربنا من الجسر . وكان الزورق جاهزاً .. الأطفال اجتمعوا هنا ثانية وهم مَن القى التحية علينا عند مجيئنا . تطلعوا نحونا بعيون زرقاء واسعة ..

أبحرنا . كان البحر هادئاً . عندما يغلق المرء عينيه لا يحس بالزورق يبحر .

قالت فريدريكا : «اريدك تجثو عند قدميّ وتضع رأسك في حضني» جثوت عند قدميها ووضعت رأسي في حضنها . وجدت الوضع يناسبني لكي لا انظر الى وجهها . راحت تتكلم وكأن كلماتها

تصلني من مسافات قصية . لقد استوعبت كل الكلام وفي الوقت نفسه كنت افكر . انتابتني قشعريرة أمامها قالت : «اليوم مساءً ، سنبحر بعيداً ..» بدت لي وكأن شبحاً يلتف حولها : «اليوم مساء على البحر» كررت قولها بهدوء «وفي الزورق ، التجذيف أتعرفه ؟»

«أجل» غمغمت .. ثم انتابتني رعشة وانا استعيد جلالة ذلك التسامح العميق الذي غلفه الصمت ، لكيلا تعرف .

واصلت الحديث قائلة : «نحن الاثنين سننزل الى البحر .. سيحتضننا البحر فقط نحن الاثنين .. لماذا لا تتكلم ؟»سألتني .

قلت : «إنني جدّ سعيد» .

ثم عرتني رهبة وخشوع امام ذلك الحظ الاخرس ، الذي عاشته كلّ تلك السنوات العديدة من غير أن تحسّ به ..

ثم رقينا الزورق .

بعد لحظة قادني عقلي الى التفكير ، صارحها ، إبعد عنك تأثيرها السلطوي ، بعد ذلك ستعود امرأة كباقي النساء اللاتي عرفت . ثم سوف تشتهيها . كلا . لن اسمح لنفسي بذلك .

ثم وصلنا . قفزت من الزورق ؛ ثم ساعدتها بالنزول منه .

«الطفل يفتقدني . عليّ ان اغادرك بسرعة . اتتركيني هنا وحدي» وكنا منتشين بحيوية لاحظها كل مَن كان حولنا على الشاطىء هتفت : «اليوم مساءً ، في الساعة التاسعة أكون .. ولكن ما الذي جرى لك ؟» قلت لها : «لا شيء . أنا سعيد جداً .»

قالت : «اليوم مساء ، الساعة التاسعة سأكون على الساحل . سوف اكون معك .. الى اللقاء !»

ثم اسرعت مغادرة ..

«الى اللقاء !» قلت انا ايضا ثم لبثت في مكاني واقفا ـ لكنني لن التقي بها ثانية .

اثناء كتابتي هذه السطور ، كنت قد بعدت عنها كثيراً . بعد كل لحظة تنأى المسافة أكثر ، وأنا أكتب لها من عربة في قطار . القطار الذي غادر كوبنهاگن قبل ساعة .. الان الساعة التاسعة مساءً ، الان تقف على الساحل في انتظاري . عندما اغلق جفني ارى شكلاً امامي ، لكنه ليس شكل المرأة التي تجول هنا وهناك على الشاطىء في ذلك الظلام المضيء ـ بل أنّه الظل ..



مارتن بوبر (١٨٧٨ - ١٩٦٥)

ولد مارتن بوبر عام ١٨٧٨ في ڤينا . عمل استاذاً في جامعة فرانكفورت / ماين عام ١٩٢٤ - ١٩٣٣ . نال جوائز عديدة منها جائزة الجمهورية النمساوية .

# حساء الجنة

في السنتين الاخيرتين افرط رابي ايليمليش بتناول الطعام والشراب وبكميات كبيرة .. كان ذلك بناء على تنازل منه لرغبات والحاح الآخرين عليه .. اولهم كان ولده رابي ايلزار حيث كان يتوسل ويذرف الدموع من اجل ان يطعم والده المزيد كي يقوى ويحافظ على صحته ليعيش ..

هتف والابتسامة تعلو شفتيه :

«آه ! ما هذه الوجبات الدسمة المتعبة التي تقدمونها لي .. آه لو قدر لي ان احصل فقط على حساء الدقيق .. ذلك الحساء الذي كنت قد تناولته ، يوم كنت مع اخي سوزيا اثناء تجوالنا ، في الفندق الاحمر الصغير الواقع في شارع «دينسي» .

بعد وقت ليس بالطويل ، مات رابي ايليمليش فقام ولده برحلة الى شارع دينسي بحثا عن الفندق الاحمر .. وفور وصوله الفندق حجز له غرفة وسأل عما يقدم هذا المساء على مائدة العشاء .

« نحن اناس فقراء» هتفت صاحبة المطعم «نحن نقايض الفلاحين الدقيق والبقول بالمشروبات الكحولية . بعدها يأخذ زوجي معظم ما نحصل عليه من دقيق وبقول الى المدينة ويقايضها بالمشروبات . وما تبقى منها يظل قوتاً لنا . اذن ليس باستطاعتي يا سيدي تقديم اكثر من حساء الدقيق لك .

«هيئي لي الحساء فوراً» قال رابي ايلزار .

بعد ان فرغ من الصلاة . وضع الحساء امامه على المائدة .. احتسى الوعاء بأكمله ، وطلب وعاءً ثانياً . احتساه ايضاً ثم طلب وعاءً ثالثا . بعد ان انتهى ، سأل صاحبة المطعم ، «خبّريني بصدق ماالذي في هذا الحساء حتى اصبح لذيذاً بهذا المذاق غير المتوقع ؟»

ثق ، ايها السيد» أجابت السيدة «إنني لم أضف الى الحساء شيئاً» ولكن بعد ان ألحّ عليها بالسؤال اجابته اخيرا قائلة : «طيب . ان كان الحساء قد اعجبكم لهذا الحدّ فلأنه فعلاً جاء من الجنة» واسترسلت السيدة بسرد القصة قائلة : «منذ سنين خلت ، نزل عندي رجلان تقيان يبدو عليهما انهما من الصدّوقين . ذاك الوقت كنت لا املك ما اقدمه لهما سوى حساء الدقيق . وانا أعدّ الحساء تضرعت الى الرب : ياربّ الكون ، إنني لا أملك غير هذا الدقيق ، وانت مالك كل شيء . ارحم عبادك وخدمك الجياع .. ضع لهما في الحساء عشباً من جناتك» .

حالاً بعد ان وضعت الحساء على المائدة احتسيا منه وعائين كبيرين ثم اردفا ذلك بوعائين آخرين . ثم هتف احدهما : «يا ابنتي حساؤك هذا له طعم من الجنة» ..

وحالاً صليت مرة اخرى ..



## كورت كوزنبرج (١٩٠٤)

ولد كوزنبرج في ١٩٠٤ بمدينة غوتبورك في السويد . كاتب رواية وقصة قصيرة جداً . وكاتب اذاعي وله باع طويل ايضا في كتابة الدراسات في الفنون المسرحية وكذلك درس تاريخ الفنون وذلك عام ١٩٢٢ في ميونيخ وبرلين وفرايبورك ، حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب والفنون عام ١٩٢٨ . سافر الى ايطاليا وفرنسا وانكلترا واسبانيا . منذ عام ١٩٥٨ يعمل رئيس تحرير مجلة «روفولت» . يعيش اليوم في هامبورغ .

# الصرح

يستطيع المرء ان يعود بالذاكرة الى احداث الحرب التي نشبت بين البلديـن المتجـاورين ولم يبت الحكم وقتئـذٍ أي البلدين كان الاقوى .. اذ حين يمنى احدهما بهزيمة في موقعه يحرص على تخـفـيـف حدة التـوتـر بيـنـهـمـا فوراً بالجـوء الى التـريـث والمناورة ؛ لذا اقتصرت الحرب بينهما على المناوشات الحدودية اول الامر .

وساد سلام ملغوم بينهما ، كما لم تكن الحالة حرباً حقيقية ايضا ؛ اذ ان التمسك بالتعقل والحكمة جعل القوتين متوازنتين ..
فجأة انفجر الموقف دفعة واحدة ذلك عندما اعتلى «البينام» العرش هنا ، ووصل مافالدو الى السلطة هناك .. كلا الملكين كان شاباً طموحاً ، ولوعاً بالتفوق على الاخرين .. وكلاهما لايتقبل النصح من احد ؛ وحين حاول وزراؤهما ومستشاروهما إسداءه لهما احيلوا على التقاعد مبكرين ، وأشغلت مراكزهم بعناصر شابة ..

بعد تلك الاجراءات مباشرة استعرت الحرب ، وبدأت بعنف وضراوة .. وحريّ بالقول ان على المرء الا يظنّ ان البينام يمتلك افضل الجند ، اوكان قائدا محنكاً وانما سرّ انتصاره يكمن فقط في ان له حظاً في الحروب . وانه استغل الحظ الذي حالفه .. لقد اطلق

سهمه بنجاح فما استيقظ مافالدو الا ووجد جيوشه قد انهزمت ، ووجد نفسه ووزراءه وقادته في ايدي اعدائه البيناميين .

المنتصر احال البلدين بلداً واحداً وغدت قوته قوة مضاعفة يمكن للعالم ان يحسب لها الف حساب .

ولكن ما مصير مافالدو؟ فكر البينام طويلا بامره . كان بقدرته ان يفعل بخصمه الخاسر ماشاء : القتل او الموت البطيء حتى لايقوى احد من انصاره على ان يثير الفتن ، او ان ينفيه ، ويتقصى كل حركاته بدقة وعناية . لم تعجبه كلتا الفكرتين ؛ ذلك لانه اراد ان يبرهن للعالم بانه لايقيم لخصمه مافالدو وزنا ، ولا يعير له ايما اهمية . استدعى اسيره وقال له :

«انت ملك خسر بلده ، ولم يعد له ايّ امل في هذه الحياة . ولكنك مادمت اسيري فتعيش وينبغي ان تنفذ كلّ طلباتك، وان لايعوزك شيء حتى تأتي ساعتك فيزورك الموت في اسرك .. وقد يكون هناك احتمال ان يمتد بك العمر حتى تصبح في ارذله وعندها ستتمنى لوكانت ايامك اقصر . فما الذي تتمنى فعله ؟

ابتسم مافالدو وهو يقول : «اذا كان عليّ ان اعيش لكي يضع الموت نهاية لذلك يوماً فأنا ارغب ان اشيد لي صَرْحاً».تطلع البينام الى الاخرين بنظرات فاحصة «هذه الفكرة صائبة ، لم اكن لأتوقع انه قادر على فعل ذلك» ثم هتف «ليكن لك ماتريده ، ابنِ لنفسك الدار الاخيرة .. نبئني ماهي مستلزمات عملك لكي تُهيأ لك ؟

ـ «ان تمنحني قطعة عقار يشيد عليها الصرْح ، وارضاً زراعية تحيط البناء ومقلعاً ذا جدوى ، وعددا من نحاتي الحجر ، وجمعاً مثابراً من العمال .. انا لااحتاج الى مهندسين ومصممين ، لاني

امتلك الوقت والرغبة لانفذ المخططات والخرائط بنفسي .

«سأهبك ماتريد» هتف البينام ومن ثم اطلق سراح الاسير .. في الوقت الذي كان البينام يدير شؤون حكم بلده الواسع بتدبر وحزم ، شرع مافالدو في بناء صرْحه بهدوء وتمهل.. نفذّت خطوات العمل الاولى دون حاجة الى خبرة اضافية .. حفروا اسساً عريضة وعميقة حسبما هو مخطط امامهم .. سيجوا المساحة كلها حيث بالاستطاعة ان يُشيَّد عليها قصر شاهق .. اجل ! كلّ من يتابع العمل بفضول عليه ان يخفف من غلواء تعجله ، لان البناء كان يشمخ ببطء . في هذه الفترة الطويلة ، قد تشرع مئات القوانين ، وقد يرتقي مئات من الموظفين الى مراتب اعلى! او يهبطون الى ادنى ولا احد يتكهن ماذا سيكون من امر الصرْح عند شموخه .

كل ساعة وخاصة في الامسيات تزحف جموع من الشعب الى هناك تندهش لمرأى! كتل الاحجار الكبيرة .. وتعجب من سعة اسس البناء .. ياله من حلم كبير ..! النحاتون والبناءون الذين نهضوا بمهمة التشييد صار لديهم من الاصدقاء والمعارف اكثر مما كانوا يتوقعون ..

العالم كله رغب بأن يعرف منهم : كم متراً سيتطاول الصرْح بعنقه ، واسئلة مثل : كيف يمكنكم انجازه ، وماهي المرحلة القادمة التي ستنفذونها . الا ان العمال العقلاء لم يكن لديهم اجابات مقنعة . ولو تهيأ من بينهم مجيب فانه دائماً يشير الى مافالدو ، فهو وحده مَن يصدر الأوامر وهو وحده القادر على تنفيذ مخططاته السرية واحداً بعد الآخر .. اوامر مابين يوم ويوم وساعة بعد ساعة .. ولا احد يعلم ـ عن العمل ـ سواه .

العمال الميالون الى المبالغة المفرطة لم يدخروا وسعاً . لقد جهدوا لكي يظهروا عملهم عظيماً وادعوا ان هناك في الداخل فخامة وعظمة لايدانيهما شيء . لقد شغلوا الدنيا بالحديث عن اعجوبتهم : اسهبوا في وصف المقاصير داخل الصرْح التي تتضوع منها عطور الزهور ، والغرف التي تزين كلّ ركن من اركانها اللوحات الفنية الرائعة .. وحكوا عن الحمامات التي تتلاطم فيها الامواج الزرق. وعن المرمر الفاخر الذي نحت منه النعش الذي ينزلق على عجلات ذهب خلال الممرات سعادة ستوهب للراحل الى عالم السماء ، سعادة لايحلم بها حتى الاحياء ..! واذا كان كلّ ما زعموا كذباً اذن ، فما هي الحقيقة ؟

الانفاق تضخم ، والقصر الحجري يوحي للحاج للمشاهدة باحلام عن مشاهد لاتصدقها العينان .. وهناك اكثر من ذلك ..

حجاج الصُرْح لم يكونوا من مواطني البلد نفسه فحسب بل كانوا من البلدان المجاورة ايضا والذين كانت دهشتهم اعظم فراحوا يلهجون بما سيصبح عليه صرْح مافالدو .. اما عن تقدم البلد وعن اعمال حاكمه البينام المجيدة فلم يجرِ ذلك على أي لسان .. الصُرْح صار حديث كلّ لسان ..

وستبدو المسألة واضحة ، عندما نكتشف بأن هناك بذرة غيرة تنمو في قلب البينام ضد مافالدو .. «انا اعمل بجهد ومثابرة حتى الموت» ، فكر الملك البينام طويلا ، «واسيري يرصد نهايته لحظة بعد اخرى .. لماذا كلّ ما اقدمه لبلادي من انجازات ليس سوى امر عادي وطبيعي ، اما مايعمله هو يهزّ المشاعر والنفوس ، وكأنه المعجزة ؟ انا اعمل بينما هو يلعب ويلهو ، ومع ذلك يربح من لهوه

هذا . اذن فسوف الهو والعب لعبته لكي يعرف الملأ أنني قادر ايضا على تقديم غير المفيد .

سعى الى مافالدو وحيداً دون حرسه الخاص ممن كان يلازمه دائما . عرض عليه المساعدة الا ان مافالدو رفض ان تمتد يد الملك المنتصر لتشارك في لعبته .

«كلا» قالها وابتسم بأدب «هذا ماكان متفقاً عليه منذ البداية . وينبغي لكم ان تلتزموا به والا فلسوف تنقضون عهدكم ، ولا يليق ذلك بكم وانت ملك.. كان عهدك هو ان ابني لي صرْحا كما اريد وارغب دون مشاركة من يد غريبة ودون تدخل من احد . بهذا العهد التزم واطمح الى التزامكم به ايضا» .

رفع البينام حاجبيه الى الاعلى باستنكار ، «كان باستطاعتي ان اجهز عليك مثلما هو باستطاعتي الان . انك تحت رحمتي وتريد اجباري على الالتزام بعهدي ، هذا امر غير وارد . اني الآن في حلّ من عهدي.أعندك اعتراض على ان ازور المبنى واطّلع على خرائطه ، واسهم في البناء وفق تصميم خاص بي . اسهم في بناء طابق واحد او بناء غرفة واحدة صغيرة في الاقل ؟

«انا لا اوافق» ادار له مافالدو قائلا ، «بلدي اصبح حصتك ، ولكن صرحي ينبغي الا يخلدك .. انت محظوظ في هذا العالم وانا سأكون محظوظاً بعده.. فحين تموت انت، سأحيا انا».

حدجه البينام بنظرة حردة : «اهذه هي الحقيقة» ثم تحدث بصوت واهن ، احقا ان نعشك سيحمل على عربة بعجلات ذهب تطوف بين الممرات ..

«قيل هكذا» عقب مافالدو «لكن الحديث كثير ، اما عن العجلات

الذهب فهي تبرعات شخصية ..» .

«أكلّ هذه تبرعات الشعب ؟» عقب البينام متسائلاً .

«اجل ، هي من تبرعات الشعب» اجاب مافالدو وهو ينكس رأسه الى الارض .

فكر البينام ملياً ، ثم هتف «مقابل اي ثمن تتنازل لي عن صرْحك ؟ مقابل استقلال بلدك ، أليس كذلك ؟

«بلا اي ثمن ..!»

وبجوابه انتهت المحاورة . ماهو الممكن ان تقوله لملك منتصر ؟ ليس بالامكان مساومة ملك منتصر .



## أرِش كستنر (١٨٩٩ ـ ١٩٧٤)

من اعماله : «صيدلية الشعر العاطفي للدكتور أرِش كستنر» (١٩٣٦) . وقصة «فابيان» (١٩٣١) و «الحرية الصغيرة» (١٩٥٢) . ومن اجمل ماكتبه للاطفال كتاب «من التاسعة حتى التسعين» و «إيميل ورجال البوليس السري» (١٩٢٨) و «غرفة الصف المتنقلة» ١٩٣٣ و «لوتشن المزدوجة» (١٩٤٩) . كما كتب قصصاً نقدية ساخرة : «الرجال الثلاثة في الثلج» (١٩٣٤) و «الصورة المفقودة» (١٩٣٥) والانسة الصامتة . وكتب كوميديا تراجيدية سياسية بعنوان «مدرسة الدكتاتوريين» . (١٩٥٧) .

# الآنسة الصامتة

كانت تبدو شابة قليلة الخبرة ، لم تخض تجربة حب ، شغوفة بالمعرفة ، وكان هو شغوفاً بالمعرفة اكثر منها ، ذا خبرة ولم يكن خلواً من التجارب .

كان يكبرها بعشرين عاماً .. رغم من هذه الفوارق فقد كان بامكانه أن يتعلم منها الكثير فرغم كونها شابة إلا انها كانت أمرأة ، وهو رغم كونه رجلاً ، الا انـه مازال طفـلا.

كلاهما لم يحصر تفكيره بمحيط ضيق فيطمح الى الرابطة التي تربط امرأة برجل ، او ربما كانا يتهيبان الاقتراب من تلك الافكار .

في أحـد الايـام زارتـه في بيتـه دون موعد سابق لكي يرسم وجهها الجميل ثانية ، ويظهر سحر اساريره وفتنة ملامحه . قال لها بين حين وآخر اثناء عمله : «بامكانك أن تتحدثي بحرية لانني لا أريد تصويرك بل رسمك . تحدثي بحرية ياطفلتي !» .

«أنا لست طفلة» أجابته بهدوء . ثم راح يتحدث بدلاً منها ، حيث كان بصره مشدوداً بين الوجه ومسند الرسم ، متجولاً بينهما ـ الاثنين ـ .

صمتت ، وهي تتطلع اليه بنظرات ثابتة ثم تأوهت واخذت تردد كلمات مثل ، «نعم نعم .. او هكذا هكذا .. ولا غير» ..

«أتطالعين احياناً روايات الحب ؟» سألها يوماً . وحين صمتت

كعادتها ، استمر هو بالحديث ليس بالضرورة ان تطالعي تلك الروايات ياطفلتي . ماالذي يكسبه المرء منها» .

«انا لست طفلة» قالت بهدوء :

قال لها : «نادراً مايرى المرء في مكان ما كيف تختلس الحقيقة والواقع بلا حياء ، وبشكل خسيس لايرحم ؛ مثلما يراه في روايات الحب . عندما يريد كاتب وصف سفاح يقتل شخصاً ثم يقطّعه قطعاً صغيرة ، او يريد وصف شخص ينتحر ، او مدينة تحترق ، او وصف حيوان يُعذب قبل قتله ، يجد المرء في وصفه دقة لاحدود لها . ثم لاتجد احداً يصل به التفكير أن يؤاخذ ذاك الكاتب على اتقانه هذا.. ولا تحاول اية سلطة منعه.. بعض تلك الروايات اصبحت كتباً خاصة بِسيَرَ اللصوص والقتلة المحترفين .. لكن لو ان شاعرا ماجرؤ ووصف الحبّ أو غامر بوصف جانب منه مما يسعد الانسان ، لصار منبوذاً ولوجب عليه ان يقتل نفسه قبل ان يقتله الآخرون . وكأن على الشاعر أن يكشف عن الوجه القبيح للحب فقط ، وألّا يلجأ حتى للتلميح ببعض الكلمات الجميلة عنه والا لصار مجرماً. ولدى محاولة ثانية سيصبح ذلك خطيئة لاتغتفر يستحق علها الموت.. المجتمع بركائزه كافة سيهتز متضعضعاً، ولسوف ينهار ركيزة بعد اخرى وبسهولة كبيوت من ورق ؛ والمحافظون على التقاليد يرتعشون ليل نهار امام القوى الطبيعية الرائعة للسعادة والحب» .

نظرت اليه بعين ثابتة ثم تمتمت قائلة : «اهه !» .

قال مرة «من التجارب الانسانية، هناك اثنان يجمعهما الحب او هكذا يعتقدان ، من المستحيل ان تقرب منهما حقيقة اصدق

واخلص من ذلك ، الا انهما قد تساورهما بعض الشكوك من هذه الاستحالة ياطفلتي .» .

«أنا لست طفلة» ، كررت القول بنعومة .

«هناك شاعر فرنسي معاصر ، قال : واستطرد في حديثه «حاول هذا الشاعر ان يعطي مثلا مجازياً معتماً عن حالة هذين المتحابين . قال الشاعر لو وضع كلّ واحد من هذين الحبيبين في كيس قماش مسدود بحيث لايستطيع ان يرى او يتحرك داخله ، في هذا الوضع الموحش يقف الحبيبان متقابلين كل في كيسه ، وهما يحسان قرب المسافة بينهما ويشعران بموجات الالم تطوق حدودهما وسط ذلك الظلام والعتمة . يتحسسان قماش الكيس ، كما يتحسسان سجادة . دون امل يوحدهما ، ويقرب المسافة بينهما حدّ الصفر ، ولا احد من الحبيبين يعرف مَن في الكيس الآخر ، وكيف الحالة التي هو عليها .

ليس لهذا المثل ذاك الحسّ الشاعري المرهف ، وخوفي الّا ينطبق تماماً على هذين الحبيبين . ان هذا يعني ان آدم وحواء كنتيجة قد قطفا التفاحة من الشجرة وأكلاها . انني افكر فيما وصلنا اليه نتيجة لتفكيرنا الخاطىء ذاك . لقد نسي الانسان ان ينفي هذا الواقع ، اذ ان التفاحة ماتزال معلقة بالشجرة .. تلك التفاحة السحرية التي ستبقى حتى الأزل بعيدة المنال على الانسان .»

نظرت اليه بعين ثابتة ثم قالت بهدوء : «هكذا .. هكذا» .

«كان الانسان مع الاعتقاد بالرأي القائل عدم ايلاء الحب أية اهمية وعدم الايمان بقدمه قدم الحياة . لقد نسي الانسان أن للحب جدواه وهو موجود منذ الأزل» .

قال مرة في عصر يوم جميل «ولكن ماهي الحقيقة اذن ؟»دائماً كان الحبّ يُخفىٰ ، وكأنه خطيئة او جريمة ، ويجب أن يكون مكانه السجن . أينبغي لنا ان نخفي الحب كما نخفي ملعقة فضة عن انظار قريبة معروفة بالسرقة ؟ الحق هو ألّا نخفي الحبّ هكذا دائماً وهذا مايعرفه أي طفل ..

«أنا لست طفلة» قالت بهدوء .

«ماكان علينا لنخفي الحبّ هكذا دائماً» اعاد القول ثانية «فكري بالاغريق القدامى الذين كانوا يقدسون جمال الجسم في معابدهم .. كان هذا واقعاً ، ولكن ليس في كلّ مكان . فكري في ما ورد بكتب الحبّ الهندية . ثم لاتنسي معاني الفهم والأدراك الطبيعي للاخلاص عند اليابانيين ، والذين عدوا كتمانه من قبل مَن سبقوهم سلوكاً صبيانياً حتى يومنا هذا ونسجوا على ذلك نكات لاحدود لها ..

اسأل نفسي كيف يمكن للمرء ان يمجد الجزء الروحي والسماوي من الحبّ ، اذا احتقرنا الحبّ الدنيوي وحرّمناه واستخزينا منه ؟ **اذن لن يصبح الجزء فحسب بل الكلّ كذباً».**

نظرت اليه بعين ثابتة ثم هتفت : «أجل .. أجل وهكذا وبذات **الاسلوب واصل دائماً حديثه وهو عاكف على الرسم. وهكذا دائماً وبذات الطريقة كانت تسمعه، وتصمت الى ان حلّ ذلك الوقت** عصراً الذي فيه اقترب الرسام من اللحظات الاخيرة لوضع لمساته النهائية على اللوحة . ثبت رأسه وعينيه في الرسم ثم هتف :

«لا أستطيع افضل من هذا ، ياطفلتي» .

صمتت .

«لو كنت طائشاً» واصل كلامه قائلاً «لطلبت ورجوتك تكرار

الزيارة . الرسم أنجز بالدقة التي استطيع ، واعتقد أنه ليس بالرديء. **أترغبين في التطلع الى اللوحة، ياطفلتي؟».**

نهضت بصمت وتقدمت منه ، ثم وقفت خلفه .

تنحنح ثم سألها :

«هل تسمحين لي باهدائك اللوحة ياطفلتي؟»

قالت : «كلا» فنحن سنعلقها في الكنيسة» .

ادار نفسه نحوها . ابتسمت لحظة ، تطلعت من نافذة الى نافذة اخرى ثم وجهت قولها بقصد : «من الأفضل أن نختار لمنزلنا ستائر جديدة ، ان كان هذا يناسبك .

نظر اليها بعين ثابتة وتمتم وهو يمسك يدها .

«لاحظي . انني طفل ...» .



## هيربرت هيكمان (١٩٣٠)

ولد هيكمان عام ١٩٣٠ في فرانكفورت/ ماين ، درس الفلسفة والادب في جامعتها . ثم اصبح استاذاً وباحثاً في جامعة مونستر وهايدلبرك واستاذا زائراً عام ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ في الولايات المتحدة الامريكية . يعيش الان في مدينة باد فيبل . يكتب في القصة والنقد والتمثيلية التلفزيونية .

حصل على جائزة بريمر للآداب .

# وجبة قبيل تنفيذ الاعدام

حين طُرح السؤال التقليدي ، ماهي آخر امنية له ، كان جوابه بلا لف ولا دوران : امنيته الوحيدة هي أن يأكل مرة حتى يشبع قبل ان يقاد الى المشنقة . «حتى يشبع» كررها ، ثم اشار الى بطنه الخاوئ ، وهو يتكيء على قضبان السجن ملتحفاً سقف الزنزانة .. «حتى يشبــع» قالهــا ثالث مرة، ثم رفع يديه المكبلتين بالقيود قريباً من فمه ..

استهزأ الحرس به وهم يعدونه بمائدة طعام ملكية ، بصحون وملاعق وشوكات ذهبية . لايمكنه ان يجرب السرقة معها ثانية .

«نحن سنقدم لك أكلة ، وستكشف فيما بعد ، ماذا سيحلّ بسروالك .» . ستصدر الأوامر باعداد مأكل فاخر شهي ، متنوع الاصناف ، يسيل له حتى لعاب المحكوم بالاعدام .. سيقدمون لك خنوصاً رضيعاً ، ثوراً مشوياً ، إلية ضأن سمينة ، طيوراً مقلية ، وديكاً مخصياً مسمّناً .

بعدها راحوا يتغامزون ، حين ادار ضحيتهم رأسه جانباً .

تحدث مع نفسه ثانية .. للمحكوم عليه بالاعدام قدرة على ان يتخيل كل شيء .. كل شيء .. من حوله يؤكل .. ضغط فمه على القضبان ، وعضّ شفتيه عليها حتى أدميتا .. ثم وهنت قواه وحلم بأفواه مفتوحة .. وعندما ايقظوه ليأكل .. حاول الاهتداء الى الملعقة

ثم اقترب من القصعة، تصاعدت ابخرة «المحاشي» المخللة الى منخريه. اقترب الحراس منه وراقبوه رأوه كيف يهتدي الى الملعقة، وكيف بدأ ببطء ويده ترتجف . وبعد أن اطمأن استقرت الملعقة بيده ..

انتفخت وجنتاه . مضغ الطعام بتؤدة ومع كلّ مضغة كان يرسل نظرة شاملة متفحصة .. وبعد قليل ازدرد القصعة ومن بعدها قصاعاً اخرى كبيرة . لقد ثقل وزنه ، ولكن مع ذلك ظل الجوع صارخاً ، فهتف هل من مزيد . بعدها حرّك اطرافه بقوة،سمع لها صليل القيود «لعل الطعام قد أعجبك» هتف الحراس به ثم زودوه بقصاع جديدة وقناني نبيذ منعش .. انفجروا ضحكا عندما شاهدوا ضحيتهم وشاباً هماماً بالالتهام. وحين عقدوا رهاناً بينهم على كمية الطعام الذي يستطيع التهامه ، وهتفوا : «اتفقنا» .

وانفجرت المفاجأة عندما مضغ ، بلع ، وكرع كل ماقدموه له ..

«انه همام» هتف الحراس .

«هل من مزيد ؟» صرخ صائحاً .. ثم أكل كلّ ماقدم له .. وأكل ، وأكل .. «سوف يفترس حتى فروات رؤوسنا» قال الجميع وقد فوجئوا وهم يرونه يزدرد اكثر من المتوقع ..

وسرعان ماتكسرت القيود عن يديه ورجليه . كبر بطنه وامتد وهو يفترس بشراهة .. راح يتضخم ويتضخم حتى انحنى رأسه والتصقت كتفاه بسقف الزنزانة .. تهشم المقعد الخشبي تحته فوقف عارياً . هرب الحرس من السجن حين رأوه وقد استمر يفترس كلّ ماقدموه له من طعام .. انهزموا امامه بخوف وفزع ، عندما كان يصرخ جائعاً .. تهدم السقف فوق رأسه .. الجدران

من حوله ، وهو غير مبال . استمر يفترس الحراس والاحجار ، ثم افترس البيوت والشوارع .. ومن ثم افترس القاضي وزوجته .. عطش فعبّ ماء النهر كلّه .. وانتفخت تفاحة آدم في عنقه حتى غدت بحجم جرس الكنيسة .. اما ظلّ جسمه فقد زحف ، وغطى الارض كلها .. انني ادون ما اشاهده بما تبقى لديّ من وقت . ذلك لأنني اسمع دوياً قوياً يقترب ، واحسّ زلزلة الارض تحت ثقل خطواته .. .

«آه .. لو كان الجوع رحيماً» .



## هيربوت آيزنرايش (١٩٢٥)

ولد آيزنرايش في مدينة لنتس في عام ١٩٢٥.روائي وقاص وشاعر . قضى نصف حياته في الريف والنصف الاخر في فينا . اراد ان يصبح ممثلاً وهو في الرابعة عشرة من عمره .

من عام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ عاش في هامبورغ ومنها انتقل الى شتوتكارت وذلك عام ١٩٥٦ ومن ثم الى فينا عام ١٩٥٨ . نال جوائز عديدة في الادب . من اشهر قصصه هذه القصة وهي «امراة تطل من النافذة» .

# امرأة تطلّ من النافذة

كانت هذه الغرفة جد مريحة كتلك الغرفة التي كان يستأجرها ساعة واحدة في حي ليوبولد ؛ ولذا فقد كان ممتناً جداً حين دعته لان ينتقل للسكن معها فيها ..

كان قد تعرف اليها منذ عدة اسابيع ، ثم انه زارها بعد ذلك زيارات عديدة.في المرة الاولى كانت دعوة مسائية ، وفي المرة الثانية دعته لليلة كاملة ، ثم دعته لقضاء عطلة نهاية الاسبوع بدءاً من مساء الجمعة حتى صباح الاثنين حين انصرافها الى العمل ، وانصرافه الى المصنع .

في عطلة نهاية الاسبوع التي تلت كان عندها ايضاً ثلاث ليالٍ. لقد حجزت له فراشاً من الريش ، ووسادة ناعمة من الاسفنج الطري الذي كان محفوظاً في المخزن ، منذ ان أُصيبت امها بالشلل ، ولم تستطع العودة اليها من هانبورغ .

حملت هي الفراش يوم الاثنين الى المخزن ، ويوم الجمعة حمله هو الى الشقة ثم بعد ذلك ويوم الاثنين الذي تلا الجمعة تركت الفراش مكانه ولم تعده الى المخزن، فقط غطته بغطاء صوفي.

حضر ايضاً يوم الثلاثاء صباحاً ، ثم عاد ثانية عند المساء . اخرجت نوعين من الاغطية ؛ ومن ثم سألته ، «ايهما يعجبك ؟» قال: «ذاك الاحمر المنقط جميل جداً» «اكيد» هتفت قائلة «قد يناسب ان

يكون ثوباً، لاغطاء لفراش. وعلى الرغم من هذا فهو ينسجم مع لون الجدران» .

لم يتفق الاثنان على لون غطاء الفراش حتى ذهبا في اليوم التالي الى المتاجر المشهورة الواقعة في شارع ماريا هلفر رغم انها تسكن قرية فلوريد ، وهو يسكن في أردبيرغ . يوم الاربعاء انهت عملها الساعة الثانية بعد الظهر ، وسمح له رئيسه بان يترك العمل عصر ذلك اليوم .. لم يجدا شيئاً يعجبهما لا في شتافا ولا في هيرتسمانسكي ، لا في متاجرهما الكبيرة ولا في الصغيرة . في النهاية لم تعجبهما الاقمشة المعروضة كلها . كان في الواقع حائراً في مرادها ، وفيما يعجبها . اخيراً عرف يجب ان يكون القماش مخططاً بلا ورود ودون دوائر او خواتم . ربما بخطوط ولكن ليست رفيعة ، ويجب الاتكون حمراً اوصفراً؛ وطبيعي لاتكون رمادية وربما الرمادية مقبولة لو خالطها اللون الوردي . واحتمال ان تكون مقبولة ايضاً لو خالطها الاخضر مع الازرق ، على ان يكون الازرق فاتحا .

عصر يوم الخميس حضر الى مكان عملها ليخبرها أنه ربما وجد لون القماش المناسب . ذهبا معا الى ساحة مكسيكو حيث سوق الباعة الجوالة ؛ بضاعة رخيصة الثمن وجميلة. بعد ان اشترت القماش اتجها الى المسكن ، وهي ما زالت بمعطفها نشرت القماش على الفراش . كان لونه خليطاً من الاحمر والاصفر وقد نقشت عليه اغصان سود بارزة حارة بين الالوان. ورغم ان القماش قد اعجبه عندما رآه في واجهة العرض، وكذلك على الفراش الا انه سألها فوراً .

«اتعتقدين حقاً ، انه مناسب ؟»

رمت المعطف على الكنبة ، وزحفت على ركبتيها ؛ ثم قصت القماش بالمقص نصفين «امسك بقوة من هنا ؟» ثم «الان من الطرف الاخر . كلا من هناك . بين هذا وذاك إنه مناسب لكل الاشياء هنا وايضاً للجدران ، ثم انظر انه مناسب لفأرتي ايضاً !»

من بين ايديهما تساقطت دمىً كثيرة العدد . امسكت دمية كبيرة وهتفت «هذه فأرتي» كما تسميها .. الدمى تناثرت هنا وهناك وحبيبتها بقيت متربعة وحدها على الفراش «هل تحب فأرتي ايضا؟» .

كانت الدمية كبيرة بحجم طفل .. كانت من قماش الا انها كانت مسطحة اكثر من غيرها من الدمى . كان يكسو راسها وبر اصفر ، وعليها ثوب ذو الوان عديدة غير متناسقة ، رقع من بقايا الاقمشة . لم ينظر اليها عندما سألته ان كان يحبها .

«من المؤكد عليك ان تحبها» وحالاً تعثر المقص في القماش، وكأنه اصطدم بقطعة معدن «لكن لن اغفر لك ان تحبها قدر حبك لي !»

ما زالت تجثو على الارض ؛ ولانه قريب منها وجب عليها ان ترفع نظرها الى الاعلى «لن تخونني معها» ثم اشارت باصبعها الى الدمية «فأرتي ، لن اسمح لك ان تثيريه باغرائك» وبدلاً من ان يردّ عليها حنى جسمه عليها ثم قبلّ رأسها من شعرها الكثيف الاجعد.

جرّته اليها بقوة ثم قالت : «اجل اسمح لك ان تودها فقط ، فأرتي ، انها تشبهني الا تعتقد ذلك ؟ «من الطبيعي» قال «انك احب اليّ منها»

لهذا قررت ان تستبقيه معها دائماً في مسكنها ؛ وهو مؤلف من

غرفة واحدة تنتقل اليها عبر المطبخ الذي لا يدخله النور سوى من كوة صغيرة في الممر الامامي ؛ لذلك تجد المصباح مضاءً دائماً . اما الغرفة فقد كانت مضاءة لانها تقع على فضاء البناية من الخلف حيث تدخـل الشمس بعد الظهر من خلال نافذتين، لذا بمستطاع المرء ان يستحم في داخلها لدفئها ..

وعندما يغلق المرء عينيه ، ويستمع الى المذياع ، يحس كأنه على ساحل كاروله مساءً تهبه الغرفة متعة رائعة حين تكون مغلقة النوافذ مسدلة الستائر ما عدا المصباحين الخافتين وهما يعكسان النور على الاشياء المعلقة على الجدران ، وترى خلالها السقف كأنه مائل .

الاشياء المتناثرة هنا وهناك : الخارطة القديمة لمدينة البندقية والملصقة على خزانة الملابس ، والزهرية القديمة ذات الالوان الغامقة ، وصورتها الشاحبة من عهد الدراسة الابتدائية . وهناك جانباً تقف اكداس من الملفات التي تحوي داخلها برامج السينمات . وعلى الارض في زاوية مجموعة من المصابيح مع مظلاتها المختلفة . علاوة على هذا مجموعات الدمى في خزانة الملابس ، فوق جهاز الحاكي ، خلف وفوق علاقات الملابس الداخلية ، وفوق رفوف الكتب . لقد فكر بكلّ هذه الاشياء ، وكيف يتعايش معها .

فوجودها في الغرفة هو وجوده ايضاً اذ كلما اقترب منها اقتربت منه اكثر .

وهو يتذكر عندما كان تحت التدريب ذلك حين طلب منه معلمه ان يرتب غرفته الخشبية ، وبالطبع مجاناً ، كان في حينه خاسراً قد اضاع جهده بلا جدوى رغم ان المكان كان اصغر ، والممر

كان اضيق . الشيء الوحيد الحسن هو الشباك فقد كان ملوناً ، ويفتح الى الاعلى نحو السماء ، ولكنه كان اكثر ظلاماً . ما كانت تلك الغرفة تحوي سوى سرير ومنضدة ، وحوض للغسيل، وكرسي . الجدران كانت عارية من كل شيء حتى ان المرء كان ليخدع لعدم وجود مقبض يمسك ، ولا مسمار يعلق عليه شيء . اما هنا فهو يعيش هادئاً، محاطاً باشياء كثيرة من الارضية حتى السقف . انه يشعر نفسه هنا محاطاً بجو من العناية والرعاية ، مغلفاً كأنه علبة بلاستيكية ، لكأنه محفوظ برقة في علبة المجوهرات .

لا يدري ما فعل ، ولم فعل ذلك.عندما كان ذات مساء وحيداً في المسكن سحب الستائر عن النافذة ثم فتحها، واطلّ منها . ربما ما حدث امر غير متوقع . الان الساعة العاشرة اراها قادمة رغم انها اخبرتني انها ستأتي في آخر عربة ترام في الليل ، اذ انها ستتأخر في احتفال في المعمل .

كان الشارع هادئاً خالياً لا يسمع وقع حذاء على بلاطه . في نهاية البناية الى اليسار تزحف عربة الترام عبر التقاطع ، لكنه لم يستطع ان يلحظ فيما اذا كان قد نزل احد منه ام لا .. وتدريجياً خفتت زمجرة وصلصلة عجلاته .

نظر الى الجهة الاخرى ولكن دون جدوى فلافتة المطعم المضيئة دوماً كانت معتمة تلك الليلة ، ذلك لان اليوم هو يوم عطلة المطعم . تطلع ثانية الى الجهة اليسرى من الشارع لكنه لم يسمع شيئاً . بعد ذلك حدق الى جادة الحدائق والتي كانت تنار بمصابيح صغيرة يسقط نورها الخافت على بيوت الزجاج المنتشرة على جانبي الجادة ، ثم من تحت واجهة البناية المظلمة لمع نور من مربع . داخل ذلك المربع

تحرك شيء . الترام غادر من عشرين دقيقة وحتى وصول الترام التالي تحمل فترة الانتظار . المرأة التي تطلّ من النافذة كانت تحاول خلع «البلوز» من فوق راسها ، تعلق «البلوز» بضع ثوان في عنقها حتى استطاعت ان تخلصه من «التنورة»،بحركة غير متعمدة مدت يديها لتسريح شعرها . احدى يديها سقطت على احد ازرار التنورة ففتحه ، او ربما فتحت زر التنورة الجانبي ؛ لذلك زحفت التنورة الى اسفل ربما كان السحاب مفتوحاً عند الردف الايسر . من المحطة كان يصله صوت الصفارة ، وهدير الضربات المتلاحقة للترام . ضجيج المحطة كان يصله ايضاً لان الرياح كانت جنوبية . هزت المرأة التي تطل من النافذة جسمها فسقطت «التنورة» الى الارض ، واصبحت تشبه البرميل . انحنت الى اسفل ثم استقامت ثانية . غابت عن النظر ثم عادت . مرة اخرى وفي يدها شيء ، انها الجوارب . وقفت امام المصباح ثم ابتعدت عنه ، ثم عادت كانت في حركة دائبة . توقفت لحظات ثم اختفت من المربع الضيق . وبعدها حركت بيدها الثوب الداخلي الى ان سقط اما على السريرواما على الكرسيواما على الارض . ثم بعد ذلك ، وفي الحال وبحركة يد متمهلة برز الظهر من تحت الاكتاف . وبعد خطوة في عمق المربع ، انطفأ المصباح .. شحطت ارض الشارع دراجة بخارية بقوة قاصدة زاوية الشارع ثم انحرفت حول زاوية البناية محدثة فحيحاً مسموعاً . من هناك حيث مكان المطعم اندفعت خمسة كلاب قصيرة القوائم . بعدها ظهرت الرسامة التي تزين السقوف وهي تسكن هناك منذ. ادرك جيداً الا جدوى من الانتظار ؛ لذا اغلق النافذة واسدل الستارة،ثم فتح المذياع . شرب ما تبقى من الجعة التي كان

كان اضيق . الشيء الوحيد الحسن هو الشباك فقد كان ملوناً ، ويفتح الى الاعلى نحو السماء ، ولكنه كان اكثر ظلاماً . ما كانت تلك الغرفة تحوي سوى سرير ومنضدة ، وحوض للغسيل، وكرسي . الجدران كانت عارية من كل شيء حتى ان المرء كان ليخدع لعدم وجود مقبض يمسك ، ولا مسمار يعلق عليه شيء . اما هنا فهو يعيش هادئاً، محاطاً باشياء كثيرة من الارضية حتى السقف . انه يشعر نفسه هنا محاطاً بجو من العناية والرعاية ، مغلفاً كأنه علبة بلاستيكية ، لكأنه محفوظ برقة في علبة المجوهرات .

لا يدري ما فعل ، ولم فعل ذلك.عندما كان ذات مساء وحيداً في المسكن سحب الستائر عن النافذة ثم فتحها، واطلّ منها . ربما ما حدث امر غير متوقع . الان الساعة العاشرة اراها قادمة رغم انها اخبرتني انها ستأتي في آخر عربة ترام في الليل ، اذ انها ستتأخر في احتفال في المعمل .

كان الشارع هادئاً خالياً لا يسمع وقع حذاء على بلاطه . في نهاية البناية الى اليسار تزحف عربة الترام عبر التقاطع ، لكنه لم يستطع ان يلحظ فيما اذا كان قد نزل احد منه ام لا .. وتدريجياً خفتت زمجرة وصلصلة عجلاته .

نظر الى الجهة الاخرى ولكن دون جدوى فلافتة المطعم المضيئة دوماً كانت معتمة تلك الليلة ، ذلك لان اليوم هو يوم عطلة المطعم . تطلع ثانية الى الجهة اليسرى من الشارع لكنه لم يسمع شيئاً . بعد ذلك حدق الى جادة الحدائق والتي كانت تنار بمصابيح صغيرة يسقط نورها الخافت على بيوت الزجاج المنتشرة على جانبي الجادة ، ثم من تحت واجهة البناية المظلمة لمع نور من مربع . داخل ذلك المربع

تحرك شيء . الترام غادر من عشرين دقيقة وحتى وصول الترام التالي تحمل فترة الانتظار . المرأة التي تطلّ من النافذة كانت تحاول خلع «البلوز» من فوق راسها ، تعلق «البلوز» بضع ثوان في عنقها حتى استطاعت ان تخلصه من «التنورة»،بحركة غير متعمدة مدت يديها لتسريح شعرها . احدى يديها سقطت على احد ازرار التنورة ففتحه ، او ربما فتحت زر التنورة الجانبي ؛ لذلك زحفت التنورة الى اسفل ربما كان السحاب مفتوحاً عند الردف الايسر . من المحطة كان يصله صوت الصفارة ، وهدير الضربات المتلاحقة للترام . ضجيج المحطة كان يصله ايضاً لان الرياح كانت جنوبية . هزت المرأة التي تطل من النافذة جسمها فسقطت «التنورة» الى الارض ، واصبحت تشبه البرميل . انحنت الى اسفل ثم استقامت ثانية . غابت عن النظر ثم عادت . مرة اخرى وفي يدها شيء ، انها الجوارب . وقفت امام المصباح ثم ابتعدت عنه ، ثم عادت كانت في حركة دائبة . توقفت لحظات ثم اختفت من المربع الضيق . وبعدها حركت بيدها الثوب الداخلي الى ان سقط اما على السريرواما على الكرسيواما على الارض . ثم بعد ذلك ، وفي الحال وبحركة يد متمهلة برز الظهر من تحت الاكتاف . وبعد خطوة في عمق المربع ، انطفأ المصباح .. شحطت ارض الشارع دراجة بخارية بقوة قاصدة زاوية الشارع ثم انحرفت حول زاوية البناية محدثة فحيحاً مسموعاً . من هناك حيث مكان المطعم اندفعت خمسة كلاب قصيرة القوائم . بعدها ظهرت الرسامة التي تزين السقوف وهي تسكن هناك منذ. ادرك جيداً الا جدوى من الانتظار ؛ لذا اغلق النافذة واسدل الستارة.ثم فتح المذياع . شرب ما تبقى من الجعة التي كان

قد بدأ باحتسائها قبل المساء،اكل بعض قطع الخبز ، ثم افرغ زجاجة ثانية من الجعة .. انهى قراءة الجريدة ثم قرأ نقداً حول عروض آلة التصوير .. وقرأ اعلانات الزواج واشياء اخرى لا تعجبه اصلاً . تمدد على الكنبة التي تعود لها ، وفي الزاوية المقابلة جلست على كنبة اخرى الفأرة .. كانت ترتدي ثوب حرير وحذاءً اسود لماعاً .

في اليوم التالي كان الجو حاراً ورطباً في السينما التي شاهدا عرض فيلم فيها ، كذلك في الترام . وفي الحال لدى وصولهما البيت خلعت ملابسها عن جسمها قبل ان تسخن الحساء ، وهو بدلاً من اسدال الستائر فتح النافذة لان الجو داخل الغرفة كان خانقاً . وبنظرة منه الى واجهة البناية المقابلة فزع وخجل،خجل لدرجة اغلق معها النافذة بسرعة . ثم بعد هذا وجد ان ما عمله سخيف ولا يوجد ضير من ترك النافذة مفتوحة . فتحها ثانية اطل منها وراح برغبة يحدق الى الجهة المقابلة بحيث غرز بصره في كل امرأة تتطلع من نافذة مما اجبرها على ان تطفىء نور غرفتها . في غرفته مساء البارحة كان النور ساطعاً . خاف ان تكشف امره فابعد نظره عن تلك الجهة .

في المساء التالي وفي وقت كانت تنشغل فيه بخياطة واصلاح بعض الثياب ، توجه الى النافذة واطل منها. وحالاً وبنفس اللحظة أضيء النور هناك . كانت تزرر (البلوز) لكنها هذه المرة استغرقت وقتاً اطول لم تنتزع التنورة عن الردفين بسهولة .. بعد فترة وضعت يدها على جبينها ومن ثم اختفت المرأة من مربع الزاوية . بعد دقائق ظهرت ثانية، يداها على وسطها من القفا وجسمها منحن الى الامام

قليلاً. ومن ثم ساد ظلام .. بعد ذلك مرّت ايام دون شيء حتى كاد ينساها ..

عندما كان وحيداً في غرفته نظر الى الفأرة التي كانت ترتدي ثوباً مطرزاً وبلون وردي . تذكر فوراً سيدة النافذة هناك . اطفأ النور لكيلا يرى . تناول الناظور ، وبسرعة ركز بصره على مربع الزاوية . في الوقت نفسه ولجت المرأة الغرفة ثم فكت ازرار ثوبها من البداية حتى النهاية . قطعت الغرفة طولاً ثم عادت يرفرف ثوبها ، ثم وقفت طويلاً وكأنها مسمرة بقوة داخل حدود المربع . تقهقرت عدة خطوات الى الداخل ثم سقط ثوبها من كتفيها . اختفت وراء دكة النافذة ، وبعدها ساد صمت ، وعندها لم يستطع ان يهتدي لمكان اختفائها . اعتقد ان هناك في الجانب الايسر من الغرفة صندوقاً بمستوى دكة النافذة ..هناك احتمال بان السرير يقف في العمق النهائي من الغرفة،ابصر المرأة ولكنه لم يستطع رؤية ما وراءها . في الليل حاول ان يرسم صورة لغرفة المرأة في مخيلته ، ويوزع الاثاث داخلها . لم يستطع رسم الصورة حسب وضعها الصحيح الذي شاهده بسبب اختلاف المسافات..ترك الامر لمخيلته .

وبدءاً برسم صورة المرأة اولاً تمكن حتى الان ان يرسم صورة عامة عنها.لجأ الى طرق ملتوية لاكتشاف المزيد عن الغرفة ، لكنه لم يستفد شيئاً. في المساء تسكع عدة مرات امام الباب ، لكن النور لم يكن كافيـاً وحـين فكـر في الاستفسـار عن ذلك من الاخرين. وجد الطريق مسدوداً .. شاهد رجالاً يتركون البناية قبيل الساعة الثامنة صباحاً .

يومـاً طلب اسـتـراحـة طبيـة من العمـل. وقف طوال ساعـات

امام البريد، شاهد عدداً يربو على عشر نساء يطلّ من النوافذ .. استقل وراء احداهن عربة الترام ، وفي داخلها تبينت ملامحها بوضوح، لكنه لم يستطع التعرف اليها : هل هي فعلاً سيدة النافذة؟ لانه لم يكن يبصرها جيداً من نافذته . المرأة في الترام كانت في العشرين، طويلة ذات شعر كستنائي يبرز من تحت قبعتها الحمراء . ثوبها الرمادي يدفع المرء لان يحدق الى جسدها الممتلىء طويلاً ، ولكن ليس لسيدة النافذة ثوب مثل هذا ترتديه .. نزل من عربة الترام عند المحطة التالية . يوم الاحد سافرا الى هانبورغ لزيارة امها . جهزا نفسيهما بملابس السباحة لكي يسبحا في مسبح الغابة .. ثم تجولا وتسلقا قمة جبل براونبوغ . كانت الشمس تقف في العمق غرباً ، والجزء الشرقي من الجبل يقع في منطقة الظل .

والارض المسطحة المحددة تسطع بلونها الذهبي ، وفي الافق ترى نهايات السماء تختفي بارتعاش .. كانت البيوت المتناثرة ، الشوارع ، والطرقات والاشجار تلامس هاماتها السفح. كل الاشياء على الارض السهلة على مدّ البصر تبدو من فوق ضئيلة . تبدو اصغر من لعب الاطفال، هنا سيارة تدرج ببطء ، واخرى هناك اكثر بطءاً . من احدى المداخن يتصاعد دخان . كان الناس يتحركون بهدوء . وكلما اطال النظر الى الارض بان جمالها وحيويتها ، ولكون المنطقة صغيرة ، فبالتأكيد يبدو كل شيء فيها متحركاً ، ويعطى انطباعاً اكثر واقعية ومن هنا ينظر اليها المرء وكأنه من كوكب اخر . قال : «اريد ان اتبين ما الذي يفعله الناس هناك ، هناك في الحديقة يسار البيت ذي الحجر الاحمر تحت اقدام جبل فاينبرغ». اردفت هي قائلة «هناك منظار» ثم اقتادته بين مجموعات عديدة من الجمهور الى

منطقة قريبة من حافة الجبل . هناك كان ناظور ، ولكن فتحة رمي النقود فيه كانت معوجة ، لذا لم يعد باستطاعة احد استعماله . رجل دعاهما للنظر بناظوره الخاص وهو يحدق الى الطبيعة،هتف حالاً «كانت امنيتي دوماً ان يكون لي ناظور» قالت :«لكن الناظور يكلف»غالياً اجابها «انني لم اكن جاداً بقولي،لا تفكري به !»

عندما عادا يوم الاثنين الى البيت ، ارسلته الى المطبخ . وعندما سمحت له اخيراً ان يدلف الى الغرفة،شاهد جسماً صغيراً اسود على فراشه . لم يكن اكبر من المنظار المستعمل في دور الاوبرا . لم يكن ملوناً ولا بثلاث ارجل ، بل انه اسود ويشبه ناظور الرجل على جبل براونبرغ وان كان اصغر منه بعض الشيء : هو صغير لا يسدّ كلّ الحاجات «ارجو الا تكون غاضباً» قالت . واكيد فانه لم يكن غاضباً بل خجلاً .

لم يجرؤ على ان يجرب الناظور ولم ينظر من النافذة أياماً طويلة . سألته : كيف ننظر به ؟ لهذا السبب تناول بيده الناظور ، واطلّ من النافذة . وراح يضبط العدسة على المسافات البعيدة الواقعة الى جهة المطعم ، والى الابعد منها ايضاً ، ثم الى الشارع يساراً حتى محطة الترام .. كذلك سير السماء نحو الخط الذي تسلكه الطائرات . في كلّ هذه المحاولات لم يصطد شيئاً في عدسة ناظوره .. بعدها ابصر هناك جانباً من مزارع البنجر ، ثم سطوح البنايات المقابلة لمسكنه ، ثم حصر في عدسته مربعاً بدأ يضيق حلقة العدسة ليتأكد : مثل هذه النافذة التي امامي لا أدري ان كانت تعود الى

هذه المرأة .. بعينه المجردة كان يبصر النافذة بوضوح : السادسة من اليسار والثانية من الاعلى . إنه يحتاج الى وقت طويل لكي يتعلم كيف يجدها حالاً بالناظور .

في المساء لم يهتدِ للنافذة ايضاً حتى اشتعل النور في الغرفة . حالاً وبعد ان ثبت العدسة على النافذة، حلّت المرأة رباطاً عريضاً فاصبح الثوب كلّه معلقاً من جانب واحد ، مائلاً رافعاً ثقله عن جزء حساس . اظلمت العدسة حين نزعت ثوبها من فوق راسها ، ورمته الى السرير . كيف حركت جسمها اثناء نزعها الثوب .. كانت الصورة مشوشة، ابصر فقط كيسين يهتزان بعنف . ادار العدسة بقوة فابصر النور يتأرجح هنا وهناك . ثم تمكن من تثبيت الصورة ثانية.بعد عدة محاولات لتوضيح الصورة ولكي يستقر بصره تحرك يميناً يساراً . كانت المرأة هادئة كفّها على شعرها تداعب باصابعها خصلاته . لكن الصورة ما زالت متحركة . ترقص من اعلى الى اسفل ، وتندفع احياناً جانباً خارج مدى العدسة، من شدة نزقه رمى الناظور بقوة على الكنبة امام قدم الفأرة .

عندما سمع صوت مفتاح الباب الخارجي اخذ الناظور واعاده الى مكانه الاعتيادي . حين عرضت له انها جلبت للفأرة ثوباً جديداً هتف فجأة قائلاً :

**«انجاز عظيم» وهو يفكر في الناظور. نظرت اليه، فأبعد نظره** عنها ؛ بعد ذلك كوت له قميصه .

بعد ايام انفرد في المنزل لم يحتج الى وقت طويل لتثبيت الصورة ذلك لانه صار الان على قدر كبير من المران والدربة . فاجأها تحرر جسدها من ثوب الماني الزيّ . وبعد ذلك امتد الوقت معها في فك

شريط عليه وردة . كان مثبتاً على القسم العلوي من جوربها. كان يرتعش وهو يثبت بصره ، متمنياً ان تدير وجهها اليه كي يحظى بدراسة ملامحه . تدلى الشعر حاجباً صفحة وجهها ومخفياً عينيها حين انزلت رأسها . أوجعه إدامة اسناد مرفق يده الى حافة النافذة . وعندما ذهب ليجلب شيئاً يشربه . اطفأت المرأة النور،لم يحظ حتى بزجاجة واحدة من الجعة في الثلاجة . وعندما عادت صاحبته اشعرها بتذمره من عدم توفر الجعة،قالت له «المشرب ليس بعيداً . ساذهب واجلب لك زجاجة . وعندما عادت بها لم يحتس الجعة اثناء ما كانت هي مشغولة بغسل الاطباق في المطبخ .

في الايام التي تلت كان الجو سيئاً . امطرت بغزارة ، ولم يستطع رؤية شيء . بعد ذلك ابصر يوماً صدرية صفراء صارخة في الشباك،ثم راى شيئاً اخر في يد المرأة . راحت تشمه ثم رمته بعيداً من خلال النافذة .

عن غرفتها ما زال يجهل الكثير ، وعندما كانت تدخلها فانها تلجها من الخلف من الجهة اليسرى . لابدّ ان مدخلها من هناك وفي عمق الغرفة يساراً لابد ان يقع زر المصباح بالقرب من الباب كما هي العادة .

تسكع احياناً امام باب البناية . ودقق في كلّ امرأة ذات ثوب رمادي ، غير انها ليست المقصودة . بعد تردد طويل ولج ممر البناية مرة . كان الممر يقسم البناية الى قسمين ، لكنه لم يثبت اي اسم لا على اليسار ولا على اليمين، كما هي الحال في المباني القديمة. **أراد ان يعرف فقط فيما اذا كانت تسكن هنا وحدها أو تسكن مع عائلتها؛ وفيما اذا كان البيت مؤجراً أو لا، وأية غرفة**

هي غرفة نومها .

يوماً وقبل الظهيرة تشجع فذهب الى البناية ، وفتش في قسميها واضعاً نصب عينيه جهة الوسط ، لان نافذتها تقع وسط الواجهة ، وقد يعود الجزء الوسطي الى احد القسمين . اهتدى الى فكرة هي ان يسأل بواب البناية او احد ساكنيها ، مدعياً ان له صديقاً يسكن هنـا، وقـد يظفـر بجواب او معلومة (متعمدا صعد الى الوسط حتى يكون قريباً من المكان) وراح ينتظر احداً او صوتاً . ثم سمع صوت باب يفتح في الطابق الثالث . انه غير واثق بانها تلك الغرفة التي تطل المرأة من نافذتها . في هذا الممر توجد ستة ابواب وفي الممر المقابل توجد سبعة . في غرفته كان قد رسم تصوراً في ذهنه للبيت والغرفة،اخذ الان بمطابقة هذا التصور . وبعد محاولات متكررة للتسكـع امـام البنـاية وداخل الممر وفي الطابق الثالث، صار يخشى ان يلفت انتباه احد من السكان او المارة حتى أنه استخف بمحاولاته هذه : لانه لا يعرف ولا صلة له باحد من سكان البناية .

لكنه . يعرفها اجل ! يعرف «التنورة» والسّحاب على الردف الايسر ، وكذلك شريط الجورب مع الوردة ، والثوب الالماني الزي . اذن فهو يعرفها جيداً لانه يعرف حتى بأية يدٍ تثبت ازرار حمالة صدرها . يعرفها جيداً من ثوب لبسته دقائق قليلة حتى تصبب العرق على ردفيها . انه يعرف ايضاً انها لا تطالع كتاباً عندما تضطجع على الفراش بل تعيش في عزلتها . ويعرف كيف يعاني جسمها بسبب وحدتها ايضاً من آلام العصب المستمرة . إنه يعرف ظل يدها التي تضعها على جبينها . يعرف مكان باب غرفتها وكذلك مكان زر المصباح في الغرفة . كلّ هذا كافٍ لكي يشعر بانه جزء

مكمل لها . الخريف حلّ بجوه الرديء . الضباب انتشر حتى بالازقة الضيقة ، والمطر انهمر باستمرار، هذا ما جعله لا يراها من النافذة الا نادراً وحين يراها لا يجد فيها جديداً غير ان الثوب اخذ يعلق في الجهة اليسرى من خزانة الملابس واشياؤها التي كانت تعلق على الرف صارت ترمى على الفراش ، الاشياء التي كانت يعتنى بغسلها تُعاف على الارض .

الملابس الاخرى التي كان مكانها الجهة اليمنى من الخزانة صارت تعلق على علاقة فوق المرآة .. الكتب محشوة بين المذياع والحائط كي لا تسقط ، وعلى الحائط صور منسقة منها الملونة ومنها المؤطرة بيضوياً . عند الزاوية اليمنى ينتصب مكتب ، يجلس عليه سكرتير امامه بعض الاوراق ، ومنضدة صغيرة تقف جنب السرير ، من جهة الراس بين باب الغرفة والسرير ، وعليها ساعة منبه ، وعلبة زرقاء في داخلها خاتم وقلادة، وصورة لاودو يورغن ، مهداة إليها بخط يده .

في ساعات الارق ، وبسعادة ، أبعد الالم عن قلبه ، ثم بدأ بتغيير اثاث الغرفة . دفع الصندوق الى مؤخرة الزاوية اليمنى وسحب المكتب الى امام قريباً من النافذة، هكذا يكون مكانه عملياً كي يدخل النـور من الخلف، ثم اختـار لهـا مظلة للمصبـاح، اشترى شموعاً عسلية اللون ، ووضعها فوق اصص كبيرة مزدانة بزهور صيفية . لم يعد يرى المرأة نفسها الانادراً لانها غالباً ما تكون خارج المنزل .. اذن لا داعي لان يطل من النافذة، لقد ظل يعيش فقط على ما يحتفظ به قلبـه. يتـابـع خطوهـا في روحـه. أنّـه يعيش معهـا هنـاك رغم وجوده هنا .

لم يحدث بينهما شجار أو جدال. ومن غير مناقشة قالت له صاحبته بجفاف «في حياتك امرأة اخرى . ارجوك ، اغرب عني !»

ما حدث له يشبه الحلم ، وجد نفسه لكنه لم يحس بها، بل راى نفسه هكذا مثلما يرى المرء شخصاً اخر، يتطلع اليه ويقرأ ما يبدو على اساريره «انه كان كمن دهته صاعقة على راسه» مثل هذا الامر كان يجب حدوثه ، لان كلّ الادلة ، الاحتجاجات والبراهين كانت في ذهنه ، لكنه كان مشلولاً غير مستعد لان يفوه بكلمة واحدة ؛ لذلك لم ينبس ببنت شفة . ثم قالت له : «انا لست حاقدة عليك ولا نريد ان نتشاجر » وعندما لم يرد بشيء ، ولم يحرك ساكناً اكملت «علي ان اتسّوق الان،وحين اعود الى البيت ارجو الا اجدك هنا فعلاً»..

من المطبخ وهي ترتدي معطفها هتفت له قائلة : «المفتاح الذي معك ارمهِ في صندوق البريد ، انا لدي مفتاح اخر» وخلفها اغلقت الباب بالمفتاح .

لملم ما يعود له: آلياً جمع اشياءه وآلياً دسهّا في الحقيبة. ثم نظر من الباب الى الخارج . ثم تطلع الى الداخل فلم ير شيئاً سوى الفأرة بثوبها الملون للثقب منقلبة على جنب ووجهها الى الاسفل واحس نفسه سعيداً عندما اصبح في الخارج .

قادته قدماه من حيث لا يدري الى باب البناية هناك ؛ يساراً اتجه نحو الطابق الثالث ، والى المسكن هناك حيث كان يرصده من مسكنه . وقفت امرأة شابة قاربت العشرين سنة طولها يقارب طوله ، كستنائية العينين ، ثوبها الاحمر الفاتح يلتصق ويشفّ عن جسدها المكتنز،في عينيها لم يكن هناك اي تساؤل ولو مرة واحدة .

انه يحتاج لوقت طويل حتى يخطر بباله كلام : السؤال . تعثر

السؤال عن صديقه على لسانه . «هنا» هتفت المرأة «لا يسكن احد باسم السيد بليهاش» تمتم قائلاً : «ربما في الجانب الثاني» لكن المرأة استمرت بالكلام :« اكيد ليس هنا في الطابق الثالث كله ، لا يسكن شخص باسم السيد بليهاش .»

في هذه الاثناء رفعت ذراعها اليمنى ثم ركزت اصابعها على جبينها ومن ثم حركتها «اجل» سارت وهي تقول «ربما في القسم المقابل» ثم هتفت :

«هالو ، انت» نادت خلفه صائحة

بعد ذلك وجد نفسه في غرفته القديمة ، كان يعتقد انه اصطدم بسلم البناية،كانت الغرفة باردة جداً ؛ لانها لم تعرف التدفئة منذ فترة الا انه لم يحس برودتها أول وهلة . وبعد ان صار جوها دافئاً احس بالبرودة فراح يرتجف . .

اضطجع على السرير،ورغم ان الغرفة كانت صغيرة إلا أن الجدران حوله بدت بعيدة جداً عنه .



## فريدريش هوخ (١٨٧٣ - ١٩١٣)

ولد هوخ عام ١٨٧٣ في براونشفايك وتوفي عام ١٩١٣ في ميونيخ . كان من الادباء الرومانسيين وكان قاصّاً وكاتب مسرحية . انه ابن اخ الكاتبة الرومانسية ريكاردا هوخ . درس الفلسفة منذ ١٨٩٣ في ميونيخ وبرلين وباريس .

# الطالب الشاب والرجل العجوز

الطالب الشاب الخجول والرجل العجوز كانا يجلسان دائماً متقابلين في مطعم «قلعة الفرسان» الصغير ظهراً . لا يعرف احدهما الاخـر، الا انـه كان يربـط بينهماتفاهم صامت بلا شك، يحسه كل واحد منهما ، وجد الطالب راحة في مشاركة هذا الرجل العجوز في هذا الصمت الهادىء والصداقة الخفية ، حين يحس بوحدته على المائدة .. هذا الشعور امتزج بفضول العجوز الهادىء وباعجابه ببراءة الشاب .. نظرات هذا الرجل تطمئن أحاسيسي نحوه احياناً بتحفظ ولطف خفيين . قد اعرف شيئاً لكني لم ابح به ..تراه مهموماً حزيناً بين رواد المطعم .. عامل المطعم يناديه «السيد المتقاعد» وهو يلبس نظارة ذهبية كبيرة . تشفّ من خلالها نظرات حب واهتمام. كان شعر راسه ابيض رمادياً. مضت اسابيع على هذه العلاقة الصامتة .

مرة حدث هنا اشكال : اضاع السيد العجوز طقم اسنانه اتجهت نظرات رواد المطعم نحوه مصحوبة بابتسامات ، ثم تحولت الى ضحك واصوات تشفّ عن الاستهزاء . أحمر وجهه خجلاً . وتوزعت نظراته على الرواد وهو يثبت طقم اسنانه ،-بعد ان عثر عليه ـ في فمه .. نظرات لماحة تتسارع سرعة اجزاء الثانية . اخيراً استقرت في عين الطالب وكأنها تريد ان تسأله أحتى انت من هؤلاء

الذين بلا قلب ، من هؤلاء الناس المتحجرين الذين يلتذون بعذابات الاخرين ؟ لكن الطالب لم يشارك بالضحك ، كان يبدو محرجاً محمر الوجه ، وقد بقيت عيناه مسمرتين بالارض .. تملكته رغبة قال في نفسه: سأتعرف الى الرجل اليوم بعد الفراغ من الطعام، أشار الرجل العجوز بالشكر والاحترام للطالب مرات عديدة ، بنظرات فصيحة معبرة ، ذلك لانه اعتبر صمته استنكاراً لفعلة الزبائن وهو بهذا اوقفهم عن الاستمرار في السخرية .

دفع الطالب النقود الى العامل ، فاسرع الرجل بالدفع ايضاً ، هناك في الشارع اقترب من الطالب .

«سيدي» هتف الرجل «انا اشكرك على رفقتك الصامتة على المائدة ! جلوسك معي اثبت لي بأنني احمل لك شيئاً في قلبي ومنذ فترة في ايامنا هذه التي نعيشها والتي اقفرت من الطيبة والانسانية تريح المرء اية لمحة صادقة رقيقة !»

في الوقت الذي حاول فيه الطالب ان يجيب ، شعر بيد مسنة ، باردة ، طيبة تضغط بقبضتها لتعفيه من الاجابة .

«هذا ما اردت قوله لك» بدأ الرجل العجوز كلامه واكمل «انا لا اريد ان آخذ من وقتك بتقديم كلمات الشكر هذه. مبدئي في الحياة الا اكون ثقيلاً على أحد على الرغم من ان عندي الكثير لاقوله لك!.

أدهشت الطالب المفاجأة . ان يكلمه رجل في سن جده بلهجة احترام ، وهو الذي غادر مقعد الدراسة بالامس . كان هذا الامر غريباً وجديداً عليه . وفي نهاية الامر اثار عنده الفضول لاكتشاف سرّ هذا التعامل الذي احسه لذا اجاب الطالب بحرج اجابة سريعة غير واضحة .

«ليس لدي اية فكرة عما تعنيه بأن المرء يصبح ثقيلاً على غيره، هكذا تجدني معك الآن. اضيع وقتك ومع ذلك فلسمو اخلاقكم ولطيبة قلبكم تقف ـ حضرتكم ـ وتتحدث الي».

كان وقع هذه الكلمات على الرجل كبيراً ولذا فقد خفّ مسرعاً وقدم نفسه معرفاً الطالب باسمه الحقيقي .. وبالمقابل نطق الطالب اسمه بسرعة وقبل التعارف بشعور صادق ..

كان اسمه مخالفاً لما يطلقونه عليه .. السيد مايير ..

اقترب العجوز منه وسارا معاً

«أتعلم» بدأ الرجل بعد صمت قصير حديثه «اني عزمت على ان ابوح لك بأمور خاصة ؟ منذ فترة وانا ارغب في التعرف اليك حيث راقبت هدوءك ، وكان أملي ان يستقر الحنان في ذاتي مرة اخرى . انا الذي عزلت نفسي عن البشر كلهم .. انت بصمتك وحيويتك تذكرني بانسان ..» تلعثم ومن ثم اكمل حديثه . «اتذكر ولدي بالتبني . توفي منذ زمن . منذ زمن بعيد . وكان عمره في مثل عمرك اليوم . يمتلك حناناً مثل حنانك .. بياض الوجه ، ملامحه .. نظراته كلها شبيهة بك»

صمت السيد مايير .. كان الطالب يشاركه بفتور مجاملاً، فقد فوجيء بذلك ولم يعقب بشيء . شعر السيد مايير بنوع من التعاطف معه . واعتقد ان عليه ان يتركه الان «هل تهمك قصته ؟» لقد اثقلت عليك بحديثي هذا» ، اشار الطالب بحركة تشجيع للرجل على الاستمرار بالكلام .. تحدث هذا طويلاً ، مرة بشرود ذهن ، ومرة بعدم التركيز على موضوع معين . واخيراً اختتم تلك الاحاديث بقوله «ان هذه القصص لا تعني احداً ، فكلها ترجع بتاريخها الى عشرات

من السنين الماضية ، لكن نظراتك وملامحك تبعث في الحيوية !
ارجو الا تغضب صدقني انني كثير الكلام ، وان كنت لا اتحدث الى
ايما شخص ، انا وحيد في هذا العالم ، احيا بتواضع رغم قدرتي
على العيش الافضل ـ انني انفق اموالي على الفقراء ، ومع هذا فلا
احـد حتـى الآن يدري ان لدي الامكـانيـة على فعـل ذلك..!»
اسف الطالب لوضع الرجل العجوز . وتألم لألمه . نبرة صوته
الهادئة جعلت الطالب يتغلب على خجله ، ويعتقد ان الواجب يحتم
عليه ان يحسن معاملة الرجل ، ولذا فحين توقف السيد مايير عند
الجسر ، ووقوفه كان يعني أنه قد اثقل على الطالب ويكفي حديثاً
معه اليوم،فاجأه الطالب برغبته في مرافقته والسير معه مسافة ابعد
لو سمح له .

تقدم منه السيد مايير بسرعة وحيوية وبكل سعادة ، وسأله عدة
اسئلة كان الطالب يودّ ايضاحها من قبل : عن حياته الشخصية ،
وعن اصدقائه ، وعن دروسه ومحاضراته .. وبينما كان الطالب
يجيب عن اسئلته ، كان هو يفكر باحضار اسئلة جديدة .. لكنه كان
متردداً في طرحها لا يدري ان كانت واردة في هذا المقام ام لا .

ولدى وقوفهما عند المفترق ، لمح الطالب في عيني الرجل حرارةً
واملاً غير مؤكد ورجاء وهو يقول بتردد :
«اذن فانت تعيش وحيداً ايضاً ورفقتي لك لن تشعرك بالملل .. ربما
لن تكـون هذه المـرة الاخـيرة لنـا لنتنـزه معـاً؟» وثم احمـر وجهـه
خجلاً «سأسعد كثيراً لو تتقبل مني تذكرة لمسرحية يوم الاحد
القادم ، اتتقبل هديتي ؟»

ما كان بوسع الطالب ان يرفض هدية كهذة . لقد فرح بها

كثيراً . وحالاً وبأقل من ثانية وجد في نفسه قبولاً لها . نظر اليه نظرة لا تقبل النقاش . في اليوم التالي وحين دلف الى المطعم ، وجد السيد مايير امامه على المائدة قال هذا إنه كان ينتظره وصحن الحساء امامه..بعد ذلك خرجا معاً للنزهة وكرراذلك ثلاثة أيام تباعاً .. هذه القاءات الرتيبة والمتكررة كانت غير محببة للطالب، ولكن حين سأله السيد مايير ان كان عنده برنامج آخر ، قال الطالب قولاً حقيقياً مناسباً : كلا ومضت الايام على هذا المنوال .

بعد مضي اسبوع تقريباً اكتشف أنه يلهو .. قال بنبرة ملؤها الفرحة «فكرت ملياً في الايام الاخيرة خاصة يوم امس واليوم : اصواب ما أفعله ،ـ وانا الرجل المجرب ـ بان اسرق منك اوقاتك ، وعواطفك وربما سوف اسرق منك اكثر لو امتدت علاقتنا الى المستقبل ؟» لدي احساس : ان بامكاننا ان نصبح اصدقاء ! قل لي وبقلب مفتوح : ان كانت زمالتي تثقل عليك لانسحب والى الابد ، وساتقبل رايك بتفهم ! ببساطة وبلهجة خالية من النبرات الرهيبة قال كلماته . ومرة اخرى اثرت كلماته في الطالب وجعلته يحس بالكثير الكثير من الالم . تملكه شعور : عندما يعرض علي شخص ما صداقته التي تحمل حباً صادقاً حاراً فعليّ ان ابادله الشعور نفسه وفي الوقت الذي اكون فيه اصغر من السيد مايير بسنين عديدة ، ستكون مني القساوة عينها لو صدمته بالتصريح بأنني ومنذ مدة ام اعد اطيق صحبته ، مثلما اراد هو لجوابي ان يكون صريحاً .. لذلك فقد هيأ جواباً اوضح فيه أنه سعيد جداً بكونه دوماً برفقة السيد مايير ، اصبح العجوز معه منشرح الصدر مطمئناً ، ومن ثم ضغط

على يده تعبيراً عن شكره . بعد ذلك اخذ الاثنان يلتقيان يومياً للنزهة ، ثم دعاه السيد ماير لتناول وجبة طعام في مطعم من الدرجة الاولى مساءً . وكثرت اللقاءات حتى امتدت لمرتين في اليوم وفي كل مرة كان السيد ماير ينتقي اشهى المأكولات واغلاها للطالب وبدا الاخير الضيف الابدي عنده ، من حقه ان يتناول ما يشتهي لكي يعوض عما فاته في سنين الجدب الماضية ويحقق جزءاً من احلامه .

اول الامر ابدى الطالب اعجابه ورضاه لتطور هذه العلاقة . كان يحس بمزاج متعكر ، ويشعر بملل يتسلل بهدوء اثناء ما كان يحتمل سماع القصص القديمة التي يسردها السيد ماير عن ولده بالتبني وعندما سأله السيد ماير رأيه في ان يطلق عليه اسم «السيد هانيرش» سارع الطالب بالقبول . كان ذلك تعبيراً عن جزء من امتنانه . اما السيد ماير فقد كان سعيداً جداً ، ولم تصدق اذناه ما سمعه من جواب فهتف :

ان هذا تجديد في حياته ، وانه صار كشجرة جفت عروقها ثم بعثت بها الحياة من جديد .

صار الطالب الان يحيا حياة راقية مترفة . احس السيد ماير بحراجة ظروف الطالب المادية لذلك اخذ يقدم له تذاكر المسرح واحدة تلو الاخرى . وصار ينفذ له كل حاجاته ورغائبه .

«ولكني لا استطيع ان احصل على كل شيء منك ، لان ذلك يكلفك غالياً» هذا ما قاله له الطالب يوماً حين تحرك في داخله احساس قديم بعدم الارتياح من كل ما يفعله السيد ماير .

«تستطيع ان تحصل على كل شيء» اكد السيد ماير قائلاً «مني تستطيع ان تحقق اية رغبة» وهو يضع يده الابوية على كتفه تعبيراً

عن حنانه وحبه . مع عواطف كهذه لم يبق امام الطالب سوى اللهج بالشكر له .

وبلا شك فكر الطالب احياناًفي السيد ماير اكبر منه سناً، وليس من المناسب صحبته..وفكر في ساعات الضجر التي يشعربها خلال صحبته .. احياناً يداهمه شعور بان يتركه ويذهب عنه الى البيت الا انه كان من المستحيل عليه ان يفاتحه بذلك ، ذلك لانه يحس كثيراً بالاعجاب به .

«هل حقاً انا معجب به كثيراً ؟» كثيراً ما نبع من ضميره هذا السؤال الصامت ونبعت معه اجابته«حتماً! والا لما قدمت له فروض الشكر !»

في البداية كان الطالب يرتاد المسارح والحفلات الموسيقية دون صحبة السيد ماير ويوماً وجد السيد ماير بانتظاره خارج المبنى على قارعة الشارع مساءً . في اللحظات الاولى تملك الطالب شعور بعدم الارتياح وبالفزع الا انه تدارك الامر ، وتقدم منه بدلاً من ان يختفي مسرعاً ، متظاهراً بالفرح بهذا اللقاء المفاجىء غير المتوقع . ووجب عليه ان يحدثه عن تلك الامسية الرائعة،كان السيد ماير فرحاً جداً ومنبهراً بالوصف الفني الذي عرض به الطالب مشاهداته . ولم يلحظ عليه بانه كان يمثل في كل حركة وكلمة يقولها .

وصارت عادة مقبولة ان ينتظره السيد ماير كل مساء ثم يذهبان معاً الى المطعم

استلقى السيد ماير على فراشه ليلة . وفكر طويلاً سائلاً نفسه . لماذا لا استغل هذا الرضا والاعجاب بقبول صحبتي من الان؟

واذهب فاقطع تذكرتين بدلاً من واحدة.فوجيء الطالب مفزوعاً يوماً عندما شاهد صديقه العجوز داخلاً الى المسرح جالساً الى جانبه .. ياالهي ! كنت دائماً لوحدي هنا في الاقل .

ولكن أكان باليد من حيلة ؟ ارتسمت على محياه فرحة زائفة مقرونة بالفزع ، ذلك عندما وضع السيد مايير يده على كتفه .

في الموعد الثاني المقرر للمسرح ، كذب عليه والالم مرسوم على وجهه والحنق يمور داخله قائلاً انه مرتبط بموعد ذلك المساء ، و إنه لا يستطيع الذهاب الى المسرح .

«أسفاً» هتف السيد مايير بصدق وحزن ، وراح يحدق الى اسفل المنضدة وهو يقول «حسناً» وهل لديك مجال في الغد ؟

تطلع الطالب في عيني العجوز بتردد ، وكأنه يدرك ان العجوز يقرأ كل ما في ضميره .

«لا ادري ..» اجاب الطالب «انا اعتقد .. هذا يعني ..» رنا اليه العجوز عدة مرات وفجأة لمعت في عينيه نظرة كنظرة حيوان مقيد يشم رائحة مريبه .

«كلا» اجاب الطالب بسرعة «لقد تزاحمت في ذهني المواعيد» احجم السيد مايير عن الكلام حين قرأ سؤالاً على وجه الطالب . ارتبك الطالب وغمغم بكلمات مبهمة .. تضاعفت قسوة قلبه وسوء ظنه حين تناقض شعوره الظاهر مع الباطن .

لا .. لا يمكنني الاستمرار بهذا الشكل .. يجب ان اغير ذلك ، فكر الطالب في ذلك عندما عاد الى البيت ولكن ماالسبيل للتخلص من هذه الورطة ؟

تضاعف حب السيد مايير للطالب مما اوقع الطالب في صراع مع

نفسه اذ وجب عليه ان يعتذر للعجوز .. غرق الطالب في دوامة دائمية وتفكير عميق حتى يصل الى طريقة يتخلص بها . لاحظ السيد ماير الازمة النفسية التي يمر بها الطالب ، لكن الشاب كذب عليه عازياً ذلك الى سماعه انباء سيئة عن عائلته . وحالاً شاركه العجوز حزنه ، بمشاعر رقيقة صادقة .. في الوقت الذي كان فيه الطالب ينسج خيوط قصته الخيالية . يالهي كيف اتخلص من ورطتي ثانية ؟

انه لا يقدر على ان يواجه بالسيد ماير ثانية ، وعندما يبصر شخصاً قصير القامة، عريض المنكبين، مدور الوجه، سواء أمن قريب أم بعيد ولا يستطيع ان يتحاشى مواجهته تنتابه الحيرة، ماذا يفعل . عندما يراه وهو ينظر اليه يصبح اعزل ، ويفقد اعصابه . انه لا يستطيع ان يبعد عنه الافكار السوداء ويظهر احياناً أنه يصغي الى حديثه ، مع انه شارد الذهن .

ووصلت به الحال حداً صار يراه في منامه وهو يسرد عليه القصص والاحاديث الطويلة ثم يصحو الطالب من حلمه فجأة وحين يفتح عينيه يهتف، يالهي لقد كنت نائماً حتماً، ويحمل وسادته مرتجفاً محاولاً معاودة النوم من جديد ، كيف اقولها له .. كيف اجد الوسيلة والشجاعة على ان اقولها له . كان هذا التفكير يشغل كل يومه الا انه لم يصل الى قرار . لقد هربت منه الكلمات . قال في نفسه : «كل محاولاتي ذهبت هباءً .. ولم احقق شيئاً ذا قيمة» . شعر الان بان هذه الحالة ستدوم كقدر لا مفر منه ، ولكنه كان على ثقة بالقدرة على التخلص منها.. فقط ان الامر يحتاج الى تخطيط دقيق وقلب جامد .

كان السيد مايير يلاحظ الازمة النفسية التي يعيشها الطالب من قلق ، وتردد وشرود ذهن . وكان يعزي كل ذلك الى ما دهأ عائلته من حدث مؤسف ..

«عـزيزي هانيرش» هتف به يوماً «انت لاترغب في أن تفتح لي صدرك، وتخبرني بما يجول في خاطرك . اراك تحمل وزر الحزن وحدك . انا اعتقد ، لا بل انا عارف ما ينقصك ، فان كان الامر يعالج بالمال فانا اليوم كما كنت بالامس مستعد كل وقت لمساعدتك !

بحنو وبعواطف نبيلة حاول السيد مايير تحريك مشاعر الطالب وفي الوقت نفسه قدم له عرضاً مالياً مغرياً لكن هذا رد على عرضه بكلمات شكر حارة ، وبلهجة حازمة يشم منها رائحة الرفض .. لقد ارتكب خطأً كبيراً كان شنيعاً وبشعاً ضد الرجل العجوز .

انكمش السيد مايير ، وتراجع مفكراً وفي داخله صراع لقد انكر كل شيء أول مرة منـذ تعـرفت اليـه وهـو يعبـر عمـا في نفسـه بجحود .

انه بحاجة الى مساعدتي فلم المكابرة الا اذا كان قد ورث مالاً عن اخوته الكبار ؟ انا احب مساعدته ، وعلي ان اساعده فانا املك ثروة طائلة وانا رجل وحيد وليس لي وريث .. غرق في تفكير عميق وحين استطاع ان يحصره اخيراً في نطاق ضيق ، اوصله الى نقطة جعلته سعيداً متفائلاً . وظل ينتظر مجيء الغد بصبر فارغ .

وعندما التقى الاثنان . ساد بينهما صمت . كانت لغة خفية تفصل بينهما شعر السيد مايير ان صاحبه منطوٍ على نفسه بعض الشيء . وعندما حانت ساعة الفراق ، ونهضا ليودع بعضهما بعضاً قال له بعزم مفاجيء «عزيزي هانيرش ، ما السبب الذي يدعوك

للهرب مني .. والذي احسست به منذ فترة ؟» بسرعة وفزع انفجر الطالب قائلا . «أتعرف هذا ؟» لقد استطاع ان يقولها اخيراً «ليس من الصعب عليّ ان اكشف مايدور بخلدك ! امس كنت جاحداً وعلى الرغم من ذلك فقد كنت اعرف كل شيء عنك !

«امس ؟»

اقترب منه السيد ماير ماسكاً يده وهو يقول «كل هذا يشكل احراجاً لي لسبب واحد لانني اراك في وضع صعب ، قلقاً. انك ضائع ومع هذا ترفض مساعدتي لك . ان تخطيطي لمدىً بعيد . وفي الاقل ليس لهذه اللحظة بالذات وليس للوقت الحاضر ، وانا الزمك بقبوله . لا اعتقد ان بامكانك ان ترفض عندما اقدم عرضاً يضمن مستقبلك . ينبغي ان تضمن حياتك بعد مماتي ، انها وصية ، قالها بحماس وسعادة ، «وصية خطية غير قابلة للتغيير انها الان عرضة للتغيير ، ولا يعوزها لكي تكون ملزمة سوى التصديق الرسمي انني اثرى مما يتصوره الناس وطبقاً لما ابدو لهم .. بامكانك ان تضمن لك مستقبلاً مشرقاً .»

اضطربت احاسيس الطالب ومشاعره، اراد ان يبادله ذات الشعور .. بحث عن الكلمات محاولاً التعبير بحركة يديه بقوة وبغير استقرار ، لكن السيد ماير اصطحبه نحو الباب بحنان وحب .

«لا تجبني الان . لا موجب لتقديم الشكر لي فكل ما افعله امر طبيعي انك ابني بالتبني ، ومَن عليه تقديم الشكر هو انا ، لا،انت عش سعيداً ياعزيزي ، عزيزي هانيرش !»

قضى الطالب ليلته قلقاً مسهداً . لم ينم لحظة خلالها . اذا ترك الامور تجري كما يريد لها السيد ماير ، واذا قبل العرض الاخير

فلسوف يشعر بالضعة واحتقار نفسه .. انه حائر ، لا يستطيع ان يبصر الاشياء بوضوح هكذا وجد نفسه فجأة «سارق مواريث» شعر بالبشاعة والتقزز .. اجل اكيد انه سارق مواريث . وكيف يتسنى له بعد كل هذا ان يواجه السيد ماير وجهاً لوجه . اذن عليه ان يضع حداً لهذه الامور الان وفوراً.. قضى صباح اليوم التالي كله في كتابة رسالة .. كان يكتب ثم يمزق . ثم يبدأ الكتابة من جديد كتب شاكراً للعجوز عرضه الكريم النابع عن روح نبيلة ، لكنه اضاف بان قبوله لهذا العرض امر صعب في كل مرة كان يقف عند هذه الجملة ولا يعرف ماذا يكتب بعدها .. يجب عليه ان يضع خطوطاً رئيسية لرسالته . ماذا ينبغي أن يكتب ؟ «لا تربطني بك صلة رحم» وبهذا سوف ينكأ الجرح المميت ، وبأنه سوف يرث اموالاً عن والديه . وبلا شك فان السيد ماير لن يصدق هذا .بالاضافة الى كل هذا اما كان بامكانه ان يتكتم على مالديه ، ويبقى صامتاً ؟ او الايدع هذه العلاقة تتطور الى ما هي عليه الان .

راح يجهد فكره ساعات حتى تعب . اخيراً كتب «من اول لحظة انخدعت بي !» ثم مزق الورقة حالاً . هذا ما يكتبه العشاق عبارة كهذه لا يليق ان يكتبها طالب الى رجل عجوز . اضافة الى انها عبارة موجعة، كل كلمة ، وكل عبارة اختارها كانت موجعة .

انا لا يمكنني ان اجيب عن اقتراحه ! هكذا استقر رأيه قائلاً لا يمكنني ان ارسو على شاطئ .. ولكن عليّ ان اضع حداً لذلك فما يحسه ويشعر به بوضوح هو ان كل كلمة مكتوبة امامه جارحة وهي اشبه بعلاج بدائي ولم يبق امامك سوى ان تتماوت كالحيوان .

لم يظهر في المطعم ظهراً. اوصى صاحبة البيت ، انه في حالة مجيء رجل عجوز للسؤال عنه ان تخبره اليوم وكل يوم بانه قد رحل ولم

يعد يسكن هنا بعد اليوم . وعندما يخرج من البيت كان يتأكد من خلو الشارع من خلال زجاج النافذة .

تردد السيد مايير على البيت مرات عديدة الا انه لم يفلح . واخيراً نجح في ان يوصل اليه رسالة بعد جهد مضن كتبت حروفها بيد مرتعشة ليس بامكانه ان يجد وسيلة لتوضيح هذا الصمت انه يقف امام لغز محير .

«لو كنت قد اغضبتك ، او جرحت كرامتك» فانه على استعداد لان يقدم اعتذاراً بأيما وسيلة وانه ليل نهار يبحث عن السبب ولا يهتدي اليه .

كان الطالب مضطرباً حانقاً ، كيف وصلت الرسالة اليه قرأها ولم يرد عليها . وبعد ايام تسلم رسالة اخرى .. رماها بالمدفأة دون ان يقرأها كان وجلاً قلقاً .

ثم مرت ايام واسابيع على صمت السيد مايير اذ توقفت الرسائل اطمأن الطالب بعدها ولم يعد ينظر من النافذة قبل خروجه من الدار .

في نهاية الامر ، وبعد مضي شهور . حدث غير المتوقع . تقابلا في الشارع وجهاً لوجه . وقف السيد مايير ساكناً جامداً يحدق فيه بعينين كبيرتين مفتوحتين . تملك الطالب فزع مميت استدار جانباً وهرب منه وعند عطفة الشارع الفرعي تطلع الى الوراء بنظرة خجلى فزعة كان السيد مايير مسمراً في مكانه . وجهه ونظراته كما هي من قبل : نظرات واسعة حنونة غير مستقرة وهي تلاحق الجسم المختفي .

كان ذلك اللقاء الاخير لقد غير الطالب دراسته الى جامعة اخرى ولكن تلك النظرة ظلت تعيش معه دوماً .

## المترجم في سطور

● ولد في بغداد عام ١٩٣٧ وأنهى دراسته الأعدادية في عام ١٩٥٨ ثم تخرج في معهد اللغات عام ١٩٦١ .

● حصل على دبلوم عال في تدريس اللغة الالمانية بأشراف جامعة ميونخ ١٩٦٣ .

● عمل مترجماً في مديرية البعثات العامة بوزارة التربية (٦٤ ـ ٦٥) ثم معيداً في كلية اللغات (٦٥ ـ ٦٦) .

● حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الالماني من جامعة لايبزيج (٦٦ ـ ٦٩) وعين مدرساً للادب الالماني ورئيسا للقسم الالماني في كلية الآداب بجامعة بغداد (٦٩ ـ ٧٨) .

● يعمل حالياً خبيراً ومديراً للترجمة في دار المأمون للترجمة والنشر بوزارة الثقافة والاعلام .

● انتخب رئيساً لجمعية المترجمين العراقيين لدورتين متتاليتين .

● صدر له كتاب فيلاند وألف ليلة وليلة باللغة الالمانية وهو من مطبوعات دار النشر ايفا في بيروت .

● ـ قيد الطبع رواية الازرق . . الازرق للكاتبة الالمانية آنا زيغرز.

● يعكف الان على ترجمة رواية (ماذا بعدُ . . ايها البائس) للكاتب الالماني هانس فالادا .

# صدر عن دار المأمون الكتب الآتية المترجمة الى العربية حسب تاريخ نشرها

| العنوان | | تأليف | ترجمة |
|---|---|---|---|
| ١ . دليل مترجم المؤتمرات | ١٩٨١ | جب هيربرت | سمير عبد الرحيم الجلبي |
| ٢ . رباعية الحرب (قصائد من الادب الانكليزي) | ١٩٨٥ | جورج ماكبث | ياسين طه حافظ |
| ٣ . فن الرواية (دراسة نقدية) | ١٩٨٦ | كولن ولسن | محمد درويش |
| ٤ . العاصفة (مسرحية من الأدب الانكليزي) | ١٩٨٦ | وليم شكسبير | جبرا ابراهيم جبرا |
| ٥ . كلب الصيد الابيض ذو الأذن السوداء (رواية من الادب الروسي) | ١٩٨٦ | جافربيل ترويبولسكي | عبد الواحد محمد |
| ٦ . مكبث (مسرحية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | وليم شكسبير | جبرا ابراهيم جبرا |
| ٧ . الملك لير (مسرحية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | وليم شكسبير | جبرا ابراهيم جبرا |
| ٨ . بين الفن والعلم (دراسة نقدية) | ١٩٨٦ | دولف رايسر | د . سلمان الواسطي |
| ٩ . بلاد الثلوج (رواية من الأدب الياباني) | ١٩٨٦ | يوسوناري كواباتا | لطفية الدليمي |
| ١٠ مدن لامرئية (رواية من الأدب الايطالي) | ١٩٨٦ | ايتالو كالفينو | ياسين طه حافظ |
| ١١ . السيدة دالاواي (رواية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | فرجينيا وولف | عطا عبد الوهاب |
| ١٢ . جن (رواية من الادب الفرنسي) | ١٩٨٦ | آلان روب غرييه | د . سعيد علوش وخديجة بناني |
| ١٣ . عطيل (مسرحية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | وليم شكسبير | جبرا ابراهيم جبرا |
| ١٤ . هاملت (مسرحية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٦ | وليم شكسبير | جبرا ابراهيم جبرا |

| الكتاب | السنة | المؤلف | المترجم |
|---|---|---|---|
| ١٥ . شكسبير والانسان المتوحد (دراسة نقدية) | ١٩٨٧ | جانيت ديلون | جبرا ابراهيم جبرا |
| ١٦ . الحداثة (الجزء الاول) (دراسة نقدية) | ١٩٨٧ | مالكم برادبري وجيمس ماكفرلن | مؤيد حسن فوزي |
| ١٧ . صناعة المسرحية (دراسة نقدية) | ١٩٨٧ | ستيوارت غريفتش | عبد الله الدباغ |
| ١٨ . الانتظار السريع (رواية من الادب الالماني) | ١٩٨٧ | ارمكارد كوين | اقبال ايوب |
| ١٩ . الازهار البرية (مجموعة قصص قصيرة من الادب الامريكي) | ١٩٨٧ | ارسكين كالدويل | علي الحلي |
| ٢٠ . حبة قمح (رواية من الادب الافريقي) | ١٩٨٧ | نغوغي وايثو نغو | سليمان حسن ابراهيم |
| ٢١ . معجم التعابير الاجنبية في اللغة الانكليزية | ١٩٨٧ | ب . أ . فثيان | سمير عبد الرحيم الجلبي |
| ٢٢ . مصطلحات المؤتمرات | ١٩٨٧ | جان هيربرت | سمير عبد الرحيم الجلبي |
| ٢٣ . الثعلب (رواية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٧ | د . هـ . لورنس | نمير عباس مظفر |
| ٢٤ . مذكرات مالوان عالم الآثار وزوج اجاثا كريستي | ١٩٨٧ | ماكس مالوان | سمير عبد الرحيم الجلبي |
| ٢٥ . الرجل العاشر (رواية من الادب الانكليزي) | ١٩٨٧ | غريم غرين | هادي عبد الله الطائي |
| ٢٦ . النفق (رواية من الادب الاسباني) | ١٩٨٧ | ارنستو ساباتو | مروان ابراهيم صديق |
| ٢٧ . حوار الرؤية (دراسة فنية) | ١٩٨٧ | ناثان نوبلر | فخري خليل |
| ٢٨ . ملحمة رامايانا (من الادب الهندي) | ١٩٨٧ | ر . ك نارايان | د . جوزيف نادر بولس |
| ٢٩ . جويس (دراسة نقدية) | ١٩٨٧ | جون كروس | عبد الوهاب الوكيل |
| ٣٠ . ثورة خضراء (مختارات شعرية من الادب السوفيتي المعاصر) | ١٩٨٨ | ايغور بوندسكوف | د . عباس خلف |

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي : سلمان داود الشهد

# هذا الكتاب

هذه إضمامة مختارة من أروع القصص الالماني بمختلف المدارس والاساليب الفنية ، فمن الغموض الفني حيث الرؤى الحلمية أو اللاواقع المستمد من الواقع وفق المذهب السيكولوجي التي تميزت به قصة كافكا ، الى العمق الفلسفي الذي يدفع بالقارىء للغوص عميقاً لاكتشاف عوالم غونتر غراس في «قبوه» ومن القصة الملتزمة التي ترفع لواءها أنا زيجرز الى النقد اللاذع الّذي تحفل بـه كتابات برشت الواقعية ..

ومن القصة الرومانسية ذات اللون الانساني الشفاف الى القصة الاجتماعية ذات المضمون النقدي الحاد ..

من الحكاية البسيطة التي تشفّ عن الرمز العميق الى القصة ذات الحبكة والتكنيك الفني المعقد ..

ومن عالم عذابات «بورشرت» واحتجاجاته ضد الحروب الاستعمارية الى دفاع هانريش بل عن عالم الطفولة المستلب تبرز نماذج لأدب الحرب القصصي الالماني ولا يفوت القارىء اللبيب هنا الفرق الشاسع بين الحروب الاستعمارية التي لامصلحة للشعوب فيها والحروب التحررية والحروب المشروعة في الدفاع عن الوطن .. في هذا الكتاب مختارات قال عنها النقاد إنها من احسن القصص الالماني ضمن مسيرة هذا الأدب الذي ظل جديراً أن يحتل مكانة سامية في ذاكرة المكتبة الانسانية وحضورها المتجدد ؛ وظل قبلة المترجمين الى لغات العالم . ولذا ولأن مساحة ما يترجم منه الى العربية لاتغطي سوى النزر اليسير اذ مازال القارىء العربي يسمع - فقط - عن قمم وابداعات واسماء فيه ويتشوق ظامئاً الى المزيد ، تطمح هذه الترجمة أن تحقق له بعض الرجاء في الاطلاع على شوامخ هذا الفن ..

**السعر : دينار واحد**

**دار المأمون للترجمة والنشر**